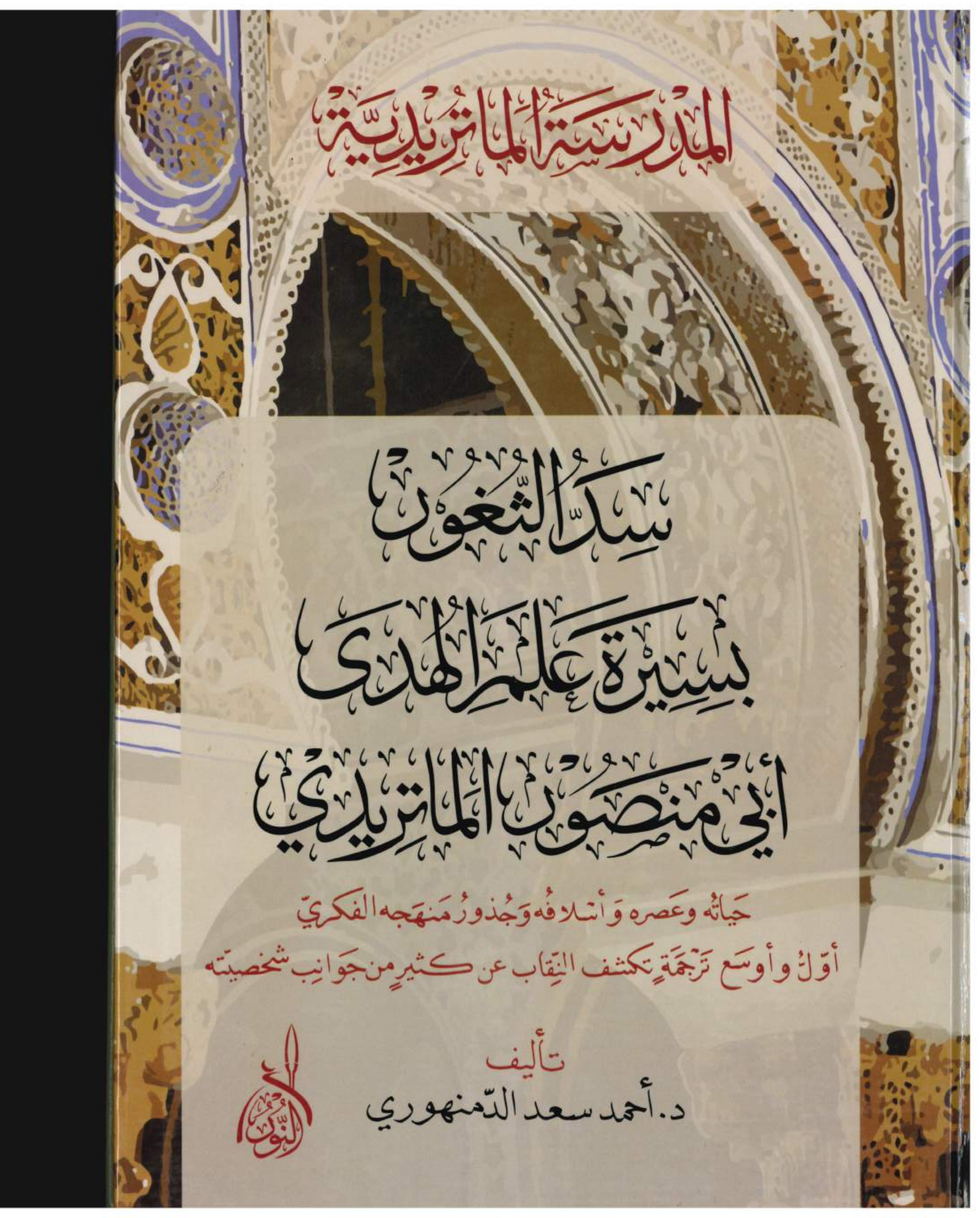


المدرسة الماتريدية
سد الثغور
بسيرة علم الهدى
أبي منصور الماتريدي
حياته وعصره وأسلافه وجذور منهجه الفكري
أول وأوسع ترجمة تكشف النقاب عن كثير من جوانب شخصيته
تأليف
د. أحمد سعد الدمنهوري
النور



سد الثغور
بسيرة علم الهدى
أبي منصور



المدرسة الماتريدية

سدّ الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور

الإمام الماتريدي

حياته وعصره وأسلافُه وجُذور منهجِه الفِكريّ

أوّل وأوسع ترجمة تكشِف النّقاب عن كثيرٍ من جوانبِ شخصيتّه

تأليف

د. أحمد سعد الدّمنهوري



2018



سدّ الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور

الدكتور أحمد سعد الدّمنهوري

الطبعة الأولى :٢٠١٨م



دار النور المبين للنشر والتوزيع

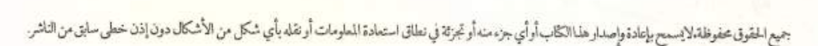
عمّان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com

www.darannor.com

www.facebook.com/darannorpage

@Darannor





مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وحزبه، ومن دعا بدعوته وسار على نهجه.. أما بعد:

(١)

روى البيهقى عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَذَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»(١).

ومن هؤلاء العدول الذين شُهد لهم بالتقدم والإمامة ونصرة السنة إمامنا علم الهدى أبو منصور الماتريدي إمام أهل السنة ومقدمهم في بلاد ما وراء النهر، لكننا مع ذلك لا نكاد نعرف عنه إلا القليل حتى صار موضع تهمة لدى حدثاء الأسنان الذين اتهموا صنوه الإمام الأشعري رحمه الله ذات التهم؛ فوقع ما حذر منه الرسول ﷺ، حين قال: «**يَلْعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ الْمَقْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا**»(٢) ولا حول ولا قوة بالله!

فصارت الأمة في فتنة عمياء لايدرى شبابها إلى من يلوذون وقد صار حملة الدين مبتدعة!

فلم يجد الحيارى منهم إلا الفكر الغربي المؤطر بالإلحاد فارتمى في أحضانه باحثا عما يملأ فراغ قلبه وعقله؛ متسكعا على موائد الفكر فيتلقف ما يقال من هنا وهناك، وما درى أن الكنز تحت قدمه، لو نظر..!

---

(١) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، كتاب الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حديث رقم ٢١٤٣٩، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١٣٤٤،١هـ.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ٢/ ٨٦، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

إنني على يقين أن هذا البلاء ما وقع إلا بإبعاد أمثال مناهج علماء المدرسة الماتريدية ورميها بالابتداع تارة والبعد عن منهج السلف أخرى!

لذا كانت مهمتنا هي الكشف عن كنوزها المخبئة وما بذله أصحاب العقول الجبارة منهم في بسط معارف الوحي وتعاليمه ..

إن هذه المدرسة ما هي إلا ترجمة عملية لمناهج وعلوم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ساهم في نشأتها ظروف العالم الإسلامي المائج بالملل والنحل والمذاهب والفرق، فقيض الله لدينه صفوة من خلقه بلغوا رسالات الله على الوجه الذي يرضي رسول الله، فكتب الله لعملهم البقاء ولجهودهم الخلود، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

يقول الإمام الشعراني رحمه الله مؤكدا:

(واعلم يا أخي: أن علماء الإسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا لأنفسهم العلم بالله تعالى، وإنما وضعوها إردا عا للخصوم ..)[١] وكلام أئمتنا في هذا المعنى متواتر...

أزعم أن جهود هؤلاء الأفذاذ مازالت قادرة على العطاء والإسهام في حل إشكالاتنا العلمية والفكرية وحل قضايانا الاجتماعية والتربوية، لا على طريقة الاجترار بل على طريقة الإفادة مما شيدوه والبناء على ما بنوه، فلكل وقت حال ولكل زمان رجال..!

(٢)

كان هذا البحث في الأصل هو المدخل الذي صدرت به رسالتي المعنونة (منهج إمام أهل السنة أبي منصور الماتريدي في تفسيره: تأويلات أهل السنة) والذي شرفني الله بأن نلت به درجة العالمية (الدكتوراه) في كلية أصول الدين بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات.. بفضل من الله وحده.. وقد أشرف عليها عدد من أجلاء

(١) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، الإمام عبد الوهاب الشعراني، ت: مهدي عراد، ص٩٢، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٦م.

علماء أصول الدين، أبرزهم: شيخنا علامة المعقول والمنقول الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة رحمه الله[١].

وما إن انتهيت من مناقشة الرسالة حتى جاءتني عروض الطبع من أكثر من دار ممن يثقون بالفقير أو ما سمعه بعضهم من ثناء المناقشين عليها.. فلله الحمد وحده، لكنني كنت أرى رأيًا آخر، يتمثل في عدم نشر تلك الرسالة دفعة واحدة، لأسباب:

الأول: كبر حجمها وتشعب موضوعاتها إذ البحث في المنهج التفسيري إنما هو ثمرة آراء المفسر في المعرفة والكلام والأصول مما أسميته بالأطر المرجعية للمنهج، فطباعة كل هذا في مجلدين كبيرين قد يصرف بعض أهل العلم عن شرائها أو قراءتها والاستفادة مما فيها، لاسيما مع تعدد الاهتمامات وكثرة الانشغالات الصارفة عن قراءة حجم كبير!

الثاني: أنني لم أكتب في تلك الرسالة كل ما لدي، بل احتفظت ببعض الفقرات والمطالب والمباحث؛ بل الأبواب التي تصلح للنشر ككتاب .. وهو جهد لا أحب له أن يضيع..

لذلك كانت فكرة كتابة سلسلة تبرز معارف المدرسة الماتريدية وتحيي ما اندثر من تراثها تراودني حين تفرغت للتعرف على تراث السادة الماتريدية أعلى الله منارهم، حتى عزمت وتوكلت على الله تعالى.. وها أنذا أشرع بأول كتاب في تلك السلسلة المرتقبة والتي سيكون من بينها بحث الدكتوراه مجزءًا إلى قسمين أو ثلاثة كما أحسب إن شاء الله تعالى.

ستعنى هذه السلسلة التي خطط لها أن تكتمل في عشرة كتب - إن شاء الله تعالى وقدر- بتسليط الضوء على جوانب الفكر المتنوعة لدى تلك المدرسة متمثلة في شخص مؤسسها علم الهدى شيخ الإسلام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنه بالمقام الأول.

(٣)

أما هذا الكتاب فهو باكورة تلك السلسلة، ويتناول جوانب شخصية المؤسس التي طواها النسيان، حتى ما عادت تذكر ولا تعرف، اللهم إلا النزر اليسير مما هو معاد مكرور

(١) إذا قلت: [قال شيخنا] في الهامش، فهو!

في كتب التراجم، حتى فتح الله فجمعت كل ما وقع تحت يدي حول سيرته وما يمكن أن يدل على شيء في حياته، فتبعت فيه منهج التحليل والنقد، وسلطت الضوء على عصره، وما فيه من حركة علمية لابد أنه تأثر بها؛ لتساعدنا في الوقت نفسه على الوقوف على الظروف التي أنتجت هذا الفكر على هذا الوجه، كما تتبعت جذور الإمام الفكرية حتى وصلت بها إلى منابعها الأولى؛ فخرج في هذا الحجم دون قصد ولا ترتيب، فجاء درة نفيسة بين الكتب، فيه ما ليس في غيره، ولا يغني عنه غيره، فضلا من الله وكرما لعبده الضعيف، وما توفيقي إلا بالله..

وسميت هذه الترجمة: (سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور)؛ لأنها بالفعل تسد ثغر مهمة في تعرفنا على شخصية هذا الإمام العظيم، ومدرسته الفكرية الممتدة إلى يومنا هذا ..

والحمد لله وحده،،

أحمد الدمنهوري

القاهرة / مدينة نصر

١٤ / ٣ / ٢٠١٥م

بعد الثانية عشرة صباحًا

الفصل الأول

عصر الإمام الماتريدي وبيئته

«إقليم المشرق هو أجل الأقاليم، وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير، ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه الأعظم»[1].

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ص٢٦٠، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

تمهيد

عاش الإمام الماتريدي في سَمَرْقَند[1] من بلاد ما وراء النهر في «إقليم المشرق»[2] وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث، والثلث الأول من القرن الرابع الهجريين، وهى الفترة التي تسمى في التاريخ الإسلامي السياسي والثقافي بفترة «العصر العباسي الثاني» الذي يمتد من عهد المتوكل ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م، حتى سقوط بغداد على يد التتار ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

---

(١) قال فى معجم البلدان (٣/ ٢٤٦ فما بعدها باختصار، ط دار صادر، بيروت): «سمرقند بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سَمران بلد معروف مشهور، قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد... وقال الأزهري: بناها (شمر أبو كرب) فسميت (شمر كنت) فأعربت فقيل (سمرقند) هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها». وسمرقند قصبة الصغد و«القصبة فى العرف هي أجل مدينة فى الكورة أو الناحية» أ.هـ، ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٦٦.

(٢) ما وراء النهر (أي: نهر جيحون) يتبع إقليم المشرق، وهو إقليم ذو جانبين، الأول: فى الشرق وهو ما كان شرقى جيحون ويسمى بـ (ما وراء النهر (، وسكانه يسمون: الهياطلة، نسبة إلى هيطل بن عالم بن نوح، ويشمل: فرغانة والشاش وأسبيجاب وأشروسنه والصغد (قصبتها سمرقند) وبخارى. أما الجانب الثاني: فهو فى الغرب أى غرب نهر جيحون ويسمى (خراسان) ويشمل: بلخ وعزنين، وبست وسجستان وهراة وجوزجان ومرو ونيسابور وقهستان.

ينظر: (أحسن التقاسيم)، ص٢٢١، و(الدولة العباسية)، الخضرى بك، ص٣٣ و٣٤، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٩م.

ويقول بارتولد (ص١٤٥) إن (ما وراء النهر) «هو الاسم الذى أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة فى حوض نهر أمودريا (جيحون) وسيردريا (سيحون)» ويقول (ص١٤٦) «نهر أمودريا يعرف حاليا باسم نهر (بنج)»أ.هـ.

ينظر: (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولى)، فاسيلى بارتولد، تعريب: صلاح الدين هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، سنة ١٩٨١م.

ويقول محمود شيت خطاب: «وكان هذا النهر يعد هو الحد الفاصل بين الناطقين بالفارسية والتركية أى ايران وتوران، والعرب سموها: ما وراء النهر كما أسموها: الهيطل وساكنوه هم الهياطلة الذين كانوا أعدى أعداء الدولة الساسانية»أ.هـ.

ينظر: بلاد ما وراء النهر، محمود شيت خطاب، ص٥، دار قتيبة، ط٤، ١٩٩٠م.

وكانت منطقة سمرقند تخضع فى حياة الإمام الماتريدي لسلطان الأسرة السامانية (٢٦١ هـ- ٣٩٥هـ) ذات الأصول الفارسية، وقد قامت دولتهم على أنقاض الدولة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ) ذات الأصول الفارسية أيضًا.

وهنا سأحاول إلقاء الضوء على هذه الفترة التاريخية التى عاشها الإمام الماتريدي فى نواحيها السياسية والاجتماعية والعلمية فى ظل الدولة الكبرى: دولة الخلافة العباسية، والولاية المستقلة: السامانية، وذلك بالقدر الذى يضع أيدينا على بيئة الإمام الماتريدي؛ لما قد يكون لهذه النواحي من أثر في توجهاته الفكرية؛ وذلك من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

***

المبحث الأول

الحالة السياسية في عصر الإمام الماتريدي»

المطلب الأول

الحالة السياسية في الدولة العباسية

نستطيع أن نرصد ظاهرتين رئيستين ميزتا العصر العباسي الثاني في ناحيته السياسية، هما:

الظاهرة الأولى: ضعف أمر الخلافة:

ضعفت الخلافة الإسلامية عما كانت عليه فى عصرها العباسي الأول؛ نتيجة استيلاء العسكر على الحكم حتى عرف العصر بأنه «عصر نفوذ الأتراك»[1].

وهذه نبذة عن أهم الخلفاء الذين عاصرهم الإمام الماتريدي.

تسلسل	الخليفة	تولى الخلافة
١	المتوكل	٢٣٢هـ/ ٨٤٧م
٢	المنتصر بالله (ابن المتوكل)	٢٤٧هـ/ ٨٦١م
٣	المستعين بالله (ابن المعتصم)	٢٤٨هـ/ ٨٦٢م
٤	المعتز بالله (ابن المتوكل)	٢٥٢هـ/ ٨٦٦م
٥	المهتدي بالله (ابن الواثق)	٢٥٥هـ/ ٨٦٩م
٦	المعتمد على الله (ابن الواثق)	٢٥٦هـ/ ٨٧٠م
٧	المعتضد بالله (حفيد المتوكل)	٢٧٩هـ/ ٨٩٢م
٨	المكتفي بالله (ابن المعتضد)	٢٨٩هـ/ ٩٠٢م
٩	المقتدر بالله	٢٩٥هـ/ ٩٠٨م
١٠	محمد القاهر (ابن المعتضد)	٣٢٠هـ/ ٩٣٢م
١١	الراضي بالله (ابن المقتدر)	٣٢٢هـ/ ٩٣٤م
١٢	المتقي لله	٣٢٩هـ/ ٩٤٠م

(١) ينظر فى خطر الحكم العسكري: التاريخ الإسلامى، محمود شاكر، ٥/ ٢٣ وما بعدها، ٦/ ٧ وما بعدها، المكتب الإسلامي، ط٦، ٢٠٠٠م.

أما المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ): فقد كان يميل إلى مذهب أهل السنة، وبدأ حكمه بنهى الناس عن القول بخلق القرآن الذى شغل الخلفاء الثلاثة (المأمون والمعتصم والواثق) قبله، وأمر المحدثين بالتحديث وإظهار السنة، وكتب بذلك إلى الأمصار، فكان لعمله هذا تأثير حسن فى نفوس الناس، وبالغوا فى تعظيمه والثناء عليه؛ حتى قال قائلهم: «الخلفاء ثلاثة: أبو بكر يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز فى رده المظالم، والمتوكل فى إحياء السنة»(١).

وأما المنتصر بالله (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ): فهو ابن المتوكل وقاتله، قال عنه ابن الأثير: «عظيم الحلم راجح العقل غزير المعروف، راغبا فى الخير جوادا، كثير الإنصاف حسن العشرة»(٢). ومع ذلك فقد «كان فاتكا سفاكا»(٣) وقد حسن له الأتراك خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، وكان يعطف عليهم قبل قتل أبيه، إلا أنه ما لبث أن غضب عليهم وصار يسبهم ويقول: (هؤلاء قتله الخلفاء) ففكر الأتراك فى قتله، ففعلها طبيبه مقابل مال(٤).

وأما المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم (٢٤٨-٢٥٢هـ): فقد ولاه القادة الأتراك ولم يرضوا بتولية أحد من أولاد المتوكل حتى لا ينتقم منهم، لقتل أبيه وأخيه، يقول صاحب الفخري: «واعلم أن المستعين كان مستضعفا فى رأيه وعقله وتدبيره، وكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب ولم يكن فيه من الخصال الكريمة إلا أنه كان كريما وهوبا»(٥) ولما أحسوا أن المستعين يريد القضاء عليهم: عزلوه وبايعوا ابن عمه المعتز بن المتوكل، ثم سلط عليه الأتراك مَن قتله(٦).

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي، ٣/ ١٠، ١١، و: الدولة العباسية، محمد الخضرى بك، ص٢١٣، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٢) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ط بولاق.

(٣) الفخري فى الآداب السلطانية، محمد بن طباطبا (ابن الطقطقي)، ص١٧٥، المطبعة الرحمانية، دون تاريخ.

(٤) ينظر: تاريخ الأسلام السياسي، ٣/ ١٢، ١٣، وانظر الدولة العباسية، الخضرى، ص٢٢٧ فما بعدها.

(٥) الفخري، ص١٧٧.

والوهوب: صيغة مبالغة من الهبة، أي كثير العطاء، ومنه قول حسان بن ربيعة:

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب

ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، ت: مهدي المخزومي، ٥/ ١٠٢، باب القاف والطاء والام معهما.

(٦) ينظر تاريخ الإسلام، ٣/ ١٤، ١٥، والدولة العباسية، الخضرى، ص٢٣٠ فما بعدها.

وأما المعتز بن المتوكل (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ): فيقول عنه صاحب الفخري: «وكان المعتز جميل الشخص حسن الصورة، ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس، إلا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا خلعوه وإن شاؤوا قتلوه»(١)، ولم تستمر خلافته طويلا فما لبث أن قتله الأتراك قتلة مُذِلة؛ إذ قَبِل قتله صبرا جروه من رجله ولطموه، وأقاموه فى الشمس فى الدار وكان إذا رفع رجلا يضع أخرى لشدة الحر، ومنعوه من الشرب ثلاثة أيام، قبل إدخاله بيتا وإغلاقه عليه حتى مات(٢). «وفى أيامه ظهر يعقوب بن الليث الصفار واستولى على فارس وجمع جموعًا كثيرة، ولم يقدر المعتز على مقاومته»(٣).

أما المهتدي بن الواثق (٢٥٥-٢٥٦هـ): فقد ولى الخلافة بعد قتل ابن أخيه المعتز وقد ذكر ابن كثير أنه «كان من أحسن الخلفاء مذهبا وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعا وعبادة وزهادة.. وقال بعضهم: سرد المهتدي الصوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله، وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبدالعزيز الأموي في خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط، ولو عاش ووجد ناصرا لسار سيرته ما أمكنه وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم وانتهكوا منصب الخلافة»(٤)، وقد حدث فى عهده عدد من الثورات من قبل العلويين، وثورة الزنج التي هددت الخلافة زهاء أربعة عشرة سنة (٢٥٥هـ: ٢٧٠هـ)، وشق الخوارج عصا الطاعة بالموصل(٥).

أما المعتمد على الله ابن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ): فقد «كان مستضعفًا وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره، وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بإمرة

---

(١) الفخري، ص١٧٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام، ٣/ ١٥، ١٦.

(٣) الفخري، ص١٧٨، وينظر: الدولة العباسية، الخضرى، ص٢٣٨ فما بعدها.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير مج٦، ١١/ ٢٩ باختصار.

(٥) وينظر: تاريخ الاسلام ٣/ ١٦: ١٨، والخضرى، ص٢٤٤ فما بعدها.

المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته»[١]، وينقل ابن كثير عن ابن الأثير في أحداث عام ٢٦٦هـ، قوله: «وفيها اشتد الحال وضاق الناس ذرعا بكثرة الهياج والفتن وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد؛ بسبب ضعف منصب الخلافة واشتغال أخيه أحمد بقتال الزنج»[٢].

وقد وقعت في عهده أحداث هامة، كان لها أثر بالغ في تاريخ الدولة العباسية، أهمها: ثورة الزنج، واختفاء الإمام الثاني عشر عند الإمامية، وظهور الإسماعيلية الذين ينسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت: ١٤٣هـ)، وعلى إثر الحروب المتصلة مع الزنج والخوارج وغيرهم وانصراف الخليفة إلى ملذاته: ضاعت حرمة الخلافة واستقل العمال بالولايات، فظهرت الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ)، والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ)، والطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ)، وكانت هذه الدول شبه مستقلة لا علاقة لها بالخلافة، وكانت سنواته سنوات فتن واضطرابات[٣].

أما المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ): فهو ابن الموفق بن المتوكل ولي الخلافة وحسنت سيرته وأحبه الناس، فقد «كان شهمًا عاقلًا فاضلًا حُمدت سيرته، ولي والدنيا خراب والثغور مهملة، فقام قيامًا مرضيًا حتى عُمِّرت مملكته وكثرت الأموال وضُبطت الثغور، وكان قوي السياسة شديدًا على أهل الفساد حاسمًا لمواد أطماع عساكره عن أذى الرعية، محسنًا إلى بني عمه من آل أبي طالب، وكانت أيامه أيام فتوق وخوارج كثيرين.. فقام المعتضد في إصلاح المتشعب من مملكته والعدل في رعيته»[٤]، وفي عهده خرج عمرو بن الليث الصفار، و«كان قد عظم شأنه – أي عمرو – وفخم أمره واستولى على أكثر بلاد العجم، وكان يقول: لو شئت أن أعقد على نهر بلخ جسرًا من ذهب لفعلت. وكان مطبخه يحمل ستمائة جمل، فآلت عاقبته

(١) الفخري، ص١٨٣.

(٢) البداية والنهاية، ١١/٤٧، مج ٦.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، ٣/١٨: ٢٣، والخضرى، ص٢٤٩ فما بعدها.

(٤) الفخري، ص١٨٧، باختصار.

إلى القيد والأسر والذل»[١] وفي عهده ظهرت فرقة القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط، وفي البحرين على يد أبي سعيد الجنابي، من زعمائهم، كما ظهر نصر بن أحمد الساماني مؤسس الدولة السامانية[٢].

أما المكتفي بالله ابن المعتضد (٢٨٩-٢٩٥هـ): فقد كان «من أفاضل الخلفاء، هو الذي بنى المسجد الجامع بالرحبة ببغداد. وفي أيام المكتفي ظهر القرامطة، وهم قوم من الخوارج، خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة، وسرح المكتفي إليهم جيوشًا كثيرة فأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم»[٣]، وفي عهده كان السامانيون هم أصحاب النفوذ المطلق في فارس، كما زالت في عهده الدولة الطولونية سنة ٢٩٢هـ[٤].

أما المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ): فهو أخو المكتفي ابن المعتضد «بويع له بالخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة وكان المقتدر سمحًا كريمًا كثير الإنفاق، رد رسوم الخلافة من التجمل وسعة الإدرارات والمعاش وكثرة الخلع والصلات. وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان، وكانت خزانة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسه.. ففرقه جميعه وأتلفه في أيسر مدة. وفي أيامه قتل الحلاج (ت: ٣٠٩هـ)..وفي تلك الأيام اقتلع القرامطة الحجر الأسود ومكث في أيديهم أكثر من عشرين سنة.. ودولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه؛ فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم، وهو مشغول بلذته، فخربت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة فخلع ثم أعيد ثم قتل. وفي تلك الأيام نبعت الدولة الفاطمية بالمغرب»[٥].

وأما القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ): فهو ابن المعتضد وأخو كل من المكتفي والمقتدر، «وكان مهيبًا مقدامًا على سفك الدماء أهوج محبًا لجمع الأموال رديء السياسة، صادر جماعةً من أمهات أولاد المقتدر، وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس وعذبها بصنوف

(١) الفخري، ص١٨٧.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ١٣/٢٣ فما بعدها، والخضرى، ص٢٦٥ فما بعدها.

(٣) الفخري، ص١٨٨.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، ٣/٢٥ فما بعدها، والخضرى، ص٢٧٥ فما بعدها.

(٥) انظر: الفخري، ص١٨٩ باختصار، وكذا تاريخ الإسلام ٣/٢٦ فما بعدها، والخضرى، ص٢٨٣ فما بعدها.

عظيمة من الضرب والإهانة، واستخرج منها مائة وثلاثين ألف دينار، وبقيت بعد ذلك أيامًا قليلة وماتت حزنًا على ولدها ومما جرى عليها من العذاب... وفي تلك الأيام نبعت الدولة البويهية»[1].

وأما الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ): فهو ابن المقتدر بن المعتضد، «كان شاعرًا فصيحًا لبيبًا ختم الخلفاء في أشياء، منها أنه آخر خليفة دون له شعر، وآخر خليفة انفرد بتدبير الملك، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء ووصل إليه العلماء، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمه وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين.. وفي أيام الراضي ضعف أمر الخلافة، فكانت فارس في يد علي ابن بويه، والري وأصفهان والجبل في يد أخيه الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد ابن طغج، ثم في أيدي الفاطميين، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي، وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن أحمد الساماني»[2].

وفي عهده ظهر نظام أمرة الأمراء (٣٢٤هـ) الذى كان بموجبه يتولى أمير الأمراء كل شيئ تقريبا، وهذا المنصب عبارة عن نقل كل صلاحيات الخليفة إلى قائد تتوفر فيه صفات الرئاسة المدنية والقيادة العسكرية[3].

وأما المتقى (٣٢٩-٣٣٣هـ): فهو ابن المقتدر بن المعتضد. كان مجرد ألعوبة بأيدي القادة المتنافسين على السلطة، حيث ظهر نظام أمرة الأمراء ولم يكن للخليفة فى تصريف الأمور شيء؛ بل كان الأمر كله فى يد أمير الأمراء»[4].

---

(١) الفخرى، ص٢٠١ باختصار، والخضرى، ص٣٠١ فما بعدها.

(٢) الفخرى، ص٢٠٤، ٢٠٥ باختصار.

(٣) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص١٦٩، وانظر: ٣٠٤ فما بعدها.

(٤) تاريخ الدولة العباسية، ١٦٨ فما بعدها، وتاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٣٢ فما بعدها، والخضرى، ص٣١٠ فما بعدها.

الظاهرة الثانية: الحكم اللامركزي والولايات المستقلة:

نشأت في العصر العباسي الثاني دويلات داخل الدولة الإسلامية ارتبطت بالخلافة شكلًا ورسما[1] فانتقل الحكم من المركزية فى العصر العباسي الأول إلى اللامركزية في العصر العباسي الثاني[2] إلا أن هذه اللامركزية صحبها ضعف القلب، حتى إنه لم يبق للخليفة إلا بغداد وما حولها مع بقاء رابطة الولاء للخلافة[3] حتى إنه ليخيل لقارئ التاريخ أن الخلافة تفتت وآل أمرها إلى ما يشبه الدول القطرية الحديثة.

---

(١) حيث كان يدعى للخليفة على المنابر، وتضرب النقود باسمه قبل اسم الأمير المستقل، ويرسل قسم من الخراج إلى بيت المال، ينظر: تاريخ عصر الخلافة العباسية، يوسف العش، ص١٣٨، نقلا عن محمد سهيل طقوش، ص١٥٦.

(٢) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، ص١٥٦، دار النفائس، ط٧، سنة ٢٠٠٩م.

(٣) جاء في رحلة ابن فضلان أنه لما دخل على نصر بن أحمد، والي الدولة السامانية، قال له: «كيف خلفتم مولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وسلامته» أ.هـ. مما يجعلنا نُشَبِّه العلاقة القائمة بين هذه الولايات ومركز الخلافة بالنظام الذي يطلق عليه حديثا: النظام الكونفدرالي.
ينظر: رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالية، أحمد بن فضلان بن العباس (ت بعد ٣١٠هـ)، ص٤٦.

وقد قامت في المشرق الإسلامي في الفترة التي نتحدث عنها- الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ)، والدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٨هـ)، والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ). وكذلك زادت الدول المستقلة، في مغرب الدولة الإسلامية وخاصة في مصر، فقد قام المماليك بتأسيس دول لهم في مصر مثل: الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ)، والدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ)، والدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر (٢٩٧-٥٦٧هـ). وظهرت دول أيضًا في وسط الدول الإسلامية فقد قامت الدولة الحمدانية في الموصل (٣١٧-٣٨٠هـ) وفي حلب (٣٣٣-٣٩٤هـ)[1].

أما السبب فى حدوث هذه الظاهرة فلن تخطئ عين القارئ لأحداث التاريخ الإسلامي في تلك الفترة أن السبب الرئيس هو ضعف أمر الخلافة، وانصراف الخلفاء فى الغالب عن شؤون الرعية إلى ملاذهم أو صراعاتهم، وترك الأمر لمجموعة العسكر من الأتراك أو لوزرائهم من الفرس أو حتى لخدمهم وأمهاتهم وزوجاتهم! مما جعل ولاء الناس ينصرف لمن يهتم لشؤونهم مما سهل قيام دويلات تخضع شكليًا للخلافة لكنها عمليًا مستقلة فى إدراة شؤونها[2].

***

(١) تاريخ الإسلام، د. حسن إبراهيم: ٣/ ٧١ فما بعدها، دار السويدي، أبو ظبي، بدون تاريخ.

(٢) أما ما يقوله بارتولد (ينظر: تركستان، ص٣١٨، ٣١٩) من أن «الاهتمام باستتباب الأمن فى داخل البلاد وخارجها لم يصبحا حقيقة واقعة إلا بعد أن وضعت الدولة حدا لنظام الولاة المتعاقبين واستعاضت عنه بتعيين حكام وراثيين من بين صفوف الأرستقراطية المحلية ممن لديهم إلمام بظروف البلاد وتمتعوا بثقة سكانها وكان من الطبيعي فيما بعد أن يهتم هؤلاء الحكام لمصالحهم الشخصية أكثر من اهتمامهم لمصالح الخلفاء وأن تتضاءل شيئا فشيئا تبعيتهم للحكومة المركزية لتصبح فيما بعد تبعية اسمية لا أكثر» أ.هـ. فإن هذا الكلام إذا صدق على بعض الحالات كما فى الدولة السامانية فإنه لا يصدق على البعض الآخر أو على الأغلب بالأحرى، كما فى الدولة الفاطمية!

أما ضعف أمر الخلافة نفسه فيرى محمد الخضري بك أنه كان ضعفا بنيويا رافقها منذ ظهورها، وهو ضعف العصبية القومية. متأثرا فى هذه الفكرة بابن خلدون فى مقدمته فيما يبدو! ومع ذلك استمرت رغم ضعفها بسبب الغطاء الديني الذى تمتع به الخلفاء، كما ضعفت بسبب منافسة العلويين ومحاولات خروجهم، بالإضافة إلى ضعف قيمة العهود.

ينظر: تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، محمد الخضري بك، ص٤٠٧ فما بعدها.

المطلب الثاني

الحالة السياسية في الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ هـ)

تنسب هذه الدولة إلى أسرة فارسية عريقة، وقد نال السامانيون حظوة كبيرة عند الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) فولاهم بلاد ما وراء النهر ورفع شأنهم، وقد ارتد سامان عن مذهب زرادشت واعتنق الإسلام وسمى ابنه باسم أسد بن عبد الله القسري والى خراسان فى أواخر عهد الأمويين، ولا علم لنا بحياة أسد هذا ولكن أبناءه وهم: نوح وأحمد ويحيى وإلياس قد اشتركوا فى إخماد ثورة رافع بن الليث الصفار، وكانوا قد دخلوا فى خدمة المأمون قبل الطاهريين؛ فقد لوحظ وجود عدد منهم فى بلاط الخلفاء ببغداد[1] ولكنهم لم يرقوا إلى أكثر من حكم بلاد ما وراء النهر، فولى نوح ابن أسد: سمرقند سنة ٢٠٤هـ[2]، وأحمد بن أسد: فرغانة، ويحيي بن أسد: الشاش وأشروسنة، وإلياس بن أسد: هراة، ولما ولى طاهر بن الحسين خراسان أقرهم فى هذه الأعمال[3].

قامت هذه الدولة فى إقليم ما وراء النهر ثم امتدت إلى إيران وخراسان وطبرستان والرى والجبل وسجستان وحاولت إحياء اللغة والثقافة الفارسية[4].

وقد ولى أمر هذه الدولة عدد من الأمراء نكتفى بذكر من عاصرهم الإمام الماتريدي، وهم:

نصر بن أحمد: نصر الأول (٢٦١-٢٧٩هـ)، هو أحد أبناء أحمد السبعة، خلف أباه

(١) مما جعل بارتولد يقول أن هذا هو السبب فى اهتمام الخلفاء المتعاقبين بهده المنطقة، تركستان، ص٣٣٦.

(٢) فالإمام الماتريدي ولد وعاش ومات فى ظل حكم السامانيين سواء قبل الاستقلال عن الخلافة أو بعد ذلك، لذلك لم نتعرض للدولتين الطاهرية أو الصفارية اللتين هيمنتا على ما حول سمرقند قبل الدولة السامانية.

(٣) تاريخ الإسلام: ٣/ ٨٠، وتركستان، ص٣٣٦ بتصرف واختصار منهما.

(٤) الخلافة العباسية، الهاشمي، ص٣٩٢، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٦م، وتاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص١٩١.

على سمرقند وما يليها من قبل الطاهريين[1] حتى ولاه الخليفة المعتمد بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ ومن ثم تأسست الدولة السامانية وأصبح نصرا من القوة بحيث استطاع أن يولى أخاه إسماعيل على بخارى[2].

إسماعيل بن أحمد (٢٧٩-٢٩٥هـ)، قويت الدولة السامانية وقامت بدور مهم فى إزالة الدولة الصفارية[3]، قال عنه ابن كثير: «أحد ملوك خرسان وهو الذى قتل عمرو ابن الليث الصفار الخارجي وكتب بذلك إلى المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفى الري وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم وأوقع بهم بأسا شديدا، وبنى الربط فى الطرقات، يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافا جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد

(١) الدولة الطاهرية نشأت بإرادة الخلافة. أسسها: طاهر بن الحسين، أحد قادة المأمون الذى ولاه على خراسان فى عام ٢٠٥هـ وأضاف إليه أعمال المشرق كلها من بغداد، اتخذ طاهرًا نيسابور قاعدة له، وراودته نزعة انفصالية فقطع الدعاء للخليفة، ثم طرح لبس السواد معلنا انفصاله عن بغداد إلا أنه توفى فجأة، وقيل إن المأمون هو الذى دس له السم، ومع ذلك فقد أقر المأمون ابنه طلحة على ولاية خراسان، واستمر الطاهريون بعد ذلك على ولائهم للخلافة؛ فقربهم العباسيون ومالوا إلى جانبهم فى صراعهم مع الصفاريين.
ينظر: تاريخ الدولة العباسية، طقوش، باختصار، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي: ٣/ ٨٠.

(٣) أسسها يعقوب بن الليث الصفار الذى أغار على الدولة الطاهرية فى خراسان والتى أسست فى عهد المأمون حيث اشتد نفوذها حتى حدود الهند، حاول يعقوب بسط نفوذه على المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية مما أثار حفيظة الخليفة المعتمد إلا أن ضعف الخليفة جعله يتراجع عن موقفه تجاهه، وما لبث أن ولاه على خراسان وبلاد فارس بالإضافة إلى شرطتي بغداد وسر من رأى، كما عقد على كرمان وسجستان والهند، وحاول الاستيلاء على بغداد مقر الخلافة لكنه فشل، ولما توفى يعقوب خلفه عمرو بن الليث الصفار (٢٦٥-٢٨٧هـ) الذى أقره الموفق أخو الخليفة المعتمد على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان وشرطة بغداد إلا أن العلاقة ساءت فعزله المعتمد وأمر بلعنه على المنابر، وقلد محمد بن طاهر بلاد خراسان، وظل الأمر بين شد وجذب حتى حاول عمرا الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، فوقف له أحمد بن إسماعيل ابن أحمد الساماني وهزمه ووقع أسيرا فى قبضته وتشتت شمل جيشه، فقامت الدولة السامانية على أنقاضها بعد ولاية ضعيفة لطاهر بن محمد بن عمرو بن الليث تمكن خلالها أحمد بن إسماعيل الساماني من إزالة الدولة الصفارية نهائيا.
ينظر: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافي، ٣/ ٧٢: ٧٧ باختصار وتصرف.

بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة.. فبعث بها إلى المعتضد وشفع فى طاهر، فشفعه فيه»[1]، ولا يزال قبره حتى اليوم بمدينة بخارى معروفا[2].

أحمد بن إسماعيل (٢٩٥-٣٠١هـ)، أقره الخليفة المكتفي، وفى عهده استولى السامانيون على سجستان بعد حروب مع بقايا الصفاريين، مات فى رحلة صيد على يد سبعة من غلمانه، فحُمل إلى بخارى ولُقب بـ (الشهيد)[3].

نصر بن أحمد: نصر الثاني (٣٠١-٣٣١هـ) كان فى الثامنة من عمره حين مات أبوه، ومع ذلك أقره الخليفة المكتفي على بلاد أبيه وتلقب بـ (السعيد)، وضبط بلاده أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، وبالرغم من ثورة عم أبيه إسحاق بن أحمد بن أسد صاحب سمرقند عليه فى بداية الأمر إلا أن الهزيمة حلت به[4]، يقال إنه اعتنق المذهب الإسماعيلي وأنه كان يدعم حركة القرامطة[5] مما أغضب علماء الدين وقادة الحرس التركي الذين دبروا مؤامرة للإطاحة به، علم نصر بها، فتنازل عن العرش لابنه نوح ابن نصر، فرضى الترك بذلك، ثم أعلن نوح حربه على القرامطة، ومنذ تلك اللحظة لم يستطع القرامطة البقاء فى بلاد ما وراء النهر إلا خفية[6].

نوح بن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ): حارب القرامطة وأخذ زعيمهم وأعدمه شنقا إلا أنه لم يقض عليهم نهائيًا[7]، وفى عهده ثار أمراء الأقاليم واستقل كل واحد منهم بناحية، فواجه

(١) البداية والنهاية، مج ٦، ١١/ ١٢٥.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، ٣/ ٨١.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي باختصار، ٣/ ٨١، ٨٢.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، ٣/ ٨٢.

(٥) أكد ذلك الكاتب الإسماعيلي المعاصر: عارف تامر، أثناء حديثه عن أبي يعقوب إسحاق السجستاني صاحب رسالة (تحفة المستجيبين) حيث تحدث عن الداعي النخشبي وذكر أن له جهودا مع: نصر بن أحمد، حتى اعتنق المذهب.
ينظر: (خمس رسائل إسماعيلية)، تحقيق عارف تامر، منشورات دار الإنصاف سوريا، عام ١٩٥٦م.
وينظر: العرب والإسلام فى أوزباكستان، ص٩٤، بوريبوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، دون تاريخ أو طبعة.

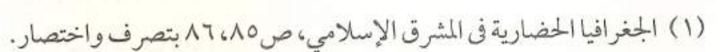
(٦) ينظر: تركستان، ص٣٧٥، ٣٧٦، وينظر: العرب والإسلام فى أوزباكستان، ص٩٤.

(٧) العرب والإسلام فى أوزباكستان، ص٩٤.

هذه الثورات وتصدى لها، ولم يكن النصر حليفه دائمًا مما أضعف الدولة السامانية. ومن أشد الصعوبات التي واجهته غزو ركن الدولة البويهي بلاد الري واستيلاؤه عليها، لكن جيش السامانيين استطاع أن يسترد الري بقيادة أبي على الأصفهاني، أحد قادة الأمير نوح، لكن هذا القائد سرعان ما انقلب على الأمير فاستولى على الري وأخذ خراسان وانحسر نفوذ السامانيين فلم يتجاوز حدود ما وراء النهر[١]. وفي عهده حدثت أزمات ماليه نتيجة الحروب مما أعجزه عن دفع الرواتب واضطره لزيادة الضرائب، وقد عارضه العلماء ومنهم الإمام الماتريدي، وكان افتقاد الدولة لتعاطف العلماء معها سببًا فى انهيارها[٢].

وبصفة عامة: فقد «تمتع أمراء السامانيين باستقلالية عن الخليفة كما يشير معظم المؤرخين وإن كانوا يلجأون إليه أحيانا لفض النزاع، كما أطلق عليهم المؤرخون من الفرس أحيانا لقب أمير المؤمنين»[٣] فلم يكن استقلالهم ذاك الاستقلال الذى يخرج عن الخلافة، بل كانوا «الأداة الطيعة المنفذة لأوامر خلفاء بنى العباس»[٤]، مما أعطاهم حرية فى الحركة تشبه الاستقلال فى القرار والحكم نتيجة الثقة من جانب الخلفاء فيهم، وقد اتجهوا نحو التوسع الخارجي متجنبين الدخول فى نزاعات داخلية؛ فكان لهم دور كبير فى نشر الإسلام فى بلاد التركستان بين الوثنيين[٥]. وهذه خريطة توضح موقع الدولتين الصفارية والسامانية ودخول سمرقند موطن الإمام الماتريدي ضمن الدولة السامانية[٦].

***



(١) الجغرافيا الحضارية فى المشرق الإسلامي، ص٨٥، ٨٦ بتصرف واختصار.

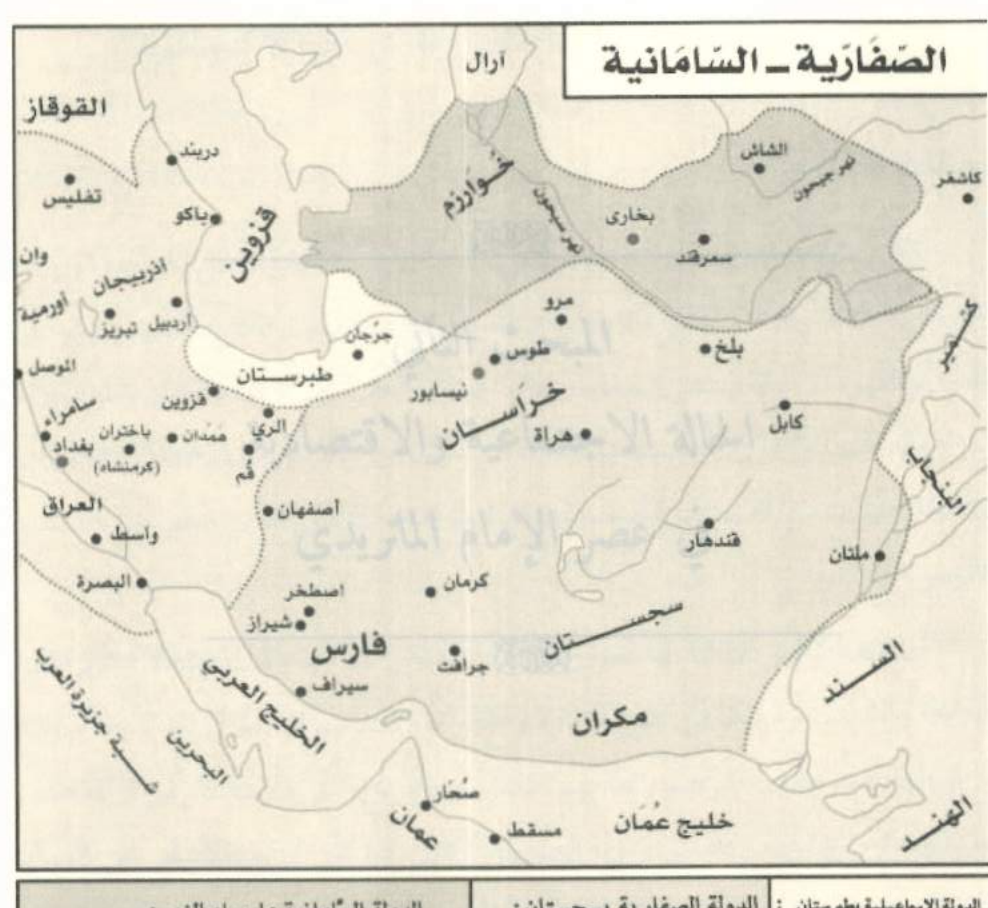
(٢) ينظر: العرب والإسلام فى أوزباكستان، ص٩٤، ٩٥. وينظر: شرح الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي، ص٤٥، دار المعرفة بيروت، د.ت.

(٣) تركستان، ص٣٥٤.

(٤) الخلافة العباسية، الهاشمي، ص٣٩٣، وتاريخ الدولة العباسية، ص١٩٤.

(٥) تاريخ الدولة العباسية، طقوش، ص١٩٢.

(٦) أطلس التاريخ العربي الاسلامى، ص٥٢، ٥٣، شوقى أبوخليل، دار الفكر دمشق ط١٥، سنة ٢٠٠٢م.



الدولة السامانية بما وراء النهر:
٢٦١ـ ٣٩٥هـ/ ٨٧٤ـ ١٠٠٤م:
١ـ مؤسسها نصر بن أحمد بن أسد بن سامان
٢ـ إسماعيل بن أحمد
٣ـ أحمد بن إسماعيل
٤ـ نصر بن أحمد
٥ـ نوح بن نصر
٦ـ عبدالله بن نوح
٧ـ منصور بن نوح
٨ـ نوح بن منصور
٩ـ منصور بن نوح
١٠ـ عبدالملك بن نوح
١١ـ إسماعيل بن نوح

الدولة الصفارية بسجستان:
٢٥٣ـ ٢٩٨هـ/ ٨٦٧ـ ٩١٠م:
١ـ أسسها يعقوب بن الليث الصفار وبدأ من سجستان
٢ـ عمرو بن الليث الصفار
٣ـ طاهر بن محمد بن عمرو
٤ـ الليث بن علي بن الليث
٥ـ المعدل بن علي بن الليث

الدولة الاسماعيلية بطبرستان:
٢٥٠ـ ٣١٦هـ
٨٦٤ـ ٩٢٨م
١ـ الحسن بن زيد
٢ـ محمد بن زيد
٣ـ الحسن بن علي (الأطروش)
٤ـ الحسن بن قاسم
ثم الدولة الزيارية

المبحث الثاني
الحالة الاجتماعية والاقتصادية
في عصر الإمام الماتريدي

المطلب الأول
الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة العباسية

ـ طبقات المجتمع:

كانت طبقات المجتمع فى العصر العباسي تتألف من: **طبقة عليا** تشمل الخلفاء والوزراء والقواد والولاة، وهؤلاء تمتعوا بكافة أنواع النعيم والترف، وفسد الكثير منهم، وبالغوا فى المجون واللهو، ثم **طبقة وسطى** شملت رجال الجيش والعلماء والشعراء والمغنين والموظفين، وهؤلاء قد اعتمدوا على ما تعطيهم لهم الدولة من أموال أو رواتب، ومعهم التجار والصناع، ثم **طبقة دنيا** تشمل أصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق الذين عانوا من الضنك والبؤس[1].

أما طبقة الرقيق فقد كانت مصر وشمال أفريقيا أهم أسواقها وقد استخدموا لأغراض الفلاحة والحراسة وغيرها من المهن المتدنية والحقيرة، ولكثرتهم البالغة فى بغداد وما حولها مع اضطهادهم وهضم حقوقهم وتطلعهم: كانت ثورة الزنج، التى دامت أكثر من أربعة عشر عامًا (٢٥٥-٢٧٠هـ) وكلفت الدولة العباسية الكثير. كما كثر الرقيق الأبيض من النساء والرجال، فعمل النساء منهم غالبا فى الغناء والرقص والتسري حتى كان العديد من الخلفاء من أمهات أصلهن من الرقيق، وكانت **سمرقند** مكانا صالحا لجلب هذا النوع منهن، أما الرجال من الرقيق فلم ينظر لهن نظرة ازدراء إذ كان منهم العلماء والقادة.

وكان المجتمع الإسلامي يتألف من عدد من القوميات المختلفة العرق هى: العرب والفرس والمغاربة، ثم دخل العنصر التركي فى عهد الخليفة المعتصم الذي اتخذهم حرسا له حتى أصبحوا خطرا على الدولة وكانوا من أسباب ضعفها.

---

(١) ينظر: العصر العباسي الثاني، د.شوقي ضيف، ص٥٣ فما بعدها، بتصرف واختصار، ط٣، دار المعارف.



كما وجد فى المجتمع الإسلامي: أهل الذمة من اليهود والنصارى، بل يكاد يكون نصف المجتمع الإسلامي منهم، وقد تمتعوا بحرية فى العقيدة وحرية في بناء دور عبادتهم[١]، وقد اعترفت الدولة بالمجوس على أنهم من أهل الذمة وكثر عددهم فى العراق وجنوب فارس[٢].

ـ الشعوبية (التعصب للعرق):

زادت حدة الشعوبية فى هذا العصر فكل عرق يعتز بقوميته ويحاول الحط من الآخرين، لاسيما العرب الذين كانوا قبل الإسلام أقل من الشعوب التي حولهم علما وحضارة وملكا فأعزهم الله بالإسلام ورفع قدرهم، لكن ضعاف النفوس لم يعجبهم ما فضل الله به بعضنا على بعض، مستغلين فى ذلك حرياتهم المكفولة وتسامح الدولة الإسلامية[٣].

وقد تصدى ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) والجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) لهذه النزعة فى العديد من الكتابات فكتب الجاحظ فى (البيان والتبين) بابًا طويلًا سماه (باب العصا) لطعنهم على العرب فى إمساكهم العصا أثناء الخطابة مما يشغل الذهن، كما كتب ابن قتيبة كتاب (العرب) و(أدب الكاتب)، وحاول فى (أدب الكاتب) أن يجمع بين كل هذه الثقافات؛ ليقول: إن الكل مهم وضروري ولا يُستغنى عن واحد بغيره[٤].

(١) مسألة تمتع أهل الكتاب بحرية كبيرة فى ديار الإسلام لا تحتاج إلى شواهد، وأكتفى هنا فقط بما يقوله المستشرق آدم متز فى كتابه القيم: (عصر النهضة فى الإسلام)، بعد أن تحدث عن حدود المملكة الإسلامية، قال: «وقد طوف ناصر خسرو فى هذه البلاد كلها فى القرن الخامس الهجري -الحادي عشر الميلادي - دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني الذى كان ينتقل فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر بعد المسيح».
ينظر: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة فى الإسلام)، آدم متز، تعريب: محمد عبدالهادي أبو ريدة، ١/ ٢٢، دار الكتاب اللبناني، ط٥، دون تاريخ.
وناصر خسرو: رحالة فارسي له كتاب «سفر نامه» ترجمه الدكتور يحي الخشاب، مطبوع فى دار الكتاب الجديد ببيروت.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي، ٣/ ٤٣٠ فما بعدها بتصرف واختصار.

(٣) ينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص١٥١ فما بعدها.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص٩٨ فما بعدها، بتصرف واختصار.

وكان من أسوأ ما نتج عن الشعوبية: الزندقة[١]، وقد اتخذت الزندقة **شكلين**[٢]:

الأول: الزندقة الحقيقية وهى الزندقة فى العقيدة، وكانت كلمة زندقة[٣] تطلق على كل من قال بالنور والظلمة وتبع أي ديانة من ديانات الفرس، ثم اتسع مدلولها فشملت كل ماجن إباحي ملحد خارج عن الأديان مشكك فى النبوات، فظهر فى هذا العصر أبو عيسى الوراق (ت٢٤٧هـ) الذي أثر فى تلميذه أحمد بن اسحاق الراوندي (ت٢٥٠هـ تقريبا) الذي كان بدوره معتزليًّا ثم ألحد[٤]، وقد رد عليه الماتريدي فى تفسيره فى أكثر من موضع[٥]، وفى كتاب (التوحيد) فى مواضع[٦]، وكان أهم من نقض عليه آراءه عبد الرحيم بن محمد المعروف بالخياط فى كتابه: (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد)[٧].

الثاني: الزندقة الشكلية، والتى تتمثل فى كثرة المُجَّان والخلعاء الذين لا يرعون حرمات

(١) فى ارتباط الشعوبية (الموجهة ضد العرب باحتقارهم) بالزندقة قديما وحديثا، يقول الجاحظ: «إن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدال المؤدي إلى الضلال، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تتنقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هى التى جاءت به، وهي السلف والقدوة» أ.هـ. ينظر: الحيوان، للجاحظ، ٧/ ١٣١، ط دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

(٢) ينظر: تيارت ثقافية، ص١٣١ فما بعدها.

(٣) يقول الدكتور الحوفي: «كلمة (زنديق) محرفة من (صدِّيق) التى تستعمل فى العربية والعبرية بلفظها ومعناها، وهى بالآرامية والسريانية (زديق) ومن الثابت أن الفارسية الفهلوية تأثرت بالآرامية وحرفوها بعض التحريف فنطقوها (زَنديق) ثم نقلها العرب عنهم وكسروا زايها لتنسجم مع كسرة الذال، وكانت الكلمة تطلق أول الأمر على المؤمن المخلص من أتباع ماني لكن الزرادشتيين نظروا إلى المانوية على أنهم ملاحدة خوارج على الزرادشتية، فأطلقوا الكلمة على كل الملاحدة، وهذا هو المعنى الذى ما زال يفهم من الكلمة فى العصور الاسلامية» أ.هـ. ينظر: تيارات ثقافية، ص١٣٠ و١٣١.

(٤) ينظر: من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، عبد الرحمن بدوي، ص٢٠٦ فما بعدها، سينا للنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

(٥) ينظر مثلاً: غافر: ١١ - ٤ / ٣٣٤.

(٦) ينظر مثلا: ص ٢٥٨، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤. ط دار صادر.

(٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني ص ١٠٠ فما بعدها.

الدين وإن لم يكفروا بالإسلام أو يخرجوا منه، كما أُطلق على: إبراهيم بن سيار النظام لمجونه، ومثل: كادم حفيد عمر بن عبد العزيز[1].

ويذكر ابن الأنباري فى (نزهة الألباء) سبب من تزندق بالعراق فيقول: «وروى الأصمعي عن الخليل بن أحمد عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية»[2].

* * *

(١) أما كادم هذا فقد قال شعرا ماجنا فأحضره المهدى وضربه ثلاث مئة سوط على أن يقر بزندقته «فقال: والله ما أشركت بالله طرفة عين، ومتى رأيت قرشيا تزندق؟ لكنه طرب غلبني وشعر طفح على قلبي، وأنا فتى من قريش أشرب النبيذ، وأقول ما قلت على سبيل المجون»أ.هـ. ينظر: تيارات ثقافية، ص١٣٧.

(٢) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، ص٣١، ط٣، ١٩٨٥م، مكتبة المنار بالأردن.

المطلب الثاني

الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة السامانية

ـ انتعاش اقتصادي:

كان الطابع المميز للمجتمع قبل الإسلام ببلاد ما وراء النهر قد تمثل فى سيطرة طبقة ملاك الأراضى الذين تمتعوا بنفوذ قوى بتحالفهم مع رجال الدين[1]؛ إلا أن الأمور تحسنت تدريجيا مع دخول الإسلام لا سيما فى الدولة السامانية فـ«سواد الشعب قد تحسنت أحواله فى عهد السامانيين بدرجة ملحوظة؛ وذلك لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة، وكان أهل الحرف يشترون الأراضي بمعاونة الحكومة...ولعل أفضل تصوير لنمو الصناعة والتجارة ببلاد ما وراء النهر ما ينعكس فى قائمة المنتجات التى عرفت بها كل مدينة»[2].

وبعد أن أورد بارتولد قائمة المنتجات[3]، قرر أن «سكان ما وراء النهر كانوا يمتلكون كل شئ بوفرة ولم يكونوا فى حاجة إلى شئ من الأقطار الأخرى»[4]. كما يمكن أن نضيف إلى أسباب ذلك الانتعاش الاقتصادي: «منع السخرة والإلزام من غير وجه حق» كما أن «الضرائب والعوائد لم تكن مرهقة»[5].

(١) تركستان، ص٢٩٧ بتصرف واختصار.

(٢) تركستان، ص٣٦٤ باختصار.

(٣) أشار فى ذكره لقائمة المنتجات إلى تأثر الصناعة هناك بالصناعة فى مصر خاصة فى جانب المنسوجات، قال: «ومما يقف دليلا على ذلك اطلاق اسم (الدبيقي) نسبة الى بلدة (دبيق) فى مصر على ضرب من النسيج انتشرت صناعته بخوارزم هذا فضلا عن الثياب الأشمونية»أ.هـ. ينظر، ص٣٦٦، ٣٦٧.
وقال ياقوت الحموي (معجم البلدان ٢/ ٤٣٨، ط دار صادر): «دبيق بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر تنسب إليها الثياب الدبيقية» أ.هـ.
ودبيق مكان خرب لم يبق منه شيء، كما ذكر صاحب تاج العروس في مادة (دبق): ٢٥/ ٢٧٦.

(٤) تركستان، ص٣٦٦.

(٥) تركستان، ص٣٦٩، بتصرف واختصار.

ـ موقع سمرقند وأثره الاجتماعي الاقتصادي:

تبدو المنطقة مزدحمة بالسكان - بحسب المؤرخين والجغرافيين - لأنها ملتقى طرق، بالرغم من كونها ليست عاصمة الدولة، كما أنها لم تأخذ تلك المكانة إلا فى عهد السامانيين، يقول بارتولد: «لقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة وعدد السكان أُولى مدن ما وراء النهر قاطبة حتى فى تلك العهود التى كانت فيها بخارى عاصمة للبلاد كما حدث فى عهد السامانيين، وهذه المكانة ترجع إلى موقعها الجغرافى الفريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الهند مارة ببلخ، ومن إيران مارة بمرو، ومن أراضى الترك، كما امتازت المنطقة المحيطة بها من خصب فوق المألوف جعل من الميسور لعدد هائل من السكان أن يجتمعوا فى بقعة واحدة، غير أن سمرقند لم تشتهر فى الأزمنة القديمة بذلك الامتداد الذى عرف لها فى عهد السامانيين»[1]. وقد قُدِّر «عدد سكان سمرقند فى عهد السامانيين بنصف مليون نسمة»[2].

ـ طبيعة المنطقة وأهلها:

عرف أهل سمرقند بأنهم أهل شغب وتمرد على الأمراء[3] حيث إن «حمل السلاح لم يكن قاصرًا على الحرس والمطوعة وحدهم؛ بل انتشر آنذاك بين أهالي ما وراء النهر، الأمر الذى كان من شأنه أن يجعل شطحهم يتخذ طابع الخطر على الحكومة خاصة فى المواقع الحضرية»[4].

أما أهلها فهم: «أهل الخير والصلاح فى الدين والعلم والسماحة، فإن الناس فى أكثر ما وراء النهر كأنهم دار واحدة، وما ينزل أحد بأحد إلا كأنه بدار نفسه من غريب وبلدي، وهمة كل امرئ منهم على الجود والسماح فيما ملكت يده من غير سابقة معرفة أو توقع مكافأة»[5].

---

(١) تركستان، ص١٧٠.

(٢) تركستان، ص١٧٦ بتصرف.

(٣) ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليمات، ص٨١، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

(٤) تركستان، ص ٣٧٠.

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ص٥٥٨، دار صادر، بيروت.

ويجمع المقدسي الأمرين: الشغب والعيش الهني، فيقول:

«سمرقند قصبة الصغد ومصر الإقليم، بلد سري جليل عتيق، ومصر بهي رشيق، رخي كثير الرقيق، وماء غزير بنهر عميق بناء قوي سني وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق وعيش هني إليها الطريق.. وخيل ورجل ومال دفيق.. ومدن نفيسة وأشجار وأنهار وتناء وتجار، في الصيف جَنة، أهل جماعة وسنة، ومعروف وصدقة وحزم وهمة، غير أن في أهلها وهوائها بردا، جفاة مع الغرباء، يشغبون على الأمراء، وفيهم نفخ وعجب ومراء»[1].

***

---

(١) أحسن التقاسيم، ص٢٢٣.

المبحث الثالث

الحالة العلمية والفكرية في عصر الإمام الماتريدي

المطلب الأول

الحالة العلمية والفكرية في الدولة العباسية[1]

ـ العلوم من الرواية إلى التدوين والتصنيف:

يشير الإمام السيوطي إلى ذلك التحول الذى طرأ على العلم فى أمة الإسلام، فبعد أن كان العلم ينقل شفاهة أصبح يدون ويصنف، مما كان له أثره فى ازدهار العلوم وحدوث عملية التراكم التي تصنع الحضارات، فعند ذكره لخلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) قال: «في سنة ثلاث وأربعين (ومائة) شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير؛... وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة»[2].

ـ الموالى والعجم حملة علوم الإسلام:

يقول العلامة عبد الرحمن ابن خلدون رحمه الله: «من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم...وإن كان منهم العربي فى نسبته فهو أعجمي فى لغته ومرباه ومشيخته... ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم... وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة فى الدولة العباسية..مع ما يلحقهم من الأنفة فى انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع»[3].

(١) اعتمدت فى هذا الفصل بالإضافة إلى المراجع التى سأذكرها فى حينها على: تاريخ التراث العربي لسزكين، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي، وتاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني لشوقى ضيف، والفهرست لابن النديم وطبقات الشافعية للسبكى، وغيرها.

(٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص٢٠٨ باختصار، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م.

(٣) مقدمة ابن خلدون، فصل: أن حملة العلم فى الاسلام أكثرهم العجم، ص١٢٤٧ تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي، باختصار، ومن الجدير بالذكر هنا أن الدكتور أحمد الحوفي فى كتابه (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) لم يرتض هذا الكلام من ابن خلدون وناقش دعواه فى صفحات كثيرة (من ٢٣٤ الى ٢٧٨) =

ـ تمييز العلوم وحملتها:

يقول ابن خلدون: «وأما العلوم العقلية فلم تظهر فى الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه، واستقر العلم كله صناعة»[1].

ويقول ابن خلكان (ت٦٨١هـ): «اجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟، فقال: رأيت رجلا علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟، قال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه»[2]، ولا شك أن ابن المقفع قد غلب على ثقافته النقل والترجمة والتأثر بآراء غيره، على حين غلب على الخليل الابتكار والإبداع[3] فهو أول من فرع قواعد النحو، وأول من صنف المعاجم، وأول من تكلم فى العروض[4]، ومن هنا ميز المسلمون بين تلك العلوم التى تتصل بالقرآن وبين تلك التى أخذوها من غيرهم من الأمم **فالأولى** سميت: علوم نقلية، شملت: القراءات والتفسير والحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والبيان والأدب، أما **الثانية** فسميت: عقلية أو حكمية أو قديمة، وشملت الفلسفة والهندسة والنجوم والموسيقى والطب والسحر والكيمياء والتاريخ والجغرافيا[5].

= وتدور ردوده حول كون هؤلاء الذين أسسوا العلوم وحملوها واعتنوا بها وإن يكن أصلهم غير عربي فإنهم عرب المربى والنشأة والثقافة، إلى كلام آخر مفيد. وكان دافعه إلى هذا كما يفهم: رد هجمات المستشرقين على العرب والعروبة، ونحن هنا لم يكن دافعنا بأكثر من وصف الواقع دون تقييم هذا الواقع بالإيجاب أو السلب أو تحميل الكلام أكثر مما يحتمل.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص١٢٤٧، مرجع سابق.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد لابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، ٢/ ٢٤٦، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

(٣) جاء في وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥: «قيل إن الخليل دعا بمكة أن يُرزق علما لم يسبقه أحد إليه لا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجه ففتح عليه بعلم العروض.. وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني فى حق الخليل بن أحمد فى كتابه الذى سماه (التنبيه على حدوث التصحيف): وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل»أ.هـ. باختصار.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي، ٢/ ٢٦٥.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي، مرجع سابق، باختصار، ٢/ ٢٦٤.

أما علماء الدين فصاروا فريقين: الفقهاء والعلماء، بعد أن تميز علم الفقه عن غيره، وكان صاحب العلوم الدنيوية يسمى كاتبا، فكان العلماء يلبسون الطيلسان، وكانت فارس هي مركز الكُتَّـاب وكانوا فى مدينة شيراز يُرفعون على العلماء، ولكن خراسان كانت جنة العلماء لا يزال العلماء بها إلى اليوم يتمتعون باحترام وتبجيل[1]؛ ثم وصلت العلوم الإسلامية ذروتها فيما عرف بـ«عصر النهضة فى الإسلام» الذى اعتبره آدم متز[2] هو القرن الرابع الهجرى، وأرخ له في مؤلفه القيم الذي يعد عمدة في بابه.

ـ أحوال العلوم وتطورها:

بالرغم من التمزق السياسي الذي عاشته الدولة الإسلامية، فقد ازدهر العلم والأدب فى تلك الولايات المستقلة أو المنتسبة إليها اسميا «حيث قامت فى جميع أرجاء العالم الإسلامي أسرًا حاكمة استقلت بمناطقها ودخل بعضها مع البعض الآخر فى حروب طاحنة، ونظرًا لأن كل أمير قد جهد فى أن يجعل من عاصمته مركزا للثقافة والحضارة فقد اجتذبوا إليهم الشعراء والأدباء وأهل العلم، حتى إنه ليمكن القول إن انحلال الإمبراطورية الإسلامية قد أعان على ازدهار العلوم والآداب إن لم يكن من حيث الكيف فلا أقل من حيث الكم»[3].

وسوف أتناول هنا أهم تلك العلوم ومدى تطورها فى هذا العصر.

أما علوم القرآن فقد كان مصطلح علوم القرآن فى تلك الفترة يعنى: التفسير وما يشتمل عليه من علوم مختلفة، فلم يكن يعنى ذلك المعنى الاصطلاحى الذى يعنى «طوائف المعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء أكانت تصورات أم تصديقات» على حد قول العلامة الزرقانى رحمه الله[4]، يدل على ذلك ما ألفه الإمام أبو الحسن الأشعرى (ت٣٢٤هـ) قال ابن

---

(١) ينظر: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري، ١/ ٣٢٠ فما بعدها باختصار وتصرف.

(٢) قال في الأعلام (١ / ٢٨١، ٢٨٢): «أدم متز (٠٠٠ - ١٣٣٥ هـ = ٠٠٠ - ١٩١٧ م) مستشرق سويسري ألماني. كان أستاذا للغات الشرقية في جامعة بال بسويسرة. له كتاب بالألمانية، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، وسماه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ - ط) جزآن»أ.هـ

(٣) تركستان، ص٦٧، ٦٨.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، ١/ ٢٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

العربي: «وانتدب أبو الحسن الأشعري إلى كتاب الله فشرحه فى خمسمائة مجلد وسماه (المختزن فى علوم القرآن)»[1] ومثله كتاب (الاستغناء في علوم القرآن) «لأبي بكر محمد بن علي الأدفوي (ت٣٨٨هـ) فهو كتاب فى التفسير ويقع فى مائة وعشرين مجلدًا» على حد قول الداوودى فى الطبقات[2]، ويبدو أن الأمر قد استمر على ذلك فمثلا: أبوالحسن على بن إبراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) له كتاب (البرهان فى علوم القرآن)، والعلامة الزرقاني وإن قال إنه كتاب فى علوم القرآن إلا أن الداوودى فى الطبقات قال فى ترجمته «له تفسير جيد سماه (البرهان فى تفسير القرآن)»[3].

أما علوم القران كفَنٍّ مدون فيمكن عَد كتاب الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ)[4] المسمى: (العقل وفهم القرآن) من طليعة ما أُلف فى هذا الميدان وإن لم يكن باسم: علوم القرآن حيث عالج فى كتابه قضايا: المحكم والمتشابه، والمكى والمدنى والناسخ والمنسوخ وغيرها؛ مما يعلمه من اطلع على الكتاب[5].

كما وجدنا محمدًا بن القاسم بن بشار أبو بكر الأنباري (ت:٣٢٨هـ)[6] يؤلف كتاب

(١) نقلا عن: الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير، الدكتور عدنان زرزور، ص١٦٤.

(٢) طبقات المفسرين، الداوودى، ت: على محمد عمر ٢/ ١٩٧، مكتبة وهبة ط١، ١٩٧٢.

(٣) ينظر: مناهل العرفان، في مبحث التأريخ لعلوم القرآن بالمجلد الأول، وطبقات الداوودى: ١/ ٣٨٨.

(٤) قال في وفيات الأعيان(٢ / ٥٧): «أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور؛ أحد رجال الحقيقة، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن، وله كتب في الزهد والأصول وكتاب الرعاية له، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً، قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى»أ.هـ.

(٥) حقق الكتاب الدكتور حسين القوتلي، وهو من مطبوعات دار الكندي ودار الفكر، طبعته الثالثة ١٩٨٢م.

(٦) قال في نزهة الألباء (ص١٩٧ فما بعدها): «وأما أبو بكر محمد بن القاسم بشار الأنباري النحوي، فإنه كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة؛ وكان زاهداً متواضعاً. أخذ عن أبي العباس ثعلب. وكان ثقة صدوقاً، من أهل السنة، حسن الطريقة. وألف كتباً كثيرة في علوم القرآن والحديث واللغة والنحو... وكان يكتب عنه وأبوه حي، وكان يملي في ناحية المسجد وأبوه في ناحية أخرى. وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم: كان أبو بكر الأنباري يحفظ - فيما ذكر - ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن.. وقال محمد بن العباس الخراز: ولد أبو بكر سنة إحدى وسبعين ومائتين، وتوفي ليلة النحر من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة «أ.هـ. باختصار.

(علوم القرآن) فيتحدث فيه عن بعض المباحث التى تدخل فى علوم القرآن باصطلاحنا، مثل: فضائل القرآن، وشرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، وكتابة المصحف وهجاءه، وأجزاء القرآن وأرباعه وأخماسه وأسداسه، والسور المكية والمدنية، وأدب الوقف والابتداء، والمتشابه[1].

ويبدو أن أول ما أُلف من علوم القرآن أو تفسيره كان تفسير المشكل من آياته وسوره، فكان أول اهتمامهم بعلم إعراب القرآن؛ لأن الإعراب هو المفصح عن المعنى؛ لذا فإن «هناك روايات كثيرة تقول بأن أبا الأسود الدُّؤلى (ت٦٩هـ)[2] أو تلميذه نصر بن عاصم (ت٨٩هـ)[3] قد قام بوضع أول علامات تدل على الحركات والتنوين بتكليف من زياد بن أبيه (ت٥٣هـ) مما جعل بعض الصحابة والتابعين يعترضون كعبد الله بن عمر (ت: ٧٣هـ) وقتادة (ت: ١١٨هـ) والنخعي (ت: ٩٦هـ) ومحمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ)»[4].

(١) نقلا عن: السيد أحمد خليل: نشاة التفسير فى الكتب المقدسة والقران ص ٤٥، ٤٦، ط١، ١٩٥٤. ولم أقف على كتاب الأنباري هذا.

(٢) قال في الأعلام (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧): «أبوالأَسْود الدُّؤَلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو، فكتب فيه. وأخذه عنه جماعة. وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير. سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في أيام علي، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل عليّ. وكان قد شهد معه (صفين) ولما تم الأمر لمعاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه. وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف. وله شعر جيد، مات بالبصرة» أ.هـ.

(٣) قال في الأعلام (٨/ ٢٣، ٢٤): «نَصرْ بن عَاصِم الليثي: من أوائل واضعي النحو. قال أبو بكر الزبيدي: أول من أصّل علم العربية وأعمل فكره فيه، أبو الأسود الدؤلي، ونصر ابن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابا، وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وقال ياقوت: كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب في العربية. وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات، وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدوانيّ، وأخذ عنه أبو عَمْرو بن العلاء. مات بالبصرة» أ.هـ.

(٤) تاريخ التراث العربي، سزكين مج ١، ١/ ٢٠.

واستمر هذا العلم فى النمو شيئا فشيئا حتى جاء سيبويه (ت١٨٠هـ) وهو من أتباع التابعين فألف (الكتاب) الذى ملأه بالشواهد القرآنية.

كما ظهرت بعد ذلك كتب (معاني القرآن) فألف فيها كل من: الفراء (ت٢٠٧هـ) والأخفش (٢١٥هـ) والزجاج (٣١١هـ) والنحاس (ت٣٢٨هـ).

فالفراء مثلا ينص على أن كتابه فى «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه»[١]

كما حفل العصر بعدد كبير من تفاسير أهل السنة وغيرهم نعرض لها فى حينها إن شاء الله.

أما **علم القراءات** فقد تكاثرت القراءات نتيجة اختيار كل قارئ مما رواه عن شيوخه وأقرأ به، وبعضهم كان يقرأ بما رآه موافقا لوجوه النحو وإن لم يوافق رسم المصحف - أو يرفض بناء على ما يراه موافقا لقواعد النحو كذلك - وبعضهم يقرأ بها كان يعد من التفسير عن ابن مسعود وغيره، حتى قُرِئ بالشاذ و«كثر بينهم الاختلاف وقل الضبط واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة، فبالغوا فى الاجتهاد وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات وميزوا المشهور والشاذ والصحيح والفاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها»[٢]، وكان أبرزهم فى هذا العصر أبو بكر أحمد بن موسي بن العباس ابن مجاهد المقرئ (٢٤٥هـ/ سنة٣٢٤هـ) وكان أول من جمع القراءات السبع، وكان إمام القراء ببغداد منذ سنة ٢٩٠هـ فألف فيها (السبعة فى منازل القراء)، و(اختلاف قراء الأمصار)[٣]، والسبعة المجموعة ليست هى الأحرف الواردة فى الحديث بل هي أشهر وأصح القراءات التى رآها ابن مجاهد.

وكان ذلك بعد أن قُرِئ بالشاذ حتى إن الوزير أبو على بن مقلة[٤] ضرب ابن شنبوذ

---

(١) معاني القرآن، للفراء: ١/ ١.

(٢) النشر فى القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، أشرف عليه: على محمد الضباع، ١/ ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، دزن تاريخ.

(٣) ذكر أماكن وجودهما سزكين فى تاريخ التراث العربي ١/ ٤٤، وانظره ١/ ٣ فما بعدها، وينظر: الفهرست ١/ ٢٥ فما بعدها، وينظر: تاريخ الأدب العربي ٤/ ١ فما بعدها.

(٤) قال في الأعلام (٦/ ٢٧٣، ٢٧٤: «ابن مُقْلَة (٢٧٢ - ٣٢٨هـ = ٨٦٦ - ٩٤٠ م) محمد بن علي بن الحسين =

(ت: ٣٢٨هـ)[١] «بالسوط واضطره أن يتبرأ من قراءات قرأ بها وأخذ خطه بالتوبة عنها فكتب: «يقول محمد بن أيوب قد كنت أقرأ حروفا تخالف مصحف عثمان المجمع عليه والذى اتفق أصحاب الرسول ﷺ على قراءته، ثم بان لى أن ذلك خطأ، وأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله جل اسمه منه برئ؛ إذ كان مصحف عثمان هو الحق لا يجوز خلافه ولا يقرأ بغيره»[٢].

كما كان فى تلك الفترة أبو بكر العطار المقرئ (ت: ٣٥٤هـ)[٣] «وكان قرأ بحروف

= بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦ هـ ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ فجيء به من بلاد فارس، فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فاختبأ (سنة ٣٢١) واستوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤ فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦) وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه. قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات» أ.هـ.

(١) قال في الأعلام (٥/ ٣٠٩): «ابن شَنَبُوذ (٣٢٨ هـ) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن، ابن شنبوذ: من كبار القراء من أهل بغداد. انفرد بشواذ كان يقرأ بها في المحراب.. وصنف في ذلك كتبا، منها «اختلاف القراء» و«شواذ القرآت» وعلم الوزير ابن مقلة بأمره، فأحضره وأحضر بعض القراء، فناظروه فنسبهم إلى الجهل وأغلظ للوزير، فأمر بضربه، ثم استتيب غصبا ونفي إلى المدائن. وتوفي ببغداد، وقيل: مات في محبسه بدار السلطان» أ.هـ. باختصار.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص ٣٥، والحضارة الإسلامية فى القرن الرابع: ١/ ٣٦١.

(٣) قال في نزهة الألباء (ص٢١٥): «أبو بكر العطار، وأما أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار المقرئ النحوي، أخذ عن ثعلب. وكان من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعلمهم بالقراءات، وله في التفسير ومعاني القرآن كتاب سماه الأنوار، وله في علمي القراءات والنحو تصانيف حسنة. ومما طعن عليه أنه عمد إلى حروف يخالف الإجماع فيها، فقرأها وأقرأها على وجوه، وذكر أنها تجوز في اللغة العربية، فأنكروا عليه، وارتفع الأمر إلى السلطان، فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء، فأذعن بالتوبة، وكتب محضر توبته... وقيل: إنه لم ينزع عن تلك الحروف، وكان يقرأ بها إلى حين وفاته.

ذكر أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ، صاحب أبي بكر بن مجاهد، في كتابه الذي سماه «البيان» وقد نبغ نابغ =

تخالف الإجماع واستخرج لها وجوها من اللغة ذكرها فى كتابه (الاحتجاج للقراء).. وزعم العطار أن كل ما صح فى العربية من كلمات توافق خط المصحف فقرائتها جائزة.. فأنكرها أهل العلم.. وكتبت توبته بمحضر من العلماء»[1].

أما علم الحديث فما إن أهل القرن الثاني الهجري حتى انتقل هذا العلم من الرواية الشفوية إلى التدوين بأمر من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[2]، ثم شاع التدوين في كل أنحاء العالم الإسلامي، وتم ذلك على يد أبناء الجيل التالي لجيل الإمام الزهري (ت: ١٢٤هـ)[3]، بدءًا بابن جريج (ت: ١٥٠هـ)[4] الذي كان أول من دوّن الحديث بمكة.

= في عصرنا هذا، وزعم أن كل ما صح عنده في العربية من القرآن يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، وابتدع بدعة حاد بها عن قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله. ثم ذكر أبو طاهر كلاماً قال بعده: دخلت عليه شبهة لا يخفى فسادها على ذي لبٍ وفطنة صحيحة، وذلك أنه قال: لما كان لخلف هشام بن أبي عبيد وابن سعدان أن يختاورا، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان ذلك أيضًا لي غير مستنكر، ولو حذا حذوهم، وسلك طريقا كطريقهم، لان ذلك مباحاً له ولغيره غير مستنكر، وذلك أن خلفاً ترك حروفا من حروف حمزة، واختار أن يقرأ على مذهب نافع، وأما أبو عبيد وابن سعدان فلم يجاوز واحد منهما قراءة أئمة القراء بالأمصار؛ ولو كان هذا الغافل نحا نحوهم، كان مسوغاً له ذلك غير ممنوع منه؛ ولا معيب عليه، بل إنما كان النكير عليه لشذوذه عما كان عليه الأئمة الذين هم الحجة فيما جاءوا به مجتمعين ومختلفين. وحكى أبو أحمد العروضي، قال: رأيت في المنام كأني في المسجد الجامع أصلي مع الناس، وكان محمد بن مقسم قد ولى ظهره القبلة، وهو يصلي مستدبرها؛ فأتأول ذلك مخالفة الأئمة فيما اختار لنفسه في القراءات. وقال محمد بن الفوارس: توفي ابن مقسم في شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة، وذلك في خلافة المطيع» أ.هـ. باختصار.

وينظر ترجمته أيضًا في طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٣١ فما بعدها.

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع: ١/ ٣٦٢ بتصرف واختصار.

(٢) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ١٠٤، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

(٣) قال في (الأعلام: ٧ / ٩٧): «الزُّهْري محمد بن مسلم بن شِهَاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند. وعن أبي الزناد: كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقرّ بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه. قال ابن الجزري: مات بشَغْب، آخر حدّ الحجاز وأول حد فلسطين» أ.هـ.

(٤) قال في (تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي: ١ / ١٢٧ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، =

أما القرن الثالث «فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتآليفهم العظيمة الخالدة» على حد قول الدكتور السباعي رحمه الله. وقد توزعت هذه التآليف بين المسانيد والصحاح والسنن، والكتب التي تناولت قواعد الحديث ومصطلحاته وعلله وأحكامه ورجاله والجرح والتعديل، بالإضافة إلى بعض الكتب التي دافعت عن السنة في وجه المنتقدين والمشككين، ويأتي في مقدمة هذه الكتب الأخيرة كتاب (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ).

أما كتب المسانيد: فقد ابتدأ التأليف في هذا القرن بالمسانيد، وهي الكتب التي يجمع فيها المؤلف ما يروى عن الصحابي في باب واحد. **وأهم هذه المسانيد:** مسند عبد الله بن موسى (ت: ٢١٣هـ) وهو أول من ألف بهذه الطريقة. ومسند مسدد البصري (ت: ٢٢٨هـ) ومسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٧هـ) ومسند عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ) ومسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) ومسند عبد بن حميد (ت: ٢٤٩هـ) والمسند الكبير لبقي بن مَخْلَد الأندلسي (ت: ٢٧٦هـ). ومسند محمد بن نصر المروزي (ت: ٢٩٤هـ)[1].

وأما كتب الصحاح: فقد ظهر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) وقرر

= ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م): «الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد ويقال أبوخالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي الفقيه. صاحب التصانيف أحد الأعلام: حدث عن أبيه ومجاهد .. وخلق كثير، ولد سنة نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم.. قال أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم. وهو وابن أبي عروبة، أول من صنف الكتب. وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج، كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله. ويقال: إن عطاء قيل له: من نسأل بعدك؟ قال: هذا الفتى إن عاش، يعني ابن جريج. قلت: كان ابن جريج ثبتا لكنه يدلس.. وقال جرير: كان ابن جريج يرى المتعة؛ تزوج ستين امرأة. قال ابن المديني: لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جريج.. وقيل: سمع من مجاهد حرفين في القراءات وقال عبد الوهاب بن همام: قال ابن جريج: لزمت عطاء ثمانية عشر عاما. قال الواقدي: مات ابن جريج في أول ذي الحجة سنة خمسين ومائة...قال أبو عاصم كان ابن جريج من العباد؛ كان يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر. وكانت له امرأة عابدة. قال بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: استمتع ابن جريج بتسعين امرأة حتى إنه كان يحتقن في الليلة بأوقية شيرج طلبا للجماع» أ.هـ. باختصار.

(١) ذكر الدكتور شوقى ضيف أن هذا المسند توجد منه نسختان مخطوطتان فى دار الكتب المصرية، ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص١٦٤.

أن ينحو في التأليف منحى جديدًا، وذلك بأن يقتصر على الحديث الصحيح فقط دون ما عداه، فألف كتابه: الجامع الصحيح، وتبعه في طريقته معاصره وتلميذه الإمام مسلم (ت: ٢٦١هـ) فألف صحيحه المشهور[1].

أما كتب السنن: فقد جاء تأليف هذه الكتب في سياق تأليف كتب الصحاح وإن كانت قواعد أصحاب السنن الأربعة المشهورة في هذا الحكم لم تبلغ ما التزمه الإمام البخاري.

وهذه السنن هي: **سنن النسائي** (٢١٥- ٣٠٣هـ) وصاحبها هو الإمام الفقيه الشافعي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، **وسنن أبي دواد** (٢٠٢- ٢٧٥هـ) للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني، المعروف بأبي داود. **وسنن الترمذي** (٢٠٩- ٢٧٩هـ) أو الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي. **وسنن ابن ماجه** (٢٠٩- ٢٧٣هـ) وهو الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

أما القرن الرابع الهجري الذي يمثل عصر النهضة في الإسلام فإنه لم يشهد تطورًا أو ارتقاءً ذا بال، وكان صنيع رجالات القرن «جمع ما جمعه من سبقهم والاعتماد على نقدهم، والإكثار من طرق الحديث»[2] حتى إن الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في مقدمة كتابه (ميزان الاعتدال) عد رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث والمشتغلين به. كما «نشأ فى القرن الرابع رسم جديد وهو الذي يجيز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله.. فحلت الكتب محل الأسفار.. فقد استطاع ابن يونس الصفدي (ت: ٣٤٧هـ) أن يكون إماما متيقظا فى الحديث وإن كان لم يرحل ولا سمع بغير مصر.. ويقول أبو حاتم السمرقندي (ت: ٣٥٤هـ): لعلنا كتبنا عن ألف شيخ ما بين الشاش والإسكندرية»[3].

وأما علم الفقه فقد ظهرت في الفقه الإسلامي مدرستان علميتان كبيرتان هما مدرسة أهل الرأي في العراق، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة. وكان أئمة الفقه الأربعة:

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٠٦.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور السباعي رحمه الله، ص١٠٦.

(٣) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري: ١/ ٣٥٣، ٣٥٤ باختصار.

أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، ومالك (ت: ١٧٩هـ)، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وابن حنبل (ت: ٢٤١هـ) قد أسسوا مذاهبهم وأصبح لهم تلاميذ يحملون علومهم، وكان العصر لا زال عصر اجتهاد ولم يبدأ عصر التقليد بعد[1] فظهر عدد من المجتهدين الذين لم يكتب لمذاهبهم البقاء من أمثال: أبي ثور (ت: ٢٤٠هـ) والأوزاعي (ت: ١٥٧هـ) وداوود الظاهري (ت: ٢٧٠هـ) ومحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)؛ «لأن تلاميذهم لم يقوموا بتدوينها»[2].

وأشهر فقهاء هذا العصر: فى المذهب الحنفي: أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني الخصاف (ت: ٢٦١هـ) وإمامي أهل السنة: الإمام الماتريدي السمرقندي (ت: ٣٣٣هـ)، والإمام الطحاوي المصري (ت: ٣٢١هـ) الذى انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر وصاحب العقيدة المشهورة، وهو الذى نشر بها المذهب وعمل على إذاعته.

وفى **المذهب المالكي**: لمع اسم عبد السلام بن سعيد بن حبيب المشهور بسحنون (ت: ٢٤٠هـ) وهو الذى نشر المذهب فى المغرب، وله (المدونة الكبرى) التى لا تزال ذائعة الصيت بين المالكية. وفى **المذهب الشافعي**: لمع اسم المزني إسماعيل بن يحي (ت: ٢٦٤هـ) ناصر المذهب وبدر سمائه، وله (مختصر المزنى). معروف متداول. وفى **المذهب الحنبلي**: اشتهر اسم الخرقي أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله (ت: ٣٣٤هـ) وله (المختصر) فى الفقه، مطبوع.

وكان أشهر الأصوليين فى القرن الثالث الهجري: «الشافعي وابن حنبل من الأئمة المجتهدين، وبشر بن غياث المريسي (ت: ٢١٨هـ) زعيم الطائفة المريسية، وإبراهيم النظام (ت: ٢٣١هـ) رئيس الطائفة النظامية»[3]، وكان هذا القرن «أكثر إنتاجا وتأليفا من سابقه لكثرة المناظرات بين رجال المذاهب وذلك يقتضى العناية بالتدريس والتأليف»[4].

(١) يبدأ عصر التقليد من منتصف القرن الرابع الهجرى إلى يومنا هذا.
ينظر: الفتح المبين فى طبقات الأصوليين: ١/ ٣٣.

(٢) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين: ١/ ٢٢.

(٣) السابق: ١/ ١٢٣.

(٤) السابق: ١/ ٢٥.

وأما علم الكلام[1] فكانت المعتزلة فى بداية العصر فى أوج ازدهارهم، حتى جاء المتوكل وحرم الكلام ونصر مذهب أهل السنة، فظهر أئمة السنة الثلاثة: أبو الحسن الأشعري فى العراق، وأبومنصور الماتريدي فى سمرقند، وأبوجعفر الطحاوي فى مصر، فجادلوا المعتزلة الذين كان من أظهر أئمتهم قبل هذا العصر: العلاف (ت: ٢٣٥هـ) ثم الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والجبائيان أبو على محمد بن عبد الوهاب (ت: ٣٠٣هـ) وابنه وتلميذه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ٣٢١هـ) والأشعرى تلميذ لأبي علي أيضًا، لكنه ترك مذهب الاعتزال ونصر مذهب أهل السنة ومعه أئمة السنة، الذين تبع كل منهم تلاميذ حملوا لواء الدعوة من بعدهم حتى انمحت الفرق أو تكاد، ولم يبق فاشيًا فى الأمة إلا مذهب الجماعة، اللهم إلا نتوءات بقيت هنا وهناك.

وأما علوم اللغة فقد حفل هذا العصر أيضًا بأئمة النحو وظهرت في علوم اللغة مدرستان علميتان هما: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وكانت قد لمعت أسماء من أئمة النحاة البصريين، من أمثال: عيسى بن عمر الثقفي (ت: ١٤٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت: ١٥٤هـ)، والخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ)، والأخفش (ت: ١٧٧هـ)، وسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، ويونس بن حبيب (ت: ١٨٢هـ)، ومن الأئمة الكوفيين أبو جعفر الرؤاسي (ت: ١٨٧هـ)، والكسائي (ت: ١٨٩هـ)، والفراء (ت: ٢٠٨هـ). ومن هؤلاء: محمد بن يزيد المبرِّد صاحب الكامل (ت: ٢٨٥هـ)، وقد كان إمام النحاة في عصره، ومن النحاة المشهورين أيضًا في هذ العصر: الزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ).

وفي ميدان النثر لمع اسم الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ) وابن قتيبة الدينورى أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ) الذي ولد بالكوفة وتثقف بها وسكن بغداد زمنًا ولكنه نسب إلى الدينور لأنه تولى قضاءها، كما برز اسم أبي زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ).

(١) ينظر في هذا الفن وما بعده: تاريخ التراث العربي لسزكين، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، وتاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني لشوقى ضيف، والفهرست لابن النديم وطبقات الشافعية للسبكى، وغيرها.

أما الفلسفة: فمن أشهر الفلاسفة فى هذا العصر: يعقوب بن اسحاق **الكندي** **(ت: ٢٦٠هـ)** الذى يعد أكبر فلاسفة المسلمين، وأشهرهم، وأسبقهم وهو عربي الأصل، يتصل نسبه بملوك كندة، ولذلك سُمي فيلسوف العرب، وكان فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها. ثم **الفارابي** (ت٣٣٩هـ): الذي عرف بالمعلم الثاني، وهو تركي الأصل من فاراب، ولكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام، واشتغل فيها، وكان فيلسوفا كاملا، درس كل ما درسه الكندي من العلوم، وفاقه في كثير منها، وخصوصا في المنطق، وقد ألف كتبا لم يسبقه أحد إليها، ككتابه في (إحصاء العلوم).

وأما علم التاريخ: فقد برز فى هذا العصر أسماء أعلام كبار مثل أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) وقد توقف الطبري بتاريخه عند أحداث سنة ٣٠٢هـ في خلافة المقتدر.

ومنهم: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح (ت: ٢٧٨هـ) له: تاريخ اليعقوبي.

ومنهم: البلاذرى أحمد بن يحيى (ت: ٢٧٩هـ) صاحب (فتوح البلدان)، و(أنساب الأشراف).

كما ظهر: أبو حنيفة الدينورى (ت: ٢٨٢هـ) وكان موسوعي المعرفة، برع في علوم كثيرة كالنحو واللغة والهندسة والفلك وغير ذلك، ولكن الكتاب الذي اشتهر به الدينورى هو كتابه التاريخي المعروف باسم (الأخبار الطوال) الذي يتناول فيه التاريخ الإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى وفاة الخليفة المعتصم سنة ٢٢٧هـ مع مقدمة مختصرة عن التاريخ القديم. وقد استمرت حركة التأليف التاريخي على نشاطها وازدهارها طوال مراحل العصر العباسي الثاني.

***

المطلب الثانى

الحالة العلمية والفكرية فى الدولة السامانية

ـ الإسلام فى بلاد ما وراء النهر:

بالرغم من وجود محاولات عدة لفتح بلاد ما وراء النهر[١] فإن قتيبة بن مسلم الباهلي -الذي ولاه الحجاج سنة ٨٦هـ خراسان وبلاد المشرق وظل واليا عليها حتى عام ٩٩هـ- «كان أول من ثبت دعائم السيطرة العربية على بلاد ما وراء النهر»[٢]، حيث «كان أبرز ما فى فتوح قتيبة: فتح بخارى وسمرقند وتثبيت الإسلام فيها واتجاهه إلى ما يقارب حدود الصين»[٣].

و«كان أول مسجد بالمدينة (سمرقند) هو الذى شيده قتيبة بن مسلم عام ٩٤هـ/ ٧١٣م بالقلعة وذلك فى الموقع الذى كان يقوم عليه فى الأزمنة السابقة بيت للأصنام. وشيد فيما بعد مسجدا جامعا جديدا بين القلعة والشرستان بناه الحاكم الفضل بن يحيى البرمكي وتم توسيعه بصورة ملحوظة فى عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م على يد إسماعيل الساماني الذى اشترى الدور المجاورة لهذا الغرض»[٤].

وذكر صاحب (القَند) فى ترجمة: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري أنه: «أول من أذن وراء جيحون، عَبَرَ مع سعيد بن عثمان بن عفان، وهو أول من عبر... وقال سعيد بن جناح البخاري فى كتاب القبلة: ثم اعتبروا بأهل سمرقند ومن نزل فيها، نزل بها: **قثم بن عباس**[٥]،

(١) ينظر: حركة الفتح الإسلامي فى القرن الأول، ص٢١٠ فما بعدها، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٤م.

(٢) تركستان، ص٣٠٣.

(٣) حركة الفتح الإسلامي فى القرن الأول، ص٢١٧.

(٤) تركستان، ص٢٠٤ بتصرف واختصار.

(٥) قال ابن سعد: «قثم بن العباس، ابن عبد المبحث بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. وأمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر. وليس له عقب. وكان =

وسعيد بن عثمان بن عفان[١]، ومن التابعين: محمد بن واسع[٢]، وبرد مولى أنس بن مالك رضي الله عنه[٣] وخليد بن حسان[٤]، وأبو العالية وغيرهم»[٥].

= رسول الله ص يحبه وكان يشبه به»أ.هـ. ويذكر ابن حبان أن: «قثم بن العباس بن عبد المبحث كان بقى إلى أن خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان في آخر امارة معاوية بن أبي سفيان إلى خراسان ثم خرج منها فعبر النهر وفتح ما وراء النهر واستشهد في تلك الناحية فمنهم من زعم أن قبره بسمرقند ومنهم من زعم أن قبره بمرو» أ.هـ. ينظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان]، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ١/ ٢١٨، ت: محمد السلمي، مكتبة الصديق – الطائف، ط١، ١٤١٤هـ. وينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ص٢٨، ت: مرزوق ابراهيم، دار الوفاء– المنصورة، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(١) قال ابن سعد: «سعيد بن عثمان بن عفان بْن أبي العاص بْن أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ. وأمه فاطمة بنت الْوَلِيد بْن عَبْد شمس بْن المغيرة بْن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وأمها أسماء بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة. وأمها أروى بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. وأمها رقية بنت الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم. وأمها رقية بِنْتُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ. وأمها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي. فولد سعيد بن عثمان محمدا وأمه رملة بِنْت أبي سُفْيَان بْن حرب بْن أمية. وكان قليل الحديث».
ينظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ٥/ ١١٧، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٢) «محمد بن واسع بن جابر الأزدي (ت: ١٢٣هـ)، أبو بكر: فقيه ورع، من الزهاد.من أهل البصرة. عرض عليه قضاؤها، فأبي. وهو من ثقات أهل الحديث»[الأعلام: ٧/ ١٣٣].

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «برد بن سنان البصري ثم السمرقندي مولى أنس روى عن أنس وعنه الفضل بن موسى البغدادي وأبو كريب أو أبو كليب وأبو مقاتل حفص بن سالم ذكره أبو سعد الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال خلطه بعض المحدثين ببرد بن سنان الشامي، وعندي أن ذلك غلط؛ فإني لم أر لبرد بن سنان الشامي أثرا في في دخوله سمرقند ولا أنه مولى أنس»أ.هـ.
ينظر: لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٢/ ٦، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ط٣، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند.

(٤) قال ابن حبان (مشاهير علماء الأمصار، ص٣١٢): «خليد بن حسان الهجري العصري من أهل البصرة من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان سكن بخارا وبها حدث»أ.هـ. وذكره ابن حبان في الثقات بنحوه. ينظر: الثقات، محمد بن حبان، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ٦/ ٢٧١، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ت: الدكتور محمد عبد المعيد خان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.

(٥) القند، ص٥٠.

وفى ترجمة زياد بن مهران الأزدي[1]، قال: «قدم **قتيبة بن مسلم** سمرقند ومعه من العلماء **محمد بن واسع، وزياد بن مهران، وليث بن أبي سليم**[2]، **وخليد بن حسان، وعبيدة العمي**[3]، وباتفاقهم نصبت بها المحاريب»[4].

فهؤلاء هم أسلاف ومعلموا أهل سمرقند الأوائل.

ويشير كُتَّاب التاريخ بيد الفضل إلى أشرس بن عبد الله السلمي والذى كان «فاضلا خيرا وكان سُمى الكامل لذلك، وكان أول من اتخذ المرابطة بخراسان.. وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها»[5]، وقد «دعا أشرس بن عبد الله السلمى نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ويضع عنهم الجزية، فأجابوه إلى ذلك وأسلم غالبهم»[6]، أما بارتولد فيقول: «وقد انبعثت لدى الأشرس فكرة تنفيذ مشروع يرمي الى إدخال جميع سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام؛ فأرسل لهذا الغرض باثنين من الدعاة إلى سمرقند أحدهما عربي والآخر فارسي ووعد برفع الجزية عمن أسلم، وقد فاق نجاح الدعوة كل حد»[7].

ـ مراكز العلم والعلماء في الدولة السامانية:

كانت بخارى وسمرقند مراكز العلم فى الدولة السامانية؛ أما **بخارى** فإنها تعد أهم

(١) لم أعثر له على ترجمة فى كتب التراجم والطبقات لكن ذكر صاحب (القند، ص٦٥) أنه «راوية أنس بن مالك، عده سعيد بن جناح البخاري من جملة من دخل سمرقند»أ.هـ

(٢) هو«أبو بكر القرشي مولاهم الكوفي عن مجاهد وطبقته لا نعلمه لقي صحابيا وعنه شعبة وزائدة وجرير فيه ضعف يسير من سوء حفظه كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به مات سنة ١٣٨هـ».
ينظر: الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة، وأحمد نمر الخطيب ٢/ ١٥١، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة. ط١، ١٩٩٢.

(٣) هو: «عبيدة بن بلال شيخ بصري قدم بخارى واستوطنها ومات بها سنة ستين ومائة» أ.هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٧/ ٧٥).

(٤) القند، ص٦٥.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: حوادث سنة ١٠٩هـ.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: حوادث سنة ١١٠ هـ.

(٧) تركستان، ص٣٠٩.

مدن الدولة السامانية من حيث الاكتظاظ بالسكان والعمران، ويجمل الثعالبي وصف بخارى فيقول: «هى بمثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر»[1]؛ لذلك لم يُر مدينة أهلها أشد احتراما لأهل العلم من بخارى.

وتمثلت الحركة العلمية في بخارى في زمن السامانيين فى وجود عدد من المؤسسات العلمية، أبرزها: الكتاتيب التى يتعلم فيها الصبي القرآن ومبادئ القراءة وشيء من النحو والأدب، ومن مشاهير علمـائها الذين كانوا يدرسون فى الكتاتيب: أبومنصور الثعالبي صاحب (يتيمة الدهر)، كما اشتهرت بخارى بكثرة مساجدها والتى كانت مراكز علمية، كما كانت دور أهل العلم ملتقى للمناظرات والتى كان ربما يعقدها الأمير فى بيته، كما حكي عن الأمير إسماعيل بن أحمد الذي كان يقرب العلماء ويستمع إلي مناظراتهم، ومن ذلك ما ورد عن المجلس الذى عقده فى قصره ليناظر فيه الفقهاء والقضاة مع دعاة الإسماعيلية، كما كان من عادة الأمراء السامانيين أن كانت لهم مجالس علم تعقد عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة، كما كان في بخارى مكتبات فيها الكثير من صنوف العلم، أشهرها: مكتبة الأمير نوح بن نصر الساماني، كانت تضم نوادر الكتب، وكان عليها قيمون يهتمون بها، ولها فهرس ينظم الاستفادة من محتوياتها، كما اهتم أمراء السامانيين باقامة الرباطات وحبس الأوقاف الكثيرة عليها[2].

وأما سمرقند فقد شهدت حركة علمية مهمة أيضًا، وقد اشتركت مع بخارى فى وجود الكتاتيب والرباطات والمكتبات، ومما يدل على كونها كانت قبلة للمتعلمين كبخارى ما ذكره السمعاني في (الأنساب)، أن «أحمد بن حامد الخَرْعُوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعني التفسير - والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث

(١) لطائف المعارف، الثعالبي، ص٢٥، نقلا عن: الجغرافيا الحضارية فى المشرق الإسلامي ص١١٩.

(٢) الجغرافيا الحضارية فى المشرق الإسلامي، عبد العزيز عبد الرحمن آل سعد، ص١١٥ فما بعدها باختصار وتصرف، الدار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠١١م.

سنين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا»[١].

هذا «والغالب على أهل ما وراء النهر بناء الرباطات والوقوف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وليس بها قرية ولا منهل ولا مفازة إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه»[٢].

ـ الحركة العلمية فى بلاد ما وراء النهر فى عصر الماتريدي:

أخرجت منطقة ما وراء النهر عددا من أبرز علماء الأمة، وكانت تآليفهم فى الفنون المختلفة ثمرة هذا النشاط العلمي وتشجيع الحكام، نذكر منهم:

فى علم الحديث: نجد أن ثلاثة من أصحاب المجاميع الحديثية الكبرى فى الإسلام نشأوا وماتوا فى بلاد ما وراء النهر، مثل: **الإمام البخاري** المولود فى بخارى سنة ١٩٤هـ والمتوفى فى خرتنك (قرية من قرى سمرقند) سنة ٢٥٦هـ، يقول ابن كثير: «ولما حدثت الوحشة بينه وبين السلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الطاهرية ببخارى، نزح – أي البخاري – إلى خرتنك على فرسخين من سمرقند ومات هناك»[٣]، وكان يلومه الإمام أحمد على إقامته بخراسان ويحثه على المقام ببغداد كما يذكر ابن كثير[٤]، وقال أيضًا عنه: «ودخل مرة إلى سمرقند، فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق وخلطوا الرجال فى الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوا على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده، وقوّم تلك الأحاديث والأسانيد كلها وما تعنتوا عليه فيها، ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة فى إسناد ولا متن، وكذلك صنع فى بغداد»[٥]، وهذا

(١) الأنساب، للسمعاني ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، باختصار.
(٢) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، ص٥٥٨.
(٣) البداية والنهاية ١١/ ٣٢، ٣٣ مج ٦، بتصرف.
(٤) البداية والنهاية ١١/ ٣١ مج ٦.
(٥) البداية والنهاية، بعناية: عبد الرحمن اللادقي، ١١/ ٣٢ مج ٦، ط دار المعرفة، بيروت، ط٨، سنة ٢٠٠٨م.

يدل على تمكن أهل تلك النواحى من الحديث وتغلب السنة على هذه البلاد كما يقول العلامة الكوثري رحمه الله[١].

وجاء فى القند فى ترجمة خلف بن شاهد بن الحسن بن هاشم النسفي أنه: «روى عن البخاري الجامع وسمع منه أهل سمرقند الجامع.. مات فى رجب سنة ثمان وثلاثمائة»[٢].

ومنهم: **الإمام الترمذي** المولود فى ترمذ سنة ٢٠٩هـ والمتوفى بها سنة ٢٧٩هـ وترمذ تقع فى أوزباكستان الحالية وهى على ضفة نهر جيحون قريبة من سمرقند.

ومنهم: **الإمام الدارمي**، المولود فى سمرقند سنة ١٨١هـ والمتوفى فيها سنة ٢٥٥هـ.

أما علم الفقه: فقد حفلت المنطقة بعلماء الفقه على المذاهب المختلفة، فبالإضافة إلى علماء الحنفية ومنهم الإمام الماتريدي ومشايخه، مثل: **نصير بن يحيي البلخي** (ت: ٢٦٨هـ)[٣]؛ فقد كان لعلماء المذاهب الأخرى وجود مما أثرى الحياة العلمية ببلاد ما وراء النهر وظهر أثر هذا فى تفسير الإمام الماتريدي، كما سنفصل إن شاء الله فى موطنه.

ومن هؤلاء: **أبو على الحسين بن علي بن عبد الله السمرقندي** روى عن داوود كتبه[٤] من فقهاء الظاهرية، وذكر الشيرازي أن المذهب انقرض ببغداد وبقي بشيراز[٥]. مما يعني حضور المذهب الظاهري فى تلك المنطقة.

وممن جمع بين الفقه والحديث من أهل تلك البلاد: **أبو حاتم محمد بن حبان التميمي السمرقندي** (ت: ٣٥٤هـ)، وهو «ممن بلغوا مرتبة الاجتهاد، إمام كبير له تصانيف كثيرة فى الحديث والجرح والتعديل، ولى قضاء سمرقند ورحل إليه الناس لأخذ العلم عنه، وإليه مرجع كثير من المحدثين فى حكمه على رجال الحديث بالجرح والتعديل»[٦].

(١) مقدمة تبيين كذب المفترى، ص ٢٧، ط مكتبة الكليات الأزهرية.
(٢) القند فى ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧)، بعناية: نظر محمد الفاريابي، ص٢٧، مكتبة الكوثر، السعودية، ط١، سنة ١٩٩١م.
(٣) ينظر ترجمته فى مطلب: شيوخ الإمام الماتريدي، فى الفصل القادم.
(٤) طبقات الفقهاء، أبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦هـ)، ص١٧٧، دار الرائد العربي، بيروت.
(٥) طبقات الفقهاء، ص١٧٩.
(٦) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ١/ ٢٠٤، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٦م.

أما علم الكلام والعقائد: فبالاضافة للإمام أبي منصور الماتريدي وأصحابه، فإن هذه البلاد قد أخرجت اثنين من أكبر الشخصيات الكلامية فى تاريخ الإسلام هما: **أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ)**[١]، **وأبو القاسم الكعبي (ت: ٣٢٩هـ)**[٢]. وكلاهما ذكره الماتريدي فى تفسيره، لاسيما الكعبي الذى خصه بمؤلفات ترد عليه.

ـ موقع العلم والعلماء:

قال فى أحسن التقاسيم: «إقليم المشرق هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير ومستقر العلم، وركن الاسلام المحكم وحصنه الأعظم... دينا مستقيما وعدلا مقيما في دولة أبدا منصورة مؤيدة، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبدة، فيه يبلغ الفقهاء درجات

(١) يقول الصفدي: «أحمد بن سهل البلخي أبو زيد كان فاضلا قيما بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلما للصبيان ثم رفعه العلم وقد وصفه أبو حيان التوحيدي وقد ذكرت ذلك في ترجمة أبي حنيفة الدينوري» أ.هـ.

ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٦/ ٢٥١، ٢٥٢، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

ويقول عنه أبو حيان التوحيدي (معجم الأدباء: ١/ ٢٥٩): «الذى أقوله وأعتقده أني لم أجد فى جميع من تقدم ومن تأخر إلا ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم فى أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم: أحدهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ..والثاني: أبو حنيفة الدينوري فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.. والثالث: أبوزيد أحمد بن سهل البلخي فإنه لم يتقدم له شبيه فى الأعصر الأول، لولا يظن انه يوجد له نظر فى مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وفي كتاب اختيار السير، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويبده به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رئي في الناس، من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير» أ.هـ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر (لسان الميزان ٤/ ٤٢٩ ت: أبو غدة): «عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي. من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه.وتوفي سنة ٣١٩هـ. وذكر المصنف في تاريخ الإسلام أنه كان داعية إلى الاعتزال. وعن جعفر المستغفري أنه قال: لا أستجيز الرواية عنه، وأنه دخل نسف فأكرموه إلا الحافظ عبد المؤمن بن خلف فإنه كان يكفره ولم يسلم عليه لما دخل البلد، فمضى الكعبي إليه فوجده في محرابه فسلم فلم يلتفت إليه، ففطن فحلف من بعيد بالله عليك أيها الشيخ أن لا تقوم ودعا قائما وانصرف دافعا للخجل عن نفسه. ومات في جمادى الآخرة.» أ.هـ.

الملوك ويملك في غيره من كان فيه مملوك» ثم قال متحدثا عن كور هيطل «اعلم أن هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيرا وفقها وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين، وأشد بأسا وأغلظ رقابا وأدوم جهادا وأسلم صدورا وأرغب في الجماعات، مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم، وعلى الجملة: الإسلام به طري والسلطان قوي والعدل ظاهر والفقيه ماهر والغني سالم والمحترف عالم والفقير غانم قلما يقحطون، منابره أكثر من أن توصف، ونواحيه أوسع من أن تنعت»[١].

ومما يدل على شدة تقدير العلماء ما ذكره أيضًا فقال متحدثا عن رسوم الأمراء فى الدولة السامانية: «ومن رسومهم أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض، ولهم مجالس عشيات جمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان، فيبدأ هو فيسأل مسأله ثم يتكلمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة، وليس من رسمهم الانبساط إلى الرعية، وإنما الوزير الذي يمشي الأمور... ويختارون أبدًا أفقه من ببخارا وأعفهم فيرفعونه ويصدرون عن رأيه ويقضون حوائجه ويولون الأعمال بقوله»[٢]. ومن مظاهر ذلك التقدير للعلماء واحترامهم ما ذكره السمعاني من صلاة الأمير على أحد المُذَكِّرين[٣]، بل حمل الوزير تابوت أحد العلماء[٤].

وبصفة عامة فقد «تمتع رجال الدين بمكانة خاصة، كما أن مؤسس الدولة نفسها ثبت سلطانه ببخارى مستعينا بنفوذ رجال الدين هناك، وكان العلماء لا يكلفون بتقبيل الأرض بين يدي الأمير، وكان يختار من بين فقهاء الحنفية ببخارى أكثرهم علما وأرفعهم مكانة فكانت الأمور تصدر عن رأيه وتقضى حوائجه، ويعين العمال وفقا لمشورته، ويستدل من ألفاظ السمعاني على أن هذا الشخص الذى يعادل المفتى أو شيخ الإسلام فى الأزمنة المتأخرة كان آنذاك يحمل اللقب الفارسي (أستاذ) أى المعلم وأن منصب (الأستاذ) قد وجد منذ عهد إسماعيل»[٥].

(١) أحسن التقاسيم، ص٢٢٠ فما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأنساب، للإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ١/ ٢٤٢، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والابحاث الثقافية، دار الجنان، ط١، سنة ١٩٨٨م.

(٤) الأنساب، ٥/ ٢٧٩.

(٥) تركستان، ص٣٦١، ٣٦٢ بتصرف يسير.

ـ المذاهب والأديان:

يلاحظ بارتولد أن سكان مقاطعات أعلى النهر كانوا يدينون بالوثـنية حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) بالرغم من خضوعهم سياسيا لسلطان المسلمين[(١)].

ويوجز المقدسي مذاهب وأديان إقليم المشرق، فيقول: «وهو أكثر الأقاليم علما وفقها وللمذكرين به صيت عجيب، ولهم أموال جمة وبه يهود كثيرة، ونصارى قليلة، وأصناف المجوس.. وأولاد علي رضي الله عنه فيه على غاية الرفعة، ولا ترى به هاشميا إلا غريبا، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة كروخ واستربيان كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وايلاق وطوس ونسا وابيورد وطراز وصنغاج وسواد بخارا وسنج والدندانقان واسفراين وجويان فإنهم شفعوية كلهم، والعمل في هذه المواضع على مذاهبهم ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمروين ولا يكون قاضيا إلا من الفريقين، وخطباء المواضع التي استثنينا ونيسابور أيضًا شفعوية وأحد جامعي مرو أيضًا، إلا أن الإقامة به وبنيسابور مثنى، وللكرامية جلبة بهراة وغرج الشار ولهم خوانق بفرغانة والختل وجوزجانان وبمرو الروذخانقه وأخرى بسمرقند، وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب مذاهبهم تقارب الزندقة، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي لهم زهد وتقرب، وأكثر أهل ترمذ جهمية، وأهل الرقة شيعة، وأهل كندر قدرية، والشار[(٢)] يصلي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءتين ويكبرون أربعًا»[(٣)].

وقد انشغل السامانيـون بحركات الخوارج والشيعة، يقول بارتولد: «أما الثورات الشعبية التى شغلت الطاهريين فكان أخطرها اثنتين هما: حركة الخوارج بسجستان، وحركة الشيعة بطبرستان، وكلا الحركتين ظلت مستمرة إلى عهد السامانيين أيضًا»[(٤)].

---

(١) تركستان، ص١٤٧.

(٢) الشار: الملك أو الأمير، كما قال فى أحسن التقاسيم.

(٣) أحسن التقاسيم، ص٢٣٦ فما بعدها.

(٤) تركستان، ص٣٣٨.

ـ النزعة الفارسية[(١)]:

لما دخل الإسلام بلاد ما حول الجزيرة العربية كمصر وفارس وما ورائها اختفت لغات هذه الأمم مع قبول أهلها للإسلام تدريجيا؛ «لهذا اختفت القبطية واليونانية من مصر حيث كانت القبطية لغة التخاطب واليونانية لغة الأدب والشؤون الرسمية، وتوارت البربرية من شمال أفريقية وانكمشت الفارسية فى العراق وفارس وانزوت اللهجة النوبية من بلاد النوبة، ثم بعد حين توارت اللهجة السودانية والكوشتية من السودان، ولم تظهر واحدة من هذه بعد اختفائها ما عدا الفارسية التى استطاعت أن تسترد حياتها فى فارس منذ القرن الرابع للهجرة»[(٢)].

و«كان نهر جيحون هو بعض الحدود الفاصلة بين الشعوب التى تـتكلم الفارسية والشعوب التى تتكلم التركية»[(٣)]، ويشير بارتولد إلى خضوع المنطقة فى معظم الوقت لسيادة القبائل التركية[(٤)] والخريطة الحالية توضح خضوع منطقة ما وراء النهر للدولة الفارسية قبل الإسلام.

---

(١) هذا المطلب مهم فى التعرف على خلفية الإمام الماتريدي، وسيأتي المزيد منها فى (حياته)، وسأحيل على هذه النقطة فيما بعد.

(٢) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، الدكتور أحمد محمد الحوفي، ص٢٢٧، ٢٢٨، بتصرف يسير، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٣، دون تاريخ.

ويلاحظ: أنه فى الوقت الذي كانت الفارسية فيه تسترد عافيتها فى فارس على حساب العربية، كانت القبطية واليونانية فى مصر فى طريقهما إلى الانزواء لحساب العربية!، ففي الوقت الذى كانت فيه فارس وما حولها تتكلم العربية لم تكن مصر قد تعربت بعد، ثم ارتدت فارس عن العربية وتبنتها مصر لما صار الإسلام هو دين غالبية المصريين فى أواخر القرن الرابع الهجري، وهو ما لاحظه الدكتور عمارة حين أرخ فيه للفترة الفاطمية من ٣٥٨هـ إلى ٥٦٧هـ.

ينظر: عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، د. محمد عمارة، ص٥؛ فما بعدها، دار الشروق، ط١، ١٩٩٧م.

(٣) حركة الفتح الإسلامي فى القرن الأول، شكري فيصل، ص١٩٢، دار العلم للملايين، ط٣، سنة ١٩٧٤م.

(٤) تركستان، ص١٤٥.

ومنذ دخول الإسلام «ظلت اللغة العربية على وجه التقريب هى اللغة الأدبية الوحيدة فى العالم الإسلامي بأجمعه على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ولكن منذ بدايات القرن الرابع الهجري أصبحت الفارسية شيئا فشيئا لغة الأدب فى القسم الشرقي من العالم الإسلامي»[١]، خاصة فى عهد «السامانيين الذين عملوا على إحياء اللغة الفارسية الحديثة التى تجمع بين المؤثرات العربية والمؤثرات الفارسية، وبدأت هذه اللغة فى عهدهم تصبح لغة الفكر والثقافة»[٢]، وقد ظهر ذلك فى تفسير الماتريدي من خلال احتوائه على عبارات فارسية يقرب بها العبارات العربية التي قد تصعب على البعض[٣].

(١) تركستان، ص٦٠، وانظر مقدمة كتاب (تاريخ طبرستان)، بهاء الدين محمد بن حسن اسفنديار، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، حيث أكد هذه الفكرة، وقد لاحظ فيه أن: مزاحمة الفارسية للعربية إنما حدثت مع نشوء الدويلات الفارسية والتركية فى المشرق الإسلامي كالصفارية والسامانية وغيره، ينظر: ص٥، ٦، ط. المجلس الأعلى للثقافة، ط١، سنة ٢٠٠٢م.

وينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص١٧٤ و١٧٥.

(٢) العالم الإسلامي فى العصر العباسي، د.حسن أحمد محمود، ود.أحمد إبراهيم شريف، ص٤٦٥، دار الفكر العربي، ط٥، دون تاريخ.

(٣) سيأتي الحديث عن ذلك فى (ثقافة الماتريدي) فى الفصل القادم.

فالسامانيون وبالتحديد فى عصر نصر بن أحمد الساماني (٣٠١-٣٣١هـ)[١] «هم الذين أحيوا الثقافة الفارسية، وفى عهدهم بدأت الكتابة باللغة الفارسية عن الأدب والشعر والتأليف إلى جانب العربية، وبدأ كثير من الكتب العربية يترجم إلى الفارسية مثل كتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، وقد بدأ الروح الفارسي يظهر فى الأدب من ذلك الوقت، وحفل بلاط السامانيين بكثير من الشعراء الذين نظموا شعرهم بالعربية والفارسية واشتهر فى ذلك العصر كثير من الشعراء من أمثال عمر الخيام، صاحب الرباعيات، والشيخ الرئيس ابن سينا وقد نظم كثيرا من القصائد بالفارسية»[٢]، ومن مظاهر ذلك أيضًا أن «الخطبة بالمسجد كان يلقيها فى البداية الخليفة نفسه أو واليه، أما فى عهد السامانيين فقد أبطلت هذه العادة بالمشرق لأن الأمراء وولاتهم كانوا فى الأصل من الفرس أو الترك وقل أن وجد بينهم من يجيد العربية»[٣].

ويقال – من جهة أخرى– إن السامانيين والطاهريين لم يكونوا متعصبين فى نشر لغتهم الفارسية بل إنه «بسبب أصلهم الأرستقراطي وبوصفهم ممثلين رسميين للسيادة العربية بالمنطقة فإنه لم يكن بوسعهم أن يظهروا بمظهر المنتصرين للاتجاهات القومية والشعوبية»[٤]، حتى إنه فى عهد إسماعيل بن أحمد الذى عرف بتقواه الشديدة قد جعل اللغة العربية مرة أخرى هى اللغة المعتمدة لرسائل الدولة الرسمية وإن كان ذلك لم يستمر طويلا[٥]؛ ذلك لأن الروح القومية الفارسية قد استيقظت، إلى أن تحول لسان تلك المنطقة تماما من العربية إلى الفارسية ابتداء من الأسر الحاكمة بعد السامانيين التي تمتعت بسند شعبي أكثر من السامانيين؛ وذلك لأنهم اجتهدوا في إرضاء الروح القومية الإيرانية، والدليل على ذلك أن

(١) يذكر المؤرخون أن هذا الرجل قد اعتنق المذهب الشيعي السبعي الإسماعيلي، وأن اعتناقه لهذا المذهب بالإضافة إلى عوامل أخرى كانت سببا فى خلعه من منصبه وغضب العلماء عليه مما أكده الكاتب الإسماعيلي المعاصر عارف تامر، كما سبق بيانه فى الحالة السياسية. ثم هو هنا الذى بدأ حركة إعادة الروح الفارسية عن طريق اللغة والعمل على مزاحمتها للغة العربية!!. فهل نجد فى هذا دليلا آخر على العلاقة بين التشيع، والشعوبية الفارسية؟!.

(٢) العالم الإسلامي فى العصر العباسي، ص٤٧٠، وانظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد محمد الحوفي، ص٢٢٧، ٢٢٨ ثم ٢٧٩ فما بعدها.

(٣) تركستان، ص٣٦٢.

(٤) تركستان، ص٣٣٦، ٣٣٧ بتصرف واختصار.

(٥) تركستان، ص٣٧١ بتصرف.

مؤسس دولة الزياريين (مرداويج) كان يحلم بإعادة عرش الساسانيين، وأن البويهيين طبعوا نقودا نقش عليها اللقب الفارسي القديم: شاهنشاه، أى ملك الملوك[(١)].

ـ مشاهد ومزارات:

من مظاهر الحياة الفكرية أيضًا ما يلاحظ من وجود مشاهد ومزارات فى تلك النواحي حيث «ظهر التصوف فى هذه البلاد.. فكان أولهم فى هذا الإقليم شقيق البلخي (ت١٥٣هـ) قيل إنه أول من تكلم فى علم الأحوال بخراسان..ثم تتابع المتصوفة بعده في هذه البلاد كأبي حفص عمرو بن سالم الحداد النيسابوري المتوفي سنه ٢٧٠هـ، وأبو تراب النخشبي من متصوفة خراسان المشهورين بالعلم والفتوة والزهد، وأبو على الجوزجاني له التصانيف فى الرياضة النفسية والمجاهدات والمعارف، وأبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق أصله من ترمذ وأقام ببلخ، وأبو عبد الله محمد ابن منازل النيسابوري شيخ طريقة الملامتية مات بنيسابور سنة ٣٩٢هـ، وأبو العباس ابن القاسم من أهل مرو، وهو أول من تلكم عندهم فى حقائق الأحوال، مات سنة ٣٤٢هـ»[(٢)]، وكان لدى الإمام الماتريدي نزعة صوفية، كما سيأتي.

وذكر السخاوي فى ترجمة أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، الجلال أبو الطاهر بن الشمس ابن الجلال بن الجمال الخجندي، أنه «ارتحل منها (أي بلدته خجند)، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (ولد ٧١٩هـ)، في سحر خامس عشر رمضان سنة إحدى وأربعين إلى سمرقند،... وزار من بها من السادات، كقثم بن العباس، وأبي منصور الماتريدي»[(٣)].

ويلاحظ بارتولد ذلك أيضًا فيقول: «وقثم معروف للأهالي الآن باسم شاه زندة (الأمير الحي) ومنذ عهد بابر حمل القبر اسم مزار شاه (قبر الأمير).. ومنذ القرن الثاني عشر (الميلادي) إلى يومنا هذا كان ذوو المكانة من الناس يدفنون حول قبر قثم، بل وقامت هناك مدرسة عرفت باسمه»[(٤)].

---

(١) تركستان بالمتن والهامش بتصرف، ص٣٥٢.

(٢) ظهر الإسلام: ١/ ٢٠٥،٢٠٦.

(٣) التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ) ١/ ١٤٨، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) تركستان، ص١٨٢، ١٨٣.

المطلب الثالث

علم التفسير في عصر الإمام الماتريدي

إن الامام الماتريدي قد تأثر ولا ريب بذلك المعين البعيد الذى استقى منه آراءه وسار على نهجه فى الجمع بين العقل والنص من مدارس أهل الرأي والتى تمثلت أفضل ما يكون لدى الإمام الأعظم وتلامذته لكن هذا تأثر (تاريخي) عام -إن صح التعبير - ولا أتحدث عنه هنا بل سأفرد للحديث عنه مبحثا مستقلا إن شاء الله تعالى.

إن اجتهاد الإمام الماتريدي لـ (جغرافيا) عصره إنما هي تنزيل لأحكام ما تعلمه من (تاريخ) أسلافه الأحناف ومن سار على نهجهم، فلكل جغرافيا أحكامها ولكل جيل اختياراته وطريقته التى لا تخرج عن الإطار العام التاريخي الموروث من تلك المدرسة.

إن من يطالع أحوال عصر الماتريدي سواء فى الدولة العباسية أو الولاية التى عاش فى ظلها فى الدولة السامانية وبلاد ما وراء النهر خاصة، سيلمح ولا بد أجواء النقاش العلمي والسجال الكلامى والاختلاف الفقهي والانفتاح المعرفي على أصحاب الديانات والفلسفات.

وإن السير على منهج إيراد «التأويلات» أو «الاحتمالات» فى معنى النص لهو من آثار هذا السجال وذلك التفاعل لا ريب، وقد لاحظ الباحث أن علماء العصر كانوا مشغولين بالدفاع عن القرآن فى جبهتين:

ـ الجبهة الداخلية:

حيث قضايا «مفهوم النص» والانشغال بالإجابة عن سؤال: أي معاني القرآن أوفق وأهدى، أو أى معانيه أقرب إلى المنقول والمعقول معا؟ وقبل ذلك: ما هي قواعد فهم النصوص وكيفية الاستدلال بها فى خضم الخلاف الفقهي الذى كانت تموج به منطقة ما

وراء النهر فى جانب الفروع أو ما كانت تموج به المنطقة من مذاهب ونحل إسلامية فى جانب الأصول؟، لا سيما إذا علمنا أن الكثيرين قد حاولوا جعل نصوص القرآن تنطق بآرائهم ومذاهبهم؛ استغلالا لنصوص القرآن وتوظيفا لها فى تثبيت ما اعتقدوه من معان أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

ومما يدل على وجود «هاجس» البحث عن التأويل الأوفق والأهدى فى هذا العصر المائج بالملل والنحل ما حكاه أبو المعين النسفي عن شيخ الماتريدي أبو نصر العياضى حين يقول: «وحكى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي رحمه الله أنه قال: ما أتى الفقيه أبا نصر العياضى أحد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراء فى الدين بآية من القرآن يحتج بها لمذهبه إلا تلقاه مبتدها بما يفحمه ويقطعه»[1].

وقد نشطت الفرق المختلفة – التى خرجت عن جمهور الأمة فى القرنين الثالث والرابع لا سيما المعتزلة منهم– فى تفسير القرآن[2] وكان المعتزلة قد «عنوا فى المقام الأول بتفسير الآيات المتشابهة بخاصة، حتى أفردوها بالتصنيف وقدموا القول في تأويلها على القول في سائر آيات الكتاب الكريم»[3]، وذلك ليثبتوا ما ذهبوا إليه عن طريق تأويل آيات القرآن وللرد على مخالفيهم أو لإثبات مذاهبهم ورد شبهات خصومهم من خلال القرآن الكريم فى خضم ذلك الصراع الفكري بينهم وبين غيرهم من المسلمين وغيرهم؛ فمُحَمَّد بن المستنير أبو على النحوي اللغويّ البصري المعروف بقطرب (ت٢٠٦هـ) يؤلف كتاب (الرد على الملحدين فى متشابه القرآن) وكان قد أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن النظام رأى المعتزلة[4]. وكتابه هذا يعد أقدم مؤلف اعتزالى فى تفسير المتشابه وفعل مثله: «بشر بن المعتمر رئيس معتزلة بغداد المتوفى فى حدود سنة ٢١٠هـ ومحمود بن حسن الوراق والذى توفى فى حدود سنة ٢٣٠هـ وأبو الهذيل العلاف رأس الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة المتوفى سنة ٢٣٥هـ وجعفر

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى: ١/ ٤٦٩.

(٢) ينظر: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري: ١/ ٣٦٤.

(٣) الحاكم الجشمي ومنهجه فى التفسير، أ.د.عدنان زرزور، فصل: تفاسير المعتزلة قبل الحاكم، مؤسسة الرسالة.

(٤) ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وى، ص٢٨.

بن حرب المتوفى سنة ٢٣٦هـ كما أفرده بالتصنيف فيما بعد أبو على الجبائي (ت: ٣٠٣هـ)»[1] ومع ذلك فإن متأخري المعتزلة من طبقة أبي الهذيل العلاف «لم يلبثوا أن أقدموا على وضع المصنفات المطولة فى تفسير القرآن كما فعل أبو بكر الأصم وموسي الأسوارى وعمرو بن فايد»[2].

ويؤكد هذا المعنى الذى نقول من أن الصراع على المعنى كان حاضرا فى تلك الفترة ما حكاه الصفدي عن أحمد بن سهل أبو زيد البلخى (ت: ٣٢٢هـ) قوله: «كان للحسين بن علي المروزي وأخيه صُعلوك صلات يجريانها علي دائمًا فلما صنفت كتابي في (البحث عن التأويلات) قطعاها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جَيْهان من خَرخان الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلمـا صنفت كتاب القرابين والذبائح حرمنيها، قال: فكان الحسين قرمطيًا وكان الجيهان ثنويًا»[3] وكان الجيهاني هذا وزيرا فى عهد نصر بن أحمد الذى تولى الملك وعمره ثماني سنوات، فضبط ملكه الجيهاني وكانت فترة حكمه طويلة (٣٠١ – ٣٣١هـ) ويقال إنه اعتنق المذهب الإسماعيلي حتى نزل عن الملك لابنه نوح بن نصر الذي حارب القرامطة وأشياعهم[4]، وهو ممن عاصرهم الماتريدي من أمراء السامانيين.

وكتاب (البحث عن التأويلات) قال فيه الفقيه أبو بكر النيسابوري: «ما صنف فى الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب (البحث عن التأويلات) صنفه أبوزيد البخي»[5]. وكان البلخى «يتنزه عما يقال فى القرآن من تأويل بعيد ولا يقول إلا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل وقد بين ذلك في كتابه المسمى (نظم القرآن)»[6] وهو من مصادر الماتريدي فى تفسيره.

(١) الحاكم الجشمي ومنهجه فى تفسير القرآن، السابق نفسه باختصار وتصرف طفيف.

(٢) السابق نفسه.

(٣) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت٩٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٦/ ٢٥٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م. و كذا فى: الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق النديم المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد ١/ ١٥٣، طهران.

(٤) ينظر ما سبق فى عصر الماتريدي من الناحية السياسية.

(٥) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ت: الدكتور إحسان عباس، ١/ ٢٨٠، دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

(٦) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ١/ ٣٦٦، وأحال على الارشاد لياقوت الحموي.

ويؤكد هذا المعنى أيضًا ما يذكره الإمام الأشعري عن الجبائي فيقول: «ورأيت الجبائي ألف فى تفسير القرآن كتابا أَوَّلَهُ على خلاف ما أنزل الله عز وجل وعلى لغة أهل قريته المعروف بجبَّى بين البصرة والأهواز، وليس من أهل اللسان الذى نزل به القرآن، وما روى فى كتابه حرفا واحدا عن أحد من المفسرين، وإنما اعتمد ما وسوس به صدره وشيطانه»[1] وقد أراد الأشعرى نقض تفسيره فوضع تفسيره الذى سُمِّى الخازن أو المختزن[2].

وإن استعراضا سريعا للنشاط التفسيرى من قبل غير أهل السنة فى ذلك العصر ليؤكد على ما نقول هنا، وسوف أقتصر في إبراز هذا النشاط على أبرزها وأكثرها تأثيرا – فيما أقدر – فى تشكيل ملامح العصر الفكرية، وهي:

١ – ما كتبه **واصل بن عطاء** (ت: ١٣١ هـ)، حيث ذُكر أن له من الكتب «معانى القرآن»[3].

٢ – تفسير **عمرو بن عبيد** (ت: ١٤٣ هـ) المتكلم المعتزلي، والذى «أخذ علم الأصول أولاً عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ثم آخرا عن واصل بن عطاء والحديث عن الحسن، وكان عمرو بن عبيد من أعلم الناس بأمر الدين إلا أن الناس لا يرضون باجتهاده لاعتزاله... وله كتاب التفسير عن الحسن البصري»[4].

٣ – محمد بن المستنير أبو على النحوي اللغوي البصري، مولى سَالم بن زياد المعروف بقطرب (ت٢٠٦: هـ)، له (معانى القرآن)، و(إعراب القرآن)، و(الرد على الملحدين فى متشابه القرآن)، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن النظام رأى المعتزلة[5].

٤ – بشر بن المعتمر (ت: تقريبا ٢١٠ هـ)، له (متشابه القرآن)[6].

٥ – الأخفش سعيد بن مسعدة (ت: ٢١٥ هـ) له (معاني القرآن).

---

(١) تبيين كذب المفترى، ص ١٣٩. وينظر: الحاكم الجشمى، السابق. وينظر: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع، ١/ ٣٦٤، ٣٦٥.

(٢) ينظر الحاكم الجشمى، السابق.

(٣) معجم المفسرين، عادل نويهض، ٢/ ٣٦.

(٤) مفتاح السعادة، ٢/ ١٤٦.

(٥) ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وى، ص٢٨.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٥٧، وهو من الطبقة السادسة.

٦ – أبو بكر الأصم (ت: تقريبا٢٢٥هـ)، جعله القاضي فى طبقات المعتزلة على رأس الطبقة السادسة وقال فيه: «وله تفسير عجيب... وكان أبو على – يعنى الجبائي – لا يذكر أحدا فى تفسيره إلا الأصم»[1] لكن هذا التفسير لم يصل إلينا مع الأسف، ومما يدل على أهميته نقل الإمام الماتريدي منه بل تأثره بأسلوب وطريقة الأصم فى تفسيره كما سأوضحه فى حينه إن شاء الله تعالى.

٧ – عمرو بن فايد، من رجال السادسة، قال فيه: «وكان متكلما جدلا.. وله تفسير كبير»[2].

٨ – موسي الأسواري، من رجال الطبقة السادسة أيضًا «فسر القرآن ثلاثين سنة ولم يتم تفسيره ويقال: كان فى مجلسه العرب والموالي فيجعل العرب فى ناحية والموالى فى ناحية ويفسر لكل بلغته»[3].

٩ – أبويعقوب الشحام (ت: ٢٦٧هـ) معدود فى رجال الطبقة السابعة واسمه: «أبويعقوب يوسف بن عبد الله بن اسحاق الشحام من أصحاب أبي الهذيل، وإليه انتهت رياسة المعتزلة بالبصرة فى وقته، وله كتب فى الرد على المخالفين وفى تفسير القرآن، وكان من أحذق الناس فى الجدل وعنه أخذ أبو على»[4].

١٠ – أبوعلى الجبائي (ت: ٣٠٣هـ)، وهو من رجال الطبقة الثامنة واسمه محمد بن عبد الوهاب الجبائي يقال «كان فقيها ورعا زاهدا جليلا نبيلا، ولم يتفق لأحد من إذعان طبقات المعتزلة له بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل مثله، بل ما اتفق له هو أشهر أمرا وأظهر أثرًا»[5]، يقول الملطي فى (التنبيه والرد) بعد ذكر الجاحظ وعباد بن سليمان[6]: «ثم لم يقم للمعتزلة إمام مذكور بالبصرة ولا بغداد إلى أن خرج أبوعلي محمد بن عبد الوهاب بكور

---

(١) طبقات المعتزلة، أحمد بن يحي المرتضى، تحقيق سوسته ديفلد فلزر، ص٥٦، ٥٧، ط٢، ١٩٨٧، بيروت لبنان.

(٢) طبقات المعتزلة، ص٦٠.

(٣) طبقات المعتزلة، ص٦٠.

(٤) طبقات ص ٧١، ٧٢.

(٥) طبقات المعتزلة، ص٨٠.

(٦) من الطبقة السابعة «له كتب معروفة وبلغ مبلغا عظيما وكان من أصحاب هشام الفوطي» طبقات، ص٧٦.

جُبَّى بين البصرة والأهواز وكان لقي الشحام بالبصرة قبل خروج علي بن محمد الشحام صاحب أبي الهذيل فتعلم منه، فخرج لا شبيه له ووضع أربعين ألف ورقة في الكلام ووضع تفسير القرآن في مائة جزء وشيئا، لم يسبقه أحد بمثله، وسهل الجدال على الناس»[1] وهو «شيخ المعتزلة كان رأسا في الفلسفة والكلام أخذ عن يعقوب الشحام البصري وله مقالات مشهورة وتصانيف وتفسير، أخذ عنه أبو هاشم والشيخ أبو الحسن الأشعري، ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه، ومات الجبائي في سنة ثلاث وثلاثمائة»[2].

١١- أبو هاشم عبد السلام الجبائي (ت: ٣٢١هـ) «من رؤوس المعتزلة له تصانيف وتفسير، قال ابن درستويه: اجتمعت مع أبي هاشم فألقى علي ثمانين مسألة من النحو ما كنت أحفظ لها جوابا»[3].

١٢- أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ) «تتلمذ للكندي ببغداد وأخذ عنه الفلسفة والتنجيم والطب وعلوم الطبيعة. كان يتنزه عما يقال فى القرآن من تأويل بعيد ولا يقول الا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل وقد بين ذلك فى كتابه المسمى (نظم القرآن) ثم صنف كتابا فى (البحث عن التأويلات) أغضب فيه رجلا قرمطيا فقطع هذا القرمطي عن البلخي صلات كان يجريها عليه»[4].

١٣- أبوالقاسم البلخي الكعبي (ت: ٣١٩هـ)، وهو معدود فى الطبقة الثامنة، «وهو رئيس نبيل غزير العلم بالكلام والفقه وعلم الأدب، واسع المعرفة فى مذاهب الناس.. وله كتاب فى التفسير»[5]، رد عليه الماتريدي فى كتبه وألف فى الرد عليه مصنفات.

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ص ٣٩، ٤٠، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧.

(٢) طبقات المفسرين الأدنه وى، ص٦٢. وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١ / ٨٨.

(٣) طبقات الأدنه وى، ص٦٣. وينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١ / ٨٨.

(٤) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ١/ ٣٦٧.

(٥) طبقات المعتزلة، ص٨٨، يقول الدكتور عدنان زرزور: «أما تفسيره الهام فيما يبدو والذى كان أحد مآخذ أبي يوسف القزوينى فى تفسيره الكبير فلم يصلنا منه أي جزء وتدل نقول الحاكم عنه أنه كان تفسيرا كاملا شمل جميع القرآن» ينظر: الحاكم الجشمي ص ١٣٠ وطبقات المعتزلة، ص٨٨.

١٤- العياشي، وهو «أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، وفى (روضات الجنات) للخوانساري العراقي الموفي، كان شيخا للكشى، وكان إماما لطائفة الإمامية فى خراسان..نقحه إبراهيم بن على القمي، ويتكون فى الغالب من روايات لمحمد الباقر وأبي عبد الله جعفر الصادق»[1].

١٥- إبراهيم بن على القمي (ت: ٣٠٧هـ)، شيعي، صاحب التفسير المعروف توفي بقم.

١٦- أبومسلم محمد بن بحر الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ).. من رجال الثامنة: «صاحب التفسير والعلم الكثير»[2]، «واسم كتابه (جامع التأويل لمحكم التنزيل) ويقع فى أربعة عشر مجلدًا، وهو من أهم التفاسير الاعتـزاليه ولعله أيضًا من أخطرها بإطلاق أكثر من الاعتماد عليه كل من الشريف المرتضى فى (أماليه) وأبي جعفر الطوسي فى تفسيره (التبيان) وإن كان أخذ عليه الإطالة.. وكان الرازى من بعد كلفا بالرد عليه.. وقد نقل السيوطي منه فى (معترك الأقران فى إعجاز القرآن) نصا مطولا وتوحى عبارته بالنقل المباشر عن هذا التفسير الذى لم يصل إلينا»[3]، وكان «معتزليا مقربا من الوزير على بن عيسى. عينه الخليفة المقتدر على فارس وأصفهان ثم عزله ثم تولى ولاية أصفهان سنة ٣٢١هـ بعد وفاة واليها»[4].

١٧- أبوبكر النقاش المعتزلي (ت: ٣٥١هـ)، «هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، الإمام المعلم، مؤلف كتاب (شفاء الصدور) فى التفسير، مقرئ مفسر... صنف المصنفات فى القراءات والتفسير، ومن ذلك: (الإشارة فى غريب القرآن)، و(الموضح فى القرآن ومعانيه)... قال الخطيب: كان عالما بالحروف، حافظا للتفسير»[5].

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ٤/ ١٤، باختصار.

(٢) طبقات المعتزلة، ص ٩١.

(٣) الحاكم الجشمى، ص ١٣٠.

(٤) تاريخ التراث العربي: مج ١، ١/ ٩٩.

(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كوبرى زادة، ٢/ ٧٢، ٧٣ باختصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٨- أبوالحسن الاسفندياني، من التاسعة،: «وله كتب صنفها فى الكلام والتفسير والحديث.. وصفه أبو هاشم الجبائي بأن علمه وإن كان أقل من الصيمري إلا أنه أحسن نظاما وترتيبًا»[١].

النشاط التفسيري لأهل السنة:

أما أهل السنة وعلى رأسهم الإمام الماتريدي فإن نشاطهم التفسيري لم يكن رد فعل بحسب ما يمكن أن يتبادر! إذ واصلوا التأليف فى التفسير لتلبية حاجة الأمة المتجددة منه، وهم منذ عهد السلف قد فسروا القرآن ودَوَّنه الكثير منهم، وكانت **تفاسير السلف** عبارة عن صحف تروى بالأسانيد عنهم. **وقد كان علم التفسير** بابا من أبواب كتب الحديث إلا انه «نظرًا إلى الاختلاط الذي طرأ على التفسير بالمأثور، في ما ورد عن ابن عباس وما ورد عن غيره، فإن علماء الحديث في أواخر القرن الأول لم يزالوا يتابعون هذه الأحاديث التي يُقذف بها بين العوام.. وذلك ببيان الصحيح من السقيم، والتنبيه على الراوي الموثوق به والراوي المقدوح فيه، فصارت تلك الأحاديث الرائجة بطريق النقل الشفهي في النصف الثاني من القرن الأول، متبعة بتعاليق نقدية تتصل بها، هي التي علق بها عليها رجال النقد من أئمة الحديث. فلما استهل القرن الثاني وبدأت العلوم الإسلامية في دور التدوين انبرى أحد الأئمة الثقاة من رجال الحديث: وهو عبد الملك بن جريج، (ت: ١٤٩هـ) إلى جمع تلك الأخبار، في كتاب، فكان أول من ألف في التفسير[٢]، فدخل علم التفسير بذلك إلى حيّز التدوين الكتابي، على ما كان عليه من اختلاط بين الصحيح والسقيم على قابلية كل منهما التمييز عن الآخر، بما سبق من النقود منذ القرن الأول»[٣].

ثم بعد هذه الخطوة التى انفصل فيها التفسير عن الحديث وأصبح علمًا قائمًا برأسه، خطا خطوة فسيحة بدأت فى العصر العباسى ولم تتوقف إلى يومنا هذا، فاهتم بعض المفسرين بتدوين التفسير مقتصرا على رواية ما نُقِل عن السلف مع إيراد الأسانيد، منهم: ابن ماجه

(١) طبقات المعتزلة، ص٩٩.

(٢) في كون ابن جريج أول من ألف في التفسير نظر، ينظر: علم التفسير فى (تاريخ التراث العربي)، المجلد الأول.

(٣) التفسير ورجاله، ص٢٦، ٢٧، ط مجمع البحوث الاسلامية.

(ت: ٢٧٣هـ)، وابن جرير الطبرى (ت٣١٠: هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابورى (ت: ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ).. وغيرهم من أئمة هذا الشأن، وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين[١].

كما اهتم بعضهم **بالتوازي مع ذلك** بتدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلى بالتفسير النقلى؛ «حيث دُوِّنت علوم اللغة، ودُوِّن النحو والصرف، وتشعبَّت مذاهب الخلاف الفقهى، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبى قائمًا على قدمه وساقه.. وقامت الفِرَق الإسلامية بنشر مذاهبها والدعوة إليها، وتُرجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، فامتزجت كل هذه العلوم وما يتعلق بها مع أبحاث بالتفسير حتى طغت عليه، وغلب الجانب العقلى على الجانب النقلى، وصار أظهر شئ فى هذه الكتب، هو الناحية العقلية، وإن كانت لا تخلو مع ذلك من منقول يتصل بأسباب النزول، أو بغير ذلك من المأثور.. واتجهت الكتب المؤلَّفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكَّمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية فى عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين فى تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النِحَل والأهواء فيه ظهورًا جليًا. وإنَّا لنلحظ فى وضوح وجلاء: أن كل مَن برع فى فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذى برع فيه»[٢].

(١) أما مرحلة اختصار الأسانيد فكانت بعد عصر الماتريدي ومضي هؤلاء الأوائل أواخر القرن الرابع الهجري ومن أشهر تفاسير هذه المرحلة: تفسير (بحر العلوم) للسمرقندي المتوفي ٣٧٣هـ، والذى غلب عليه الجانب النقلي وإن وجد فيه الجانب العقلي أيضًا، وتفسير (الكشف والبيان) للثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ الذى اختصر فيه الأسانيد أيضًا ومثله البغوي المختصر من الثعلبي، والبغوي توفى سنة ٥١٠هـ، ينظر: التفسير والمفسرون، ١/ ١٦١ فما بعدها.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ١٠٤ فما بعدها، بتصرف يسير، ويلاحظ أن العلامة الذهبي قد جعل التفسير بالمأثور مرحلة أعقبتها مرحلة: غلبة الجانب العقلي، وهو خلاف الواقع إذ فى عصر الطبري الذى عده من أئمة رواية المأثور كان الماتريدي الذى غلب على تفسيره الجانب العقلى وسبقه أبو بكر الأصم المعتزلى وغيرهما، فالصحيح أن التفسير بعد انفصاله عن الحديث تزامن فيه الجانبان، أعني: جانب التفسير المقتصر على المأثور سواء مع ايراد الأسانيد أو حذفها، مع جانب غلبة العقل أو غلبة التخصص على تفسير المفسر.

ـ أشهر مفسري أهل السنة في عصر الماتريدي[1]:

١- بقى بن مخلد الأندلسى (ت: ٢٧٦هـ)، وهو «بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي الحافظ أحد الأعلام وصاحب التفسير والمسند.. لا يقلد أحدا بل يفتي بالأثر وهو الذي نشر الحديث بالأندلس وكثره، وليس لأحد مثل مسنده ولا تفسيره. قال ابن حزم: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ولا تفسير ابن جرير... وقد كانت وفاته في جمادي الآخر سنة ست وسبعين ومائتين»[2].

٢- ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) صاحب (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)، وهو «رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالمعاني فقيها في أحكام القرآن، عالـما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عالما بأحوال الصحابة والتابعين بصيرا بأيام الناس وأخبارهم... وله التصانيف العظيمة، منها: تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير، لم يؤلف مثله كما ذكره العلماء قاطبة منهم النووي في تـهذيبه؛ لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد لا قبله ولا بعده... قال الشيخ أبو حامد الإسفرايـيني شيخ الشافعية: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا»[3].

٣- الزجاج (ت: ٣١١هـ)، وهو: «إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج وكان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه (معاني القرآن) في التفسير»[4].

٤- ابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، وهو «أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد

---

(١) وقد اعتمدت في سردهم على (طبقات المفسرين) للأدنه وي؛ لأنه متأخر، وقد جمع، وفيه ما لم يذكر في غيره.

(٢) طبقات المفسرين، الأدنه وى، ص٣٦. باختصار. وينظر: (طبقات المفسرين)، للسيوطي ت: علي محمد عمر، ١/ ٣٠ ط١، ١٣٩٦هـ، مكتبة وهبة – القاهرة.

(٣) طبقات المفسرين، الأدنه وى، ص٤٨ فما بعدها باختصار طفيف. وينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ١/ ٨٢.

(٤) طبقات المفسرين، الأدنه وى، ص٥٢. اختصار.

ابن بشار الأنباري النحوي، صاحب التصانيف في النحو والأدب كان علامة وقته في الأدب، صدوقا دينا ثقة حبرا من أهل السنة، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث ومشكل الحديث وغيـرها، وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا للقرآن العظيم بأسانيدها... وله (إعراب القرآن) المسمى بـ(البيان)»[1].

٥- ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، وهو «عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها... صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، وكان عابدا زاهدا يعد من الأبدال[2]، ومن تصانيفه التفسير المسند في اثني عشر مجلدًا»[3].

٦- الإمام الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، وهو «علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحق ابن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي، أبوالحسن الشيخ الإمام ناصر السنة وناصح الأمة، إمام أئمة الحق ومدحض المبدعين المارقين حامل راية منهج الحق ذو النور الساطع والبرهان القاطع وهو الذي كان على رأس المائة الثالثة المحيي في الدين... صنف في تفسير القرآن»[4].

٧- أبوبكر القفال الشاشي الشافعي (ت: ٣٦٠هـ)، وهو: «محمد بن علي بن إسماعيل

---

(١) طبقات الأدنه وى، ص٦٦، ٦٧. باختصار.

(٢) مرتبة اختص الله بها بعض عباده، وللإمام السيوطي رسالة بعنوان: (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والأبدال)، مما جاء فيها: «قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ثنا عبد الرحيم بن حبيب ثنا داود بن محبر عن ميسرة عن أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله» أ.هـ.

ينظر: الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٢/ ٣٠٠، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) طبقات الأدنه وى، ص٦٥، ٦٦. باختصار.

(٤) طبقات الأدنه وى، ص٦٧، ٦٨. باختصار.

الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير كان إمام عصره بما وراء النهر فقيها محدثا مفسرا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن للشافعية بما وراء النهر مثله في وقته... صنف في التفسير والأصول والفقه... وقال النووي: القفال هذا هو الكبير يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، بخلاف القفال الصغير المروزي فإنه يتكرر في الفقه خاصة»[1].

٨- أبوجعفر النحاس (ت: ٣٣٧هـ) «هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري، كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة، منها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب (إعراب القرآن)، وكتاب (الناسخ والمنسوخ).. وغير ذلك»[2].

أما سمرقند بلد الإمام الماتريدي فيبدو أنها شهدت نشاطا تفسيريا؛ فقد ذكر السمعاني في (الأنساب) قال: «الخَرْعُوني.. نسبة إلى خرعون، وهي قرية من قرى سمرقند من ناحية أبغر، ومن هذه القرية الأخوان أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعوني، ومات سنة إحدى وثلاثمائة.. وأخوه أحمد بن حامد الخرعوني، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبي الحسين علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب - يعني التفسير - والمشافهات مع أخي أحمد بن حامد بن علي بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا في ثلاث سنين، وتوفي علي بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا»[3].

ـ أما الجبهة الخارجية.

فإن جهود العلماء فيها كانت دون النشاط التى أخذته الجبهة الداخلية فى الدفاع عن القرآن ومع ذلك فقد اهتم العلماء - ومنهم الإمام الماتريدي- بالرد على أصحاب العقائد والملل فى طعنهم على القرآن؛ إذ كانت منطقة ما وراء النهر خاصة قد شهدت فلسفات

(١) طبقات الأدنه وي، ص٧٩، ٨٠. باختصار، وينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ١/ ٩٤.

(٢) مفتاح السعادة، ٢/ ٧٣، ٧٤ باختصار. وينظر: طبقات الأدنه وى، ص٧٢.

(٣) الأنساب، للسمعاني ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، باختصار.

وعقائد مختلفة كالثنوية القائلين بالنور والظلمة، والبراهمة منكري النبوات، وغيرهم من أرباب الديانات الوثنية وممن لم يدخل فى الإسلام، وهؤلاء فى معارضتهم للقرآن يحاولون جعل أحكام القرآن وعقائده تخالف المعقول أو الفطرة، أو يظهرون آياته بمظهر المتناقضة حتى تهدم نفسها بنفسها، كما حاول ابن الراوندي الملحد (ت: ٢٩٨هـ) وهو من معاصري الإمام الماتريدي، حيث ألف كتاب (الدامغ) فى نقض القرآن، و(الزمرد) فى نقض النبوات[1] وقد ذكره الماتريدي فى تفسيره ورد عليه فى مواطن.

بل إننا لنستطيع القول إن علم الكلام الذى انشغل الإمام الماتريدي بالتنظير له أو البناء على ما أسسه الإمام الأعظم، يعد أساسا ثمرة لذلك السجال مع أصحاب العقائد والأديان، وما الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة أو غيرهم إلا خلاف فى كيفية إيصال القرآن بصورة **معقولة** إلى الآخرين مع اختلاف فى جوانب النظر التى تجعل البعض ينحرف عن جادة الصواب أو يميل قليلا هنا أو هناك، إما إلى جانب النقل أو العقل، إلا أن الجمع بين العقل والنقل فى مناهج النظر مع إعطاء كل منهما ما يستحقه، لم يتوفر إلا لأئمة أهل السنة ومنهم الإمام الماتريدي رحمه الله.

(١) قال الذهبي فى سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٠ فما بعدها): «الريوندي الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي، صاحب التصانيف في الحط على الملة، وكان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم. ثم إنه كاشف وناظر، وأبرز الشبه والشكوك. قال ابن الجوزي: كنت أسمع عنه بالعظائم، حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب، ورأيت له كتاب (نعت الحكمة)، وكتاب (قضيب الذهب)، وكتاب (الزمردة)، وكتاب (الدامغ) الذي نقضه عليه الجبائي، ونقض عبد الرحمان بن محمد الخياط عليه كتابه (الزمردة).

قال ابن عقيل: عجبي كيف لم يقتل! وقد صنف الدامغ يدمغ به القرآن، والزمردة يزري فيه على النبوات. قال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعلق بشبهة! يقول فيه: إن كلام أكثم بن صيفي فيه ما هو أحسن من سورة الكوثر!. وإن الانبياء وقعوا بطلاسم. وألف لليهود والنصارى يحتج لهم في إبطال نبوة سيد البشر.. قال ابن النجار: أبو الحسين ابن الراوندي المتكلم من أهل مرو الروذ، سكن بغداد، وكان معتزليا، ثم تزندق» أ.هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة. وللمزيد من أخباره والحديث عن مؤلفاته، ينظر: من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، د. عبد الرحمن بدوي، ص٨٩ فما بعدها، سينا للنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

والخلاصة: أن الأجواء العلمية السائدة فى عصر الإمام الماتريدي وما شهدته من سجال فكري وعقائدي، كان لها أكبر الأثر فى تصانيف الإمام الماتريدي ومنها تفسيره والذي اختار منهجا معينا فيه من حيث الاهتمام بمناقشة قضايا معينة، أو الافصاح عن رأيه فيها أو تأكيدها، سواء فى جانب الأصول أو الفروع، وهو ما سيتضح بجلاء تام إن شاء الله تعالى.

***

الفصل الثاني
حياة الإمام الماتريدي

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم
عند الممات جمال الكتب والسير[١]

(١) من شعر: موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، عن: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ٢/ ٣٣٤، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.

تمهيد

ملاحظات حول المصادر

من خلال تتبعي للمصادر المختلفة، ومحاولة جمع المتيسر عن حياة الإمام الماتريدي فى كتب التراجم والتواريخ والطبقات والأنساب وغيرها، فإن عيني لم تخطئ عددا من الملاحظات:

ـ إهمال:

الملاحظة الأولى: أنه بالرغم من الأثر الفكري الهائل الذى خلفه هذا الإمام، باعتباره واحدا من كبار علماء الأمة فى مجالات العقيدة والتفسير والفقه والأصول وغيرها، وهو صاحب مدرسة فكرية ممتدة إلى يوم الناس هذا، وبالرغم من كونه أسبق من الإمام الأشعرى فى تقرير عقائد أهل السنة والمنافحة عنها[1] إلا أننا مع ذلك لا نجد عن حياته الشخصية أو مسيرته العلمية ما يثلج الصدر، مما يترجم عن مكانة هذا العلم الكبير!!

وعلى سبيل المثال: فإنه في الوقت الذي كتب فيه التاج السبكي (ت: ٧٧١هـ) ترجمة حافلة للإمام الأشعري فى (طبقات الشافعية) قربت من مائة صفحة[2]، وكذا الإمام ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ألف كتابا حافلا عن الأشعري والأشعرية، سماه (تبيين كذب المفتري)؛ فإننا فى المقابل لا نجد عن الإمام الماتريدي إلا ما يقرب من عشرين سطرا فى (تبصرة الأدلة)[3] ومقدار عشرة سطور فى كتاب (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية)[4]، بالإضافة للإهمال

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك فى المبحث الرابع: (أسلاف الإمام الماتريدي في منهاجه).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، ت: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، من ٣/ ٣٤٧ حتى ٣/ ٤٤٤، دار إحياء الكتب العربية، دون تاريخ.

(٣) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٩ -٤٧٥، ت: حسين آتاى، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣.

(٤) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، محيى الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشى الحنفى =

الكبير لسيرته في الغالبية الساحقة من كتب التراجم والطبقات والتواريخ وغيرها، إذ لا تبلغ المصادر عن حياته أصابع اليدين، ثم إن ما نجده فيها بَعْدُ ما هو إلا معاد مكرور، ينقله هذا عن ذاك، وفي كل الأحوال فإنه لا يتجاوز الأسطر المعدودات!

ـ مفارقـات:

الملاحظة الثانية: اشتملت المصادر المختلفة على مفارقات تدعو للعجب فى شأن الإمام الماتريدي؛ حيث يقوم المؤلف فى بعض الأحيان بإيراد بعض الأعلام المعاصرين للإمام الماتريدي، بل أحيانا من سمرقند أو قريبا منها، أو ممن للإمام به علاقة أو رد عليه في كتاب ونحوه..، ومع ذلك فإنهم يترجمون للآخر ولا يذكرون الإمام الماتريدي!، ومن ذلك:

١ - أن أصحاب كتب (الملل والنحل)[١] بالرغم من ذكرهم للكعبية أتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي الخراساني (ت: ٣١٩هـ)، من معاصري الماتريدي، وقد رد عليه الماتريدي فى مؤلفات مستقلة كثيرة، منها (رد أوائل الأدلة) و(رد تهذيب الجدل) و(رد وعيد الفساق)، وذكره فى كتاب (التوحيد) للرد على مقالاته كثيرا[٢]، بالرغم من ذلك: فإنهم لم يذكروا شيئاعن الماتريدي أو الماتريدية!

٢ - أن كتب (طبقات المفسرين) ككتاب السيوطي (ت: ٩١١هـ) وكتاب الداوودى (ت: ٩٤٥هـ) لم يذكر أي منهما شيئا عن الماتريدي، مع أن الداوودى مثلا قد ذكر محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر الخياط النحوي (ت: ٣٢٠هـ) وأصله من سمرقند، فهو بَلَدِيُّ

= (ت: ٧٧٥هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو ٣/ ٣٦٠، ٣٦١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٣م.

(١) ينظر مثلا كتاب عبد القاهر البغدادى، المطبوع باسم: الملل والنحل، ت: ألبير نصيرى، ص ١٢٧، دار المشـرق، بيروت. وهو بعينه المطبوع باسم: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ص١٨١، المكتبة العصرية بيروت، سنة ١٩٩٥م. وبينهما اختلافات بالزيادة والنقصان!.

(٢) ينظر على سبيل المثال كتاب (التوحيد) للامام الماتريدي بتحقيق الدكتور بكر طوبال أوغلى ص ٨٣، ١١٣، ١٢٣، ١٣٨، ١٤٦، ١٤٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٦٦، ٤٥٣ وغيرها، دار صادر، بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠٧م.

الماتريدي ومعاصره[١]! والماتريدي مفسر، تفسيره معروف، يُنْقَل عنه، من أيامه وإلى الآن[٢].

٣- وقد ذُكر الماتريدي فى كتاب (طبقات المفسرين) لمؤلف مجهول، من علماء القرن الحادي عشر، لم يطبع كتابه إلا حديثا، إلا أنه لم يزد عن ذكر المذكور، وكتابة المكتوب[٣]!

٤- أن كتب (طبقات الفقهاء) مثل كتاب أبي إسحاق الشيرازي (ت: ٤٦٧هـ) لم يذكر أي منها شيئا عن الماتريدي فالشيرازي بالرغم من ذكره لأبي جعفر الطحاوي[٤] وهو من طبقة الماتريدي فى المذهب، والماتريدي فقيه حنفي معروف بين الأحناف، لا يقل بينهم شهرة عن معاصره الطحاوي، بل كان يلقب بـ«الفقيه»، وقد نقلت عنه كتب الفقه الحنفي الكثير من آرائه الفقهية والأصولية، ومع ذلك فإنه لم يذكر الماتريدي فى عداد الفقهاء. ولم يذكر الماتريدي إلا في كتاب متأخر، هو كتاب (طبقات الأصوليين) للمراغي[٥].

ـ السبب:

الملاحظة الثالثة: بدا لى أن السبب فى هذا الإهمال وتلك المفارقات، يكمن فى الآتي:

الأول: طبيعة التأليف فى كتب التراجم والطبقات، فإن غالب هذه الكتب يعتمد على النقل والتجميع والترتيب، والمبنى منها على المجهود الشخصي للمؤلف الذى يقوم فيه بتتبع أخبار من يعرف من المُتَرْجَم لهم قليل بل نادر، فإذا لم يترجِم للعالم فى عصره من يعرفه أو يعرف أخباره وأحواله، أو يقوم هو بالترجمة لنفسه فإن الأمر يصعب على من جاء بعده.

الثاني: أن كثيرا من تراث بلاد ما وراء النهر عامة، وطبقات الأحناف خاصة، لا سيما المتقدمة منها يعد فى المفقود أو المخطوط. أما الفقد: فإن غزوات التتار الهمجية على

(١) طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن على الداوودى، ت: على محمد عمر، ٢/ ٨٤، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٢م.

(٢) ينظر: الباب الرابع، مبحث: (أثر تفسير الإمام الماتريدي).

(٣) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق سليمان الخزي ص٦٩، ٧٠، مكتبة دار العلوم والحكم، ط١، ١٩٩٧م. وهذا كل ما لدينا من كتب طبقات المفسرين (السيوطي، والداوودي، والأدنه وي).

(٤) طبقات الفقهاء، ص١٤٢.

(٥) طبقات الأصوليين، عبدالله مصطفى المراغي، ١ / ٢٢١، نشره محمد على عثمان، سنة ١٩٧٤م.

العالم الإسلامي جعلت الكثير من المكتبات ودور العلم أثرا بعد عين، وما اختفاء الكثير من المؤلفات القيمة النادرة التى تذكر فى الكتب ولا نجد لها أثرا إلا نتيجة لتلك الغزوات، والتى فقد بسببها العديد من كنوز التراث.

وأما كون الكثير من تراث تلك البلاد ما زال مخطوطا فى دور العلماء وبيوت العلم فى ديار أوزباكستان خاصة - بلد الإمام الماتريدي- فهذا ما يغلب على الظن، خاصة وأنه من المعلوم أن تلك البلاد ما خرجت إلا حديثا من قبضة الاستعمار السوفياتى المحارب للإسلام وتراثه[1].

فهذان هما السببان المعتبران عندي فى هذا الإهمال وتلك المفارقات[2].

---

(١) لعل أبرز الأمثلة على ما فقد منه أجزاء والتى نسأل الله أن يقيض لها من يجدها: كتاب «القند في ذكر علماء سمرقند» لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (٤٦١ - ٥٣٧هـ) والتى حققها يوسف الهادي، بواسطة مركز نشر التراث المخطوط في طهران (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) والمحقق قد اعتمد في هذه الطبعة على نسختين ناقصتين؛ الأولى: ناقصة الأول والآخر، مضطربة الأوراق، تضم التراجم التي تبدأ أسماء أشخاصها بحرف الألف حتى حرف الجيم، وبعض من العين.. الثانية: وهي تضم التراجم التي تبدأ أسماؤها بالحروف من الخاء حتى الكاف فقط؛ ويفترض أن تكون ترجمة الماتريدي عند حرف الميم! إذ لم يَعتبِر الكنية فى ترتيب التراجم، ولا بد أن في هذا الكتاب ترجمة؛ إذ مؤلفه نجم الدين النسفى (ت: ٥٣٧هـ) هو صاحب (العقائد النسفية) الموافقة لعقيدة الماتريدي، والكتاب فى ذكر علماء سمرقند، والماتريدي ليس من المجاهيل، بل إنه قد ترجم فى الكتاب لكل من مر أو أقام فى سمرقند ولو قليلا، حتى إنه ترجم للخضر عليه السلام لأنه رؤى بها!.

ويوجد من الكتاب نسخة أخرى طبعت قبل هذه، وهى أنقص منها، اشتملت على أخطاء جمة طبعته مكتبة الكوثر بالسعودية اعتنى بها: نظر محمد الفاريابي، ط١، سنة ١٩٩١م. أشار محققها (ص٦) إلى أن الكثير من كتب تلك المنطقة لم تصل إلينا.

(٢) ذكر بعض الباحثين أسبابا أخرى، لكنها غير مقنعة ولا تصمد أمام التمحيص العلمي، ومن ذلك ما يلى:

١ - قالوا: بُعد الإمام عن مركز الخلافة، حيث محط الأنظار، بخلاف الأشعري - مثلا - الذى كان فى قلبها. لكن هذا السبب لا يصمد أمام التمحيص، فكم من عالم لم يعش فى عاصمة الخلافة ومع ذلك اعتنى به أصحاب التراجم والتواريخ والطبقات، فالإمام الطحاوي - مثلا- كان معاصرا للماتريدي، صنوا له وللأشعرى، ولم يكن فى مركز الخلافة بل عاش فى مصر، ومع ذلك فقد ذكره ابن كثير فى (تاريخه) وابن خلكان فى (وفيات الأعيان) وابن عساكر فى (تاريخه) وغيرها، كما يعلمه كل من طالع كتاب (الحاوى فى سيرة الإمام الطحاوى) للعلامة الكوثري عليه رحمة الله (طبعته مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة، دون تاريخ). =

= ٢- قالوا: عدم استناد الإمام الماتريدي وأصحابه إلى قوة سياسية كما تم ذلك للمعتزلة زمن المأمون أو للأشعرية بعد ذلك.

لكن هذا السبب كذلك لا يثبت أمام التمحيص فضلا عن أن التسليم بصحة الربط بين انتشار الفكرة والقوة السياسية خطير!

أما تمحيصا: فإن الأديان والمذاهب العلمية لا يشترط فى انتشارها قوة سياسية تدعمها وتدفعها؛ فالإسلام نفسه لم يلق تلك القوة فى بداياته، ومذاهب الفقهاء التى انتشرت فى الأمة لم تدعم من سياسيين، بل الذى حدث هو العكس تماما، فالسلطان يوطد ملكه ويتقرب من رعيته بما يرى له قبولا فى مجتمعه، بل إن مذاهب الباطل قد أوجدت دولا استهدفت نشر مذاهبها ولم تفلح، كما فعل الفاطميون فى مصر وشمال أفريقيا، بل إن القرن الرابع الهجرى بأكمله لم يأت على الأمة الإسلامية إلا ويحكمها من يدعى الانتساب لآل البيت، ما بين تشيع زيدي أو باطنى إسماعيلي أو تشيع ظاهرى يخفى انحلالا وشعوبية كحركة الزنج والقرامطة، فهل تبقى من مذهب الإسماعيلية الباطنية شيئ فى مصر أو غيرها إلا بقعا هنا وهناك فى العالم الإسلامى الشاسع؟!.. فالحق: أن الحق قوى بنفسه، وأن السيف قد يفتح أرضا لكنه لا يفتح قلبا.

أما خطورة: فإن هذا القول يعد اتهاما صريحا لشعوب الأمة الإسلامية ولمذهب أهل السنة بالذات؛ إذ سمعنا من يقول ذلك من بقايا الباطنية والاثني عشرية! يرددونها بل يكتبونها. ولست أنكر أن يكون للقوة السياسية بعض الأثر، لاسيما إذا تبنت الدولة مذهبا أو أوقفت عليه أوقافا أو شيدت مدارسه، لكن هذا الدعم ليس هو الخطوة الأولى بل الثانية! فلولا قوة مذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية ما كُتب له البقاء أمام مختلف الآراء والأهواء، ولولا إحكام مذاهب الفقهاء لا سيما الأربعة وتنقيح مذاهبهم جيلا بعد جيل ما بقيت ولا انتشرت. نعم: قد تنتشر مذاهب الباطل ودوله حينا، لكنها لا تبقى كثيرا، ولا تُعَمِّر طويلا. هكذا يقول التاريخ!

٣- قالوا: عدم ارتحال الماتريدي إلى المراكز العلمية فى العالم الإسلامي.

وهذا السبب فضلا عن كونه لا يصمد أمام التمحيص فإنه غريب حقا؛ إذ ينبغي أن يكون مبنيا على معرفة حياة الإمام! فكيف يُعلم ارتحاله من عدمه وحياة الرجل شبه مجهولة لنا، ومن ثم فهو تخمين غير مستند إلى شيئ!

٤ - قالوا: تأخر التأليف فى طبقات الحنفية، فإن أول كتاب ألف فى طبقاتهم كان فى القرن الثامن بعد وفاة الماتريدي بأربعة قرون تقريبا وهو كتاب: (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية) للقرشي (ت: ٧٧٥هـ).

وهو كلام غير صحيح؛ فقد ألف الكثيرون فى طبقات الأحناف قبل القرشي، بحسب ما أطلعت عليه.

ينظر هذه الأسباب الواهية في: أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية، بلقاسم الغالي، ص٤٣، دار التركى للنشر، تونس، سنة ١٩٨٩م، ونقلتها فاطمة يوسف الخيمى، محققة التفسير فى ١/ ٧، كما ذكر أغلبها نقلا عنه أيضًا (حيث ذكره من مصادره): أحمد عوض الحربى في (الماتريدية دراسة وتقويما)، دار العاصمة، ط١، سنة ١٤٠٩هـ، وزاد بعضها من عنده (السببين الثالث والرابع)، ص٨٣، ٨٤.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكثير من كتب طبقات الحنفية مازال حبيس أدراج المخطوطات وهى لم تر النور بعد، مما أكده البحث فى أدراج المخطوطات وخزائنها[1] قلنا مستريحين أن هذا الحكم بالإهمال إنما هو **بالنسبة لما بلغنا من مصادر** أما فى نفس الأمر فيغلب على الظن وجود تراجم ضافية؛ نظرا لمكانة هذا الإمام، والأمل معقود أن تظهر هذه المخطوطات للنور، وأن نرى فيها ما يثلج الصدور...!

ـ مادة ترجمته:

الملاحظة الرابعة: أن غالب من يترجم للإمام الماتريدي لا يخرج فى ترجمته أو لا يزيد شيئا ذا بال – اللهم إلا المزيد من المدح المستحق – عما ذكره صاحب (تبصرة الأدلة) بحيث لو قلنا: إن كل ما لدينا من معلومات وما عرفناه عن هذا الإمام يرجع إلى ما كتبه أبو المعين النسفى (ت: ٥٠٨هـ) فى (التبصرة) ما كان بعيدا، وقد صرح الزبيدى فى (الإتحاف) في آخر كلامه عن الماتريدي برجوعه إلى (التبصرة)، إلا أنه يُستثنى من ذلك ما ذكره أبو اليسر البزدوى المتوفى فى بخارى سنة ٤٩٣هـ فى كتابه (أصول الدين)[2]؛ لأنه أسبق وفاة من النسفي.

ومن العجب: أن الكتابين فى العقائد وليسا فى التراجم، وأن الكلام فيهما عن أبي منصور قد أتى عرَضا أثناء حديث صاحب (التبصرة) عن الانتصار لصفة التكوين وإيراد القائلين بها، وأثناء حديث صاحب (الأصول) عن غرضه من تأليف الكتاب ودافعه إليه. وهى مفارقة أخرى وقفنا عليها فى موضوعنا!

لذا فإنني في دراستي لسيرة حياة الإمام الماتريدي سوف أقوم بالآتي:

(١) اطلعت على مقالة على الانترنت ذكر كاتبها، جزاه الله خيرا، عددا من تلك المخطوطات، المحتويه على طبقات الحنفية المؤلفة قبل طبقات القرشي (الجواهر المضية)، وإن أغلب الظن أن تكون محتوية على ترجمة للإمام الماتريدي، وتؤكد فى نفس الوقت الإحساس الذى يصل لدرجة اليقين بأن للإمام الماتريدي ترجمة وافية لم تصل إلينا سواء فى هذه المخطوطات أو فيما لم يصل إلينا بعد من تراث ما وراء النهر.

(٢) اشتكى محقق الكتاب: هانز بيترلنس من ندرة المصادر حول البزدوى (ص٩) مما يؤكد ما نراه من وجود (مشكلة) فى تراجم علماء هذا الجزء من العالم الإسلامى.

أولًا: اعتماد «المصادر الأولية» التي تمثل «المادة الخام»؛ لأنها ستكون بوصلتنا فى قبول ما يكتب عن الإمام الماتريدي أو رفضه؛ إذ شح المعلومات عن هذا الإمام قد أوقع البعض فى أوهام وأغلاط، وهذه المادة الخام تتمثل في:

١- ما ذكره أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) فى (أصول الدين)، وهو خمسة أسطر تقريبا[1].

٢- ما ذكره النسفى (ت: ٥٠٨هـ) فى (تبصرة الأدلة)، وهو نحو عشرين سطرًا[2].

٣- ما ذكره ابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ) في (مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار)، وهو نحو سبعة عشر سطرًا[3].

٤- ما ذكره عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (ت: ٧٧٥هـ)، في (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) وهو نحو خمسة أسطر[4].

٥- ما ذكره ابن قطلوبغا (ت: ٨٧٩ هـ) في (تاج التراجم)، وهو نحو خمسة أسطر أيضًا[5].

٦- ما ذكره العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)، وهو نحو ثلاثين سطرًا[6].

(١) أصول الدين، أبو اليسر البزدوى، ت: هانز بيترلنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، ص١٤، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣م.

(٢) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٩ -٤٧٥، ت: حسين آتاى، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣م.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي، تحقيق: كامل الجبوري، ٦/ ٦١، ٦٢، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠.

(٤) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، محيي الدين أبي محمد عبد القادر القرشي (ت٧٧٥هـ)، ت: عبد الفتاح الحلو، ٣/ ٣٦٠، ٣٦١. دار هجر، ط١، ١٩٨٨م.

(٥) تاج التراجم فى طبقات الحنفية، زين الدين بن قطلوبغا، ت: جوستاف فلوجل، ص٤٣، ٤٤، ليبزيج ١٨٦٢م.

(٦) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ص٢/ ٥، ٦، طبعة مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٩٩٤م.

٧- ما ذكره العلامة محمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ت: ١٣٠٤هـ) في (الفوائد البهية في تراجم الحنفية)، وهو نحو عشرة أسطر[١].

فهذا كل ما لدينا تقريبا حول سيرة هذا الإمام وحياته وأكثره مكرر معاد ينقله الآخر عن الأول؛ مما جعل الكثير من الكتاب يعبرون عن شح المعلومات حول حياة هذا الإمام الذى نعلم أثره العلمي الكبير وإن كنا مع الأسف نجهل حياته؛ فهذا أحمد أمين يقول: «ولا نعلم الكثير عن حياة الماتريدي، وإن كنا نعلم الكثير عن مذهبه»[٢]، وفى معجم تفاسير القرآن يعبر كاتبوه عن ذلك فيقولون: «ومعلوماتنا عن أبي منصور محدودة، فلا نعلم تاريخ ميلاده كما لا نعلم مراحل حياته، ولا ما قام به من رحلات من أجل الاتصال بشيوخ العصر، وكل ما نعلم: أنه كان واسع المعرفة الشرعية والعقلية، وأنه كان على جانب من الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، وأنه كان يناصر مذهب أهل السنة بلسانه وقلمه»[٣].

ثم إنني ثانيًا سأقوم بعمل دراسة تحليلية حول سيرة الماتريدي تستبعد بعض الأوهام وتحاول اكتشاف جوانب أخرى من حياته، لم تذكر في غير هذا الكتاب بفضل الله وحده، وسوف أعتمد في ذلك - بخلاف هذه المصادر الأوليه - على:

١- ما تجمع لدى الباحث من هنا وهناك مما لم أجد له ذكرا فى هذه المصادر الأوليه.

٢- ما تجمع لدى الباحث من خلال دراسة تفسيره الكبير.

علنا بذلك نسد بعض الثغرات فى معرفتنا بجوانب شخصية هذا الإمام وذلك من خلال المباحث الآتية:

***

(١) الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، العلامة أبي الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى، تصحيح وتعليق السيد بدر الدين النعمانى، ص١٩٥، نشر دار الكتاب الإسلامى. والكتاب تلخيص لكتاب (كتائب أعلام الأخيار) لمحمود بن سليمان الكفوى المتوفى سنة ٩٩٠هـ لخصه وزاد عليه فوائد كما قال فى مقدمته، ص٣، ٤.

(٢) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ٤/ ٩١، ط٥، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) معجم تفاسير القرآن، مجموعة مؤلفين، ص٥٤٩، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (إيسيسكو)، ١٩٩٧م.

المبحث الأول

المادة الأولية لسيرة الإمام الماتريدي

تتمثل المادة الأولية أو لنقل المادة الخام لسيرة الإمام الماتريدي في تراجمه الموجودة والمتوفرة لدينا فى كتب التراجم والطبقات، كالتالي:

١. يقول أبو اليسر البزدوي (ت ٤٩٣هـ) فى (أصول الدين):

«وقد وجدت للشيخ الإمام الزاهد أبي منصور الماتريدي السمرقندي كتبا فى علم التوحيد على مذهب أهل السنة والجماعة وكان من رؤساء أهل السنة والجماعة صاحب كرامات. حكى لى الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عن جده الشيخ الإمام الزاهد عبد الكريم بن موسى رحمه الله كراماته وأن جدنا كان قد أخذ معانى كتب أصحابنا وكتاب التوحيد وكتاب التأويلات في خلق عن الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمه الله الا أن فى كتاب التوحيد الذى صنفه الشيخ أبو منصور قليل انغلاق وتطويل، وفى ترتيبه نوع تعسير، ولولا ذلك لاكتفينا به»[١].

٢. ويقول أبو المعين النسفى (ت٥٠٨هـ) متحدثا عن القائلين بصفة التكوين:

«وحكى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي رحمه الله أنه قال: ما أتى الفقيه أبا نصر العياضى احد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراء فى الدين بآية من القران يحتج بها لمذهبه الا تلقاه مبتدها بما يفحمه ويقطعه، وحكى أن رياسة العلماء والدرس كانا إليه وهو من أبناء عشرين سنة. وروى انه لما استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمهم الله... ولو لم يكن فيهم إلا الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله الذى غاص فى بحور العلوم فاستخرج دررها وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه وجودة قريحته غررها حتى أمر الشيخ أبو القاسم الحكيم أن يكتب على قبره

(١) أصول الدين، البزدوى، ص ١٤، هذا كل ما ذكره البزدوى عن الامام الماتريدي بعد وفاته بأكثر من قرن ونصف (وفاته بعد وفاة الإمام ب١٦٠ عاما تقريبا).

حين توفى رحمه الله: هذا قبر من جاد العلوم بانفاسه واستنفد الوسع فى نشره وإقباسه فحمدت فى الدين آثاره واجتنى من عمره ثماره فرحمه الله، وهو الذى تخرج عليه الفقيه أبو أحمد العياضى فى انواع العلوم والشيخ أبو الحسن الرستغفنى رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء المتبحرين فى العلوم الملية لكان كافيا، وعن ثلب رأي هو عليه لذوى العقول والدين زاجرا، ومن رأى تصانيفه ككتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبى، وكتاب رد تهذيب الجدل للكعبى، وكتاب بيان وهم المعتزلة، ورد كتاب الكعبى فى وعيد الفساق، ورد الأصول الخمسه لأبي عمرو الباهلى، ورد كتاب الإمامة لبعض الروافض، وكتابيه فى الرد على القرامطة يرد فى احدهما اصول مذهبهم وفى الاخر فروعها، وكتابيه فى أصول الفقه احدهما المسمى بمأخذ الشرائع والآخر المسمى بالجدل، الى غير ذلك من الكتب، ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني وإثارة الدلائل عن مكامنها واستنباطها عن مظانها ومعادنها واطلع على ما راعى من شرائط الالزام والالتزام وحافظ من اداب المجادلة الموضوعة لفسخ عقائد المغترين بافهامهم وقرن كل مسألة من البرهان من الموضوع لإفادة ثلج الصدر برد اليقين لعرف انه المخصوص بكرامات ومواهب من الله تعالى المؤيد بمواد التوفيق ولطائف الارشاد والتسديد من الغنى الحميد، وان ما اجتمع عنده وحده من انواع العلوم الملية والحكمية لن يجتمع فى العادات الجارية فى كثير من المبرزين المحصلين ولهذا كان أستاذه الشيخ أبو نصر الياضى رحمهما الله تعالى لا يتكلم فى مجالسه مالم يحضر الشيخ أبو منصور رحمه الله وكان كلما رآه من بعيد نظر اليه نظر المتعجب وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، وكتابه المصنف فى تأويلات القران كتاب لا يوازيه فى فنه كتاب بل لا يدانيه شيئ من تصانيف من سبقه فى ذلك الفن، وما أحسن ما قال بعض البلغاء الكتاب فى وصفه رحمه الله تعالى فى كتاب [1] فقال: كان من كبراء الأئمة وأوتاد الملة وكتابه فى تفسير القرآن فتق عن المشكل أكمامه وقشع عن المشتبه غمامه وأبان بأبلغ الوصف وأتقن الرصف أحكامه وحلاله وحرامه لقاه الله تحيته وسلامه....وأكثر من ذكرت من قدماء هؤلاء كانوا ماتوا قبل ثلاثمائة

(١) هذا يؤكد ما ذكرناه من أن للإمام ترجمة فى بعض الأجزاء المفقودة أو الكتب المخطوطة التي نسأل الله العثور عليها وسرعة تحقيقها.

وكثير منهم ماتوا فيما بين ثلاثمائة الى ثلاثمائة وثلاثين وثلاثمائة، ووفاة الأشعري كانت فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوفى الشيخ أبو منصور رحمه الله بعد وفاة الأشعرى بقليل»[1].

٣. يقول ابن فضل الله العمري(ت: ٧٤٩هـ) :

محمد بن محمد، أبو منصور الماتريدي، أحد أعلام الدين ومشايخ المسلمين، إمام، كل العالم بعلمه يقتدون، وبنهجه يهتدون، لو وهب ريحه على أبي حنيفة لتطيب به من زفر، وأيقن أن فوق اللؤلؤي من هو أدرى بالدرر، ولما أسي لأبي يوسف إذا انتضت عنه من الحزن، وذهب سواد البصر، ولا أمهل أصحابه لغائب ولو كان محمد بن الحسن المنتظر، ولا بالى بالبلخي إن غاب أو حضر، ولا بابن ليلى وإن عكفت منه الطير على لحم كريم، وإن رفعت ناره في دجى الليل البهيم، ولكان سابع الستة الذين لا تثبت إلا بإجماعهم المسائل، وثالث الصاحبين ولا رابع لهم في تنوع الفضائل.

كان أحد أئمة الدنيا فقها، وعلما وورعا وفضلا وديانة وخيرا مقبولا عند الموافق والمخالف مجمعا على أنه عديم النظير، وسيف السنة وقامع أهل الزيغ والبدعة، صنف الكتب وفرع على السنن وذب عن حريمها وقمع مخالفيها ووصفه سيف الحق، فقال: أبو منصور الماتريدي الذي غاص في بحر العلوم فاستخرج دررها وأتى بحجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه غررها.

وقال غيره: كان المعتزلة يلقبون أهل السنة به، وينسبون سالكي طريقة أبي حنيفة في العقائد والأصول إليه، فيقولون: هؤلاء الماتريدية؛ لشدة ما يغيظهم شأنه وقوة انتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة وله المصنفات الجليلة في الأصول، والرد على أهل الزيغ. ومات بعد الأشعري بقليل، وكانت وفاة الأشعري سنة أربع وعشرين وثلاثمائة»[2].

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٩ -٤٧٥، باختصار، تحقيق حسين آتاى، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣، هذا كل ما ذكره أبو المعين عن الإمام بعد أكثر من قرن ونصف من وفاته (وفاته بعد وفاة الإمام ب ١٧٥ عاما تقريبا).

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي، تحقيق: كامل الجبوري، ٦/ ٦١، ٦٢، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠.

٤. قال عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (٧٧٥هـ):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ذكره صاحب الهداية[1]. كان من كبار العلماء، تخرج بأبي نصر العياضي. كان يقال له إمام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبى وكتاب ردّ وَهْم المعتزلة وكتاب تأويلات القران، وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيئ من تصانيف من سبقه فى ذلك الفن وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الشعرى بقليل وقبره بسمرقند كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن على الحنفى ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة»[2].

٥. قال ابن قطلوبغا (٨٧٩ هـ) في (تاج التراجم):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب رد أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، قلت: تخرج بأبي نصر العياضي، وله كتاب رد تهذيب الجدل للكعبي، ورد وعيد الفساق للكعبي ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي، ورد كتاب الإمامة لبعض الروافض وكتال الرد على القرامطة، وكتاب مأخذ الشرائع فى أصول الفقه، وكتاب الجدل فى أصول الفقه»[3].

(١) كتاب الهداية فى الفقه الحنفى لصاحبه على بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغانى شيخ الاسلام العلامة المحقق وهو من أصحاب التخريج فى المذهب الحنفى وكانت وفاته سنة ٥٩٣هـ، وكتاب الهداية هو اختصار لبداية المبتدى الذى جمع فيه المؤلف القدورى والجامع الصغير للامام محمد بن الحسن وزاد عليه مسائل ثم شرحه فى كفاية المنتهى ثم اختصره فى الهداية، وهو الذى قام العلامة جمال الدين الزيلعى الحنفى المتوفى سنة ٧٦٢هـ بتخريج احاديثه فى نصب الراية، انظر مقدمة نصب الراية ص ١٤ (مؤسسة الريان) اختصره علاء الدين الماردينى التركمانى (توفى سنة ٧٥٠هـ) وهو شيخ القرشى وله ترجمة فى الجواهر المضية ٢/ ٥٨١ واختصاره سماه «الكفاية الى معرفة احاديث الهداية» ثم لما وضع القرشي مختصرا أيضًا وسماه «الكفاية» كذلك أشار على القرشي بتغيير العنوان الى «العناية الى معرفة احاديث الهداية»!

(٢) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ٣/ ٣٦٠، ٣٦١

(٣) تاج التراجم فى طبقات الحنفية، زين الدين بن قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: جوستاف فلوجل، ص ٤٣، ٤٤، ليبزيج ١٨٦٢ م.

٦. وقال العلامة محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) في (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين):

«وأما الإمام أبو منصور الماتريدي فهو محمد بن محمد بن محمود الحنفي المتكلم وماتريد ويقال ماتريت بالمثناة الفوقية بدل الدال في آخره محلة بسمرقند أو قرية بها ويلقب بإمام الهدى وترجمه الإمام المحدث محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي الحنفي في الطبقات المسمى بالجواهر المضيئة والإمام مجد الدين أبو الندى إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني البلبيسي القاهري الحنفي في كتاب الأنساب كل منهما على الاختصار وكذا يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب وحاصل ما ذكروه أنه كان إمامًا جليلًا مناضلًا عن الدّين موطدًا لعقائد أهل السنة قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وخصمهم في محاورتهم حتى أسكتهم، تخرّج بالإمام أبي نصر العياضي وكان يقال له إمام الهدى وله مصنفات منها كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب ردّ أوائل الأدلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصنيف من سبقه في ذلك الفن، وله غير ذلك وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل وقبره بسمرقند كذا وجد بخط الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي الحنفي ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود وبالأنصاري في نسبه فإن صح ذلك فلا ريب فيه، فإنه ناصر السنة وقامع البدعة ومحيي الشريعة كما أن كنيته تدلّ على ذلك أيضًا ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة في وقته ومن شيوخه الإمام أبو بكر أحمد بن إسحق بن صالح الجوزجاني صالح الفرق والتمييز وأما شيخه المذكور أبو نصر العياضي الذي تخرّج به فهو أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى ابن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الفقيه السمرقندي ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال كان من أهل العلم والجهاد ولم يكن أحد يضاهيه لعلمه وورعه وجلادته وشهامته إلى أن استشهد، خلّف أربعين رجلًا من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي وله ولدان فقيهان فاضلان أبو بكر محمد وأبو أحمد، ومن مشايخ

الماتريدي نصير بن يحيى البلخي ويقال نصر بكرامات سنة ثمان وستين ومائتين، ومن مشايخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الريّ ترجمه الذهبى فى الميزان وقال: حدّث عن وكيع وطبقته.. فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحيى فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وهو على الإمامين أبي يوسف ومحمد بن الحسن وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحيى أيضًا على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي وأخذ محمد بن مقاتل أيضًا عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة، قال ابن البياضي من علمائنا: وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن لأن الماتريدي مفصّل لمذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه المظهرين قبل الأشعري مذهب أهل السنة فلا يخلو زمان من القائمين بنصرة الدين وإظهاره كما في التبصرة النسفية»[1].

٧. وقال العلامة محمد عبد الحي اللكنوي الهندي (ت: ١٣٠٤هـ) في (الفوائد البهية في تراجم الحنفية):

«محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي إمام المتكلمين ومصحّح عقائد المسلمين تفقه على أبي بكر الجوزجانى عن أبي سليمان الجوزجانى عن محمد، وتفه عليه الحكيم القاضى إسحاق بن محمد السمرقندي وعلى الرستغفنى، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوى، صنف التصانيف الجليلة وردّ على أكاذيب أقوال أصحاب العقائد الباطلة له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب أوهام المعتزلة ورد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلى ورد الامامة لبعض الروافض والرد على القرامطة ومأخذ الشرائع فى الفقه والجدل فى أصول الفقه وغير ذلك، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، قال الجامع: نسبته الى ماتريد بفتح الميم ثم الألف وضم التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية فى آخره دال مهملة، ويقال ماتريت بالتاء الفوقية المثناة موضع الدال محلة بسمرقند ذكره السمعانى»[2].

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، ص ٢ / ٥، ٦، طبعة مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٩٩٤م

(٢) الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، العلامة أبي الحسنات محمد بن عبد الحى اللكنوى الهندى، تصحيح وتعليق =

وبعد، فهذا كل ما لدينا حول سيرة هذا الإمام وحياته وأكثره مكرر معاد، لا يشفي غلة، ولا يروي نهمة، ولا يريح عقلا، إذ معرفتنا بالماتريدي تقتصر تقريبًا على معرفتنا بآثاره وما خلفه من مؤلفات ولو لم تبق بعض مؤلفاته ما عرفنا عنه شيئا ذا بال!

ونحن فى دراستنا هذه سنحاول إن شاء الله تعالى سد بعض من تلك الثغرة بقدر ما يسر الله وفتح بمنه وكرمه.

* * *

= السيد بدر الدين النعمانى، ص ١٩٥، نشر دار الكتاب الإسلامى. والكتاب تلخيص لكتاب (كتائب أعلام الأخيار) لمحمود بن سليمان الكفوى المتوفى سنة ٩٩٠هـ لخصه وزاد عليه فوائد كما قال فى مقدمته ص ٣، ٤.

المبحث الثاني

سيرة الإمام الماتريدي.. دراسة تحليلية

المطلب الأول

اسمه ونسبته ولقبه ومولده ووفاته

ـ اسمه:

محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي السمرقندي.

هذا ما يذكره كل من ترجم للإمام للماتريدي، وانفرد الزبيدي فقال: «ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود»[1]، وهذه الزيادة فى الاسم مما انفرد به الزبيدي ولم يذكرها غيره، ولم يذكر مصدره الذى اعتمد عليه، فنتوقف فيها.

ـ نسبته:

يُنسب الإمام إلى (ماتريد) أو (ماتريت) وهى محلة في سمرقند من بلاد ما وراء النهر، قال فى الأنساب - «المَاتُرِيْتي[2]: ... هذه النسبة إلى محلة من حائط سمرقند، يقال لها (ماتريت)، ويقال بالدال أيضًا - (ماتريد).. خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء»[3].

ولأن (ماتريد) فى (سمرقند) فإن بعضهم قد ينسبه إليها، فيقول: «الماتريدي السمرقندي»[4].

---

(١) إتحاف السادة: ٢/ ٥.

(٢) في (الأنساب) المطبوع بالنون (الماتريني)، وهو خطأ لأنه ذكر أن آخرها (تاء أخرى منقوطة من فوق) وليس نونا!

(٣) الأنساب: ٥/ ١٥٥، وقد وهم المستشرق (تربتون) حين ظن أن أحد المؤلفين ربما يكون شقيق الإمام الماتريدي، لاشتراكه فى النسبة إلى سمرقند!

ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، بتحقيق فتح الله خليف، و: إمام أهل السنة للمغربي، ص١٣.

(٤) كما فى: أصول الدين، أبو اليسر البزدوي، ص١٤، ومعجم المؤلفين: ١١/ ٣٠٠.

وسمرقند تعرف الآن باسم (ماراكندا)، وتقع ضمن جمهورية أوزباكستان المستقلة عن الاتحاد السوفيتي. أما (ماتريد) فيقول بارتولد: «ماتريد أو ماتريت بالرَبَض[1]، ومكانه الآن قرية إلى الشمال الغربي من المدينة (سمرقند) بها جواسق[2] ريفية للأثرياء»[3].

ـ ألقابه:

لقب الإمام الماتريدي بألقاب عدة، تنم عن علمه ومكانته، فهو: (أحد أعلام الدين ومشايخ المسلمين، إمامٌ، كل العالم بعلمه يقتدون وبنهجه يهتدون.. كان أحد أئمة الدنيا فقهًا، وعلمًا، وورعًا، وفضلًا، وديانة، وخيرًا، وقبولًا عند الموافق والمخالف، مُجْمَعًا على أنه عديم النظير، وسيف السنة، وقامع أهل الزيغ والبدعة)[4]، (الأستاذ)[5]، (الإمام)[6]، (شيخ الإسلام)[7]. (الزَّاهِدُ إِمَامُ الْـهُدَى)[8] و(الإمام علم الهدى)[9]، و(إمام الهدى والدين)[10]، وهو (من كبـراء الأئمة وأوتاد الملة)[11]، و(مهدي هذه الأمة في وقـته)[12]. وهو (قدوة

(١) قال فى: معجم البلدان (٣/ ٢٥): «الربض بالتحريك وآخره ضاد معجمة وهو في الأصل حريم الشيء.. قال أبو منصور: الربض فيما قال بعضهم: أساس المدينة والبناء، والربض ما حوله من خارج، الأول مضموم والثاني بالتحريك».

(٢) جمع جوسق وهو القصر الصغير، ينظر المعجم الوسيط، ١/ ١٤٧، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة.

(٣) تركستان، ص١٨٠، ١٨١.

(٤) مسالك الأبصار: ٦/ ٦١.

(٥) المسايرة، لابن الهمام، مع شرحها المسامرة، ص١٥٧. ط بولاق.

(٦) انظر، مثلا: تبصرة الأدلة، ص١٩، ٤٦٩.

(٧) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ٢/ ٥٥٣. وفي (الفتاوي الهندية)، المرجع الآتي.

(٨) الفتاوى الهندية، جماعة من علماء الهند، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، ٣/ ٣٢٦، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

(٩) السابق نفسه، ٢/ ١٢٥.

(١٠) طبقات المفسرين، أحمد الأدنه وي، ت: سليمان الخزي، ص٦٩، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٩٩٧م.

(١١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٩ -٤٧٥.

(١٢) اتحاف السادة: ٢/ ٥.

الفريقين)[1]، وهو (رئيس مشايخ سمرقند)[2] و(أكبرهم)[3] و(رئيس عامة مشايخ الحنفية)[4]، و(إمام المتكلمين)[5]، أو (إمام المتكلمين في عصـره)[6] و(الفقيه)[7]، و(إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين)[8] و(من رؤساء أهل السنة والجمـاعة)[9] أو هو (رئيس أهل السنة)[10] و(ناصر السنة وقامع البدعة ومحيي الشريعة)[11] و(موطد عقائد المسلمين).

وأخص لقب عرف به رحمه الله هو لقب: (إمام الهدى)[12] أو (عَلَمُ الْهُدَى)، فتلميذه السمرقندي الحكيم شارح تفسيره قال فى صدر كتابه: «كتاب التأويلات المنسوبات إلى الإمام

(١) القند، ص١٤٣. المقصود: أهل الشريعة وأهل الحقيقة، إذ ذكرها فى ترجمة أبي الفتح الصوفي، رقم ٢٣٣.

(٢) أصول الفقه، اللامشي الماتريدي، فقره: ١٥٧ و٢٣٩.

(٣) اللامشي، فقرة ٢٦١.

(٤) اللامشي، فقرة ٣٢٢.

(٥) الفكر السامي، محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي، ٣/ ٩٣، مطبعة المعارف بالرباط ١٣٤٠هـ.

(٦) كذا فى موسوعة الأعلام التى يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مادة (الماتريدي).

(٧) فى مواطن عدة من تفسيره وكتابه «التوحيد»، أما معنى (الفقيه) فإنه كما يقول الإمام البزدوي (١/ ١٥٠ فما بعدها، باختصار): «العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرائع والأحكام. والأصل فى النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة..والنوع الثاني: علم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشرع بنفسه، والقسم الثاني: إتقان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها، والقسم الثالث: هو العمل به، حتى لا يصير نفس العمل به مقصودا، فإذا تمت هذه الأوجه كان فقيها» أ.هـ.

ينظر: الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن حجاج السغناقى (ت٧١٤هـ)، تحقيق: فخر الدين قانت، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

(٨) كتائب أعلام الأخيار للكفوي، ورقة رقم ٣٥. نقلا عن محقق كتاب التوحيد: بكر طوبال أوغلى ص٩ أو ص١٢٠ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٨٤م. وكذا في: (طبقات المفسرين)، الأدنه وى، ص٩. وفي (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية)، محمد بن عبد الحى اللكنوى، تصحيح وتعليق السيد بدر الدين النعمانى، ص١٩٥.

(٩) أصول الدين، البزدوي، ص١٤.

(١٠) ميزان الاصول فى نتائج العقول فى أصول الفقه، علاء الدين السمرقندي، ص٢ من النص المحقق.

(١١) الزبيدي، اتحاف السادة، ٢/ ٥.

(١٢) كثير من المواطن، منها: أصول الفقه، اللامشي الماتريدي، فقرة ١٩٠، والجواهر المضية: ٤/ ٣٥٩.

علم الهدى أبي منصور..»[1] فهذا اللقب أصبح كالعلم عليه. ولا أعلم فى تاريخ الإسلام من لقب بهذا اللقب سواه، فهو لقبه منذ عصره وحتى الآن، وقد ذكر صاحب (الجواهر المضية) ذلك، فقال: «واتفق التلقيب بإمام الهدى أيضًا، وهو لقب رئيس أهل السنة من الحنفية أعني: الإمام أبا منصور الماتريدي رحمه الله تعالى»[2].

ـ مولده:

لم تذكر أي من المصادر تاريخا لمولد الإمام الماتريدي إلا أننا نستطيع أن نستنتج تاريخا مقاربا لمولده من خلال معرفتنا بتاريخ وفاة أساتذته ومشايخه وأقرانه، فمن مشايخه: محمد بن مقاتل الرازي (ت: ٢٤٨هـ)، ومنهم: نُصير بن يحي البلخي (ت: ٢٦٨هـ)، ومن أقرانه: محمد بن أسلم الأزدي (ت: ٢٦٨هـ)، فلا بد أن تكون ولادة الإمام الماتريدي قبل هذه التواريخ؛ لذا فإن تاريخ مولده ربما يكون فى **العقد الرابع من القرن الثالث** (بين ٢٣٠ و٢٤٠) على **أقل تقدير** أي: فى خلافة المتوكل (٢٣٢: ٢٤٧هـ). والله أعلم.

ـ وفاته:

غالب من يترجم للماتريدي يذكر أن وفاته كانت فى عام ٣٣٣هـ، إلا أن أبا الحسن الندوي[3] والشيخ محمد أبو زهرة[4] قد ذكرا أن وفاة الماتريدي كانت سنة ٣٣٢هـ وهو مخالف لما دونه عامة المترجمين، كما وهم من حكى عنه صاحب (مفتاح السعادة) بصيغة التضعيف فذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣٦هـ[5]، وهو قول شاذ لا يُعلم قائله.

---

(١) ينظر: التوحيد، للماتريدي، تحقيق الدكتور بكر طوبال ومحمد آروشي، ص٢٣.

(٢) الجواهر المضية، ٤/ ٣٥٩.

(٣) رجال االفكر والدعوة، ١/ ١٥١.

(٤) أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، ص١٤٩، وفى كتابه (تاريخ الجدل) أيضًا، ص٢٧٨، كلاهما طبعة دار الفكر العربي، القاهرة. كما وهم فى نفس الموضع من كتاب (أبو حنيفة) وقال: إن الإمام الأشعري توفى سنة ٣٣٤هـ خلافا لكل من ترجم للإمام الأشعري من أن وفاته كانت سنة ٣٢٤هـ!.

(٥) مفتاح السعادة، أحمد بن مصطفي الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥م.

وبناء على ما قدمنا من تاريخ ولادته، فإن الغالب أن يكون الإمام الماتريدي قد توفي عن تسعين عامًا أو يزيد[1] رحمه الله وأجزل مثوبته.

أما مكان قبره: فإنه بمقبرة «جاكرديزه»[2]، قال فى (الأنساب) عند (الجاكرديزي): «هذه النسبة إلى (جاكرديزه)، وهى محلة من محال سمرقند بها مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار»[3]. كما ذكر النسفي فى (القند) أن أبا الفتح صالح بن محمد الصوفي المؤدب الرازي قد دُفن بجوار الإمام الماتريدي، فقال «ودفن بجوار قدوة الفريقين أبي منصور الماتريدي بجاكرديزة»[4]، وذكر السخاوي في ترجمة أحمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن الشمس الخجندي المدني أنه لما حل بسمرقند «زار من بها كقثم بن عباس وأبي منصور الماتريدي.. بمقبرة جاكردره»[5].

وهذا ما يلاحظه بارتولد أيضًا حيث يقول: «وقد حمل اسم (جاكرديزه) فى القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) حي من أحياء المدينة كانت به مقبرة كبيرة مشهورة للعلماء والكبار.. وهذه المقبرة لا تزال قائمة وتقع فى القسم الشرقي من المدينة الحالية»[6]. ويقول: «وفى المقبرة (جاكرديزه) يشار إلى قبر الماتريدي المتوفى حوالى عام ٣٣٣-٩٤٤م»[7].

وقد «أمر الشيخ أبو القاسم الحكيم أن يكتب على قبره حين توفى: هذا قبر من جاد العلوم بأنفاسه، واستنفد الوسع فى نشره وإقباسه، فحُمدت فى الدين آثاره، واجتَنى من عمره ثماره»[8].

---

(١) ينظر المبحث الخاص بشيوخ الماتريدي.

(٢) وينطقها أهل سمرقند في الوقت الحاضر (شاكرزيده / جاكرزيده) كما أخبرني بعض أصدقائنا ممن يعيش هناك.

(٣) الأنساب: ٢/ ١٢.

(٤) القند، ص١٤٣.

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ٢/ ١٩٥ باختصار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٦) تركستان، ص١٧٨ بتصرف واختصار من الأصل والهامش.

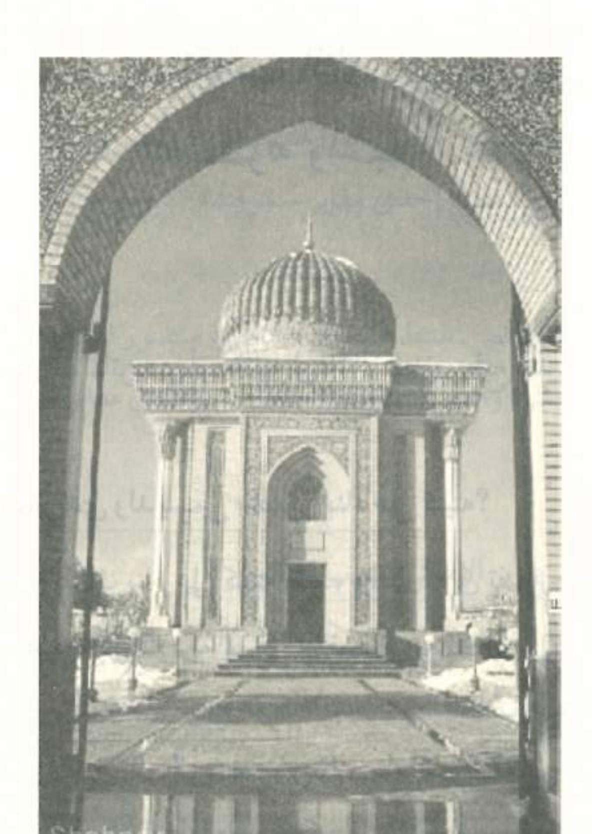
(٧) تركستان، ص١٨١ الهامش.

(٨) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٧١ -٤٧٢.

وقبره معروف يزار إلى اليوم من مسلمي جمهورية (أوزباكستان)، وقد استطعت الحصول على صورة قبره، قدس الله روحه، وها هى الصورة كما جاءتني وتحتها توقيع باعثها[1]، ويليها صورة من الداخل.

❊ ❊ ❊

(١) هو الأخ الدكتور شهريور منصوروف، من أوزباكستان. كما بعث لي الأخ الدكتور عماد حسن مرزوق أستاذ اللغة العربية بعدد من الجامعات، والذى كان يعمل بالخارجية المصرية صور قبره أيضًا، فجزاهما الله عني خير الجزاء.





المطلب الثاني
أسرته ونسبه

ـ أسرته:

لا يُعرف عن أقارب الماتريدي أو عائلته شيئا، إلا أننا نستطيع تحديد بعض الملامح من هنا وهناك، فنقول:

١ - هل كان للماتريدي ولد يسمى منصورا بناء على كنيته؟

لا أستطيع الجزم بذلك بناء على كنيته فقط، وقد جاء فى تفسيره ما يدل على ذلك، ففى سورة المسد عند قوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ يقول: «وقيل: ذِكْره بالكنية يُخَرَّج مخرج الوعيد له، أى تصير النار كالابن، وهو كالأب لها، وذلك لأن هذه الكنى إنما تذكر فى المتعارف على وجه التفاؤل كما يقال: أبو منصور، على رجاء أن يولد له ابن يسميه منصورًا»[١].

والراجح أنه حتى تفسير هذه الآية على الأقل لم يكن قد ولد له ولد ليقول هذا الكلام ويمثل بنفسه لتلامذته! بل لا يستبعد ترجيح عدم إنجابه ولدًا بعد ذلك؛ بناء على أن تاريخ إملائه لهذا التفسير متأخر - على ما سيُذكر - وأنه قد ألفه فى أخريات حياته، وسورة المسد فى آخر القرآن.

وبناء عليه: فإنه على أقل تقدير كان قد أملى هذه السورة وهو فوق الستين سنة والعادة جارية بصعوبة هذا بعد الستين، والله أعلم.

٢ - للماتريدي بنت:

نستطيع الجزم بأن للإمام الماتريدي بنتا؛ بناء على ما ذكره السمعاني، حيث يقول فى مادة (ماتريتي): «خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء منهم: ... القاضي الإمام أبو الحسن

(١) المسد: (١- ٥/ ٥٣٥).

علي بن الحسن بن علي بن محمد بن عفان بن علي بن الفضل بن زكريا بن عثمان ابن عفان بن خالد بن زيد بن كليب الماتريتي، وخالد هو أبو أيوب الأنصاري، كانت أمه بنت الشيخ الإمام أبي منصور الماتريتي... وتوفي أبو الحسن علي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمس مئة، ودفن بجاكرديزه إحدى مقابر سمرقند»[١]. وهو ما أكده فى (الجواهر المضية)، فقال في ترجمته:

«أبو الحسن، القاضي. سبط شيخ الإسلام أبي منصور الماتريدي. تفقه على جده لأمه، وتوفي سنة إحدى عشرة وخمسمائه، ودفن بجاكرديزه إحدى مقابر سمرقند»[٢].

ـ نسبه:

هل الماتريدي عربي الأصل ينتسب للأنصار؟

إن وجود نسل للأنصار فى سمرقند يبدو أمرا مشتهرا؛ فشيخ الماتريدي: أبا نصر العياضي يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري[٣]. وابنة الماتريدي تزوجت من رجل يرجع نسبه إلى أبي أيوب الأنصاري كما ذكر السمعاني فى النص المتقدم. ولعل هذا هو الذي جعل بعضهم -على ما نقله الزبيدي[٤] - يحسب أن الإمام الماتريدي نفسه من نسل الأنصار أو ينتسب إلى أبي أيوب الأنصاري تحديدا..؛ قال الزبيدي: «ووجدت في بعض المجاميع بزيادة.. الأنصاري في نسبه فإن صح ذلك فلا ريب فيه، فإنه ناصر السنة وقامع البدعة ومحيي الشريعة»[٥].

قلت: ولا علاقة بين كون أستاذه من نسل الأنصار في الحكم بكون أبي منصور من

(١) الأنساب: ٥/ ١٥٥.

(٢) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ٢/ ٥٥٣.

(٣) تبصرة الأدلة، ص٤٦٩.

(٤) ومنهم البياضى فى إشارات المرام، ص٢٣، ومال إليه كل من: الدكتور على أيوب، فى رسالته ونقلها عنه الدكتور المغربي فى كتابه «إمام أهل السنة والجماعة» ص ١٣، والدكتور مجدى باسلوم فى تحقيقه للتفسير ١/ ٧٣، ٧٤.

(٥) اتحاف السادة ٢/ ٥.

نسلهم أيضًا![1]، كما أنه لا علاقة بين كونه ناصر السنة ومحيي الشريعة بكونه من نسلهم كذلك!.

أما زواج ابنته من رجل ينتسب إلى الأنصار فلعله هو الذى دفع بعض الباحثين لذلك؛ بناء على أن العرب تراعي الكفاءة فى الزواج![2]، وقد اعتمد الدكتور علي أيوب أيضًا على ما وجده على هامش مخطوط كتاب (التوحيد) للماتريدي وفيه يقول: «إن الإمام أبا منصور رضي الله عنه فيما بلغني كان من أولاد أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري رضي الله عنه»[3]، وهو كلام لا نستطيع التعويل عليه في جعل الإمام الماتريدي من الأنصار، وذلك لسببين:

«الأول: أن قائله مجهول. الثاني: أن قائله متأخر، ولا بد أن يكون قد عاش بعد منتصف القرن الثاني عشر، بدليل أن نسخة كتاب (التوحيد) والذي وجد هذا الكلام على هامشها قد فرغ ناسخها من نسخها فى النصف من شعبان عام ١١٥٠هـ»[4]. ومن ثم فإننا لا نستطيع الجزم بكون الماتريدي عربي الأصل فضلا عن أن يكون منتسبًا إلى الأنصار بناء على ذلك فقط.

ومن هنا فإن الباحث يعجب مما قاله فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة حين قال عن الإمام الماتريدي: «ويتشكك من غير دليل بعض العلماء فى نسبته إلى الأنصار، ولكن علماء الأنساب يؤكدون النسبة ويوثقونها»[5]، فهلا ذكر لنا علماء الأنساب هؤلاء؟ أو ذكر كتب الأنساب

(١) ربط الدكتور مجدي باسلوم فى تحقيقه للتفسير (تأويلات أهل السنة: ١/ ٧٣) بين كون أستاذه من الأنصار وكون الماتريدي منهم، وهو في غاية الغرابة!.

(٢) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، د.عبد الفتاح المغربي، ص١٣، مكتبة وهبة، ط١، سنة ١٩٨٥م. نقلها عن الدكتور علي أيوب من رسالته (العقيدة الماتريدية) ص: ٢٥، وهو عين السبب الذى ذكره الدكتور مجدى باسلوم دون أن يعزوه إلى الدكتور على أيوب، في تحقيق مقدمة التأويلات: ١/ ٧٤.

(٣) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، ص٢٦٢، ٢٦٣، نقلا عن: الماتريدية دراسة وتقويما، ص٩٥.

(٤) ينظر مقدمة تحقيق (التوحيد) لمحققه الدكتور فتح الله خليف، ص٥٧. وينظر: الماتريدية دراسة وتقويما، ص٩٥.

(٥) أعلام وعلماء، مقالات للشيخ أبي زهرة، جمعها: مجد مكي، ص٢١٦، دار الفتح للدراسات، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

التى ذكرت ذلك؟ والشيخ لم يفعل فى أي مناسبة تحدث فيها عن الإمام الماتريدي فى كتبه، بل إن الشواهد تؤكد الميل إلى العكس تمامًا.

ومن هذه الشواهد:

*** ما يتعلق بحال المنطقة وكلام المؤرخين عنها فى حياة الماتريدي.**

وبيان ذلك: أن سمرقند منذ القدم محسوبة على أمة الفرس واحتلال الأتراك لها فى بعض الفترات لا يخرجها عن طبيعتها تلك أو طبيعة أهلها، يقول القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ): «وزعم من عُنى بأخبار الأمم وبحث فى سائر الأجيال وفحص عن طبقات القرون أن الناس فى سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات: سبع أمم، الأمة الأولى: أمة الفرس، وكان مسكنها فى الوسط المعمور، وحد بلادها من الجبال التى فى شمال العراق المتصل بعقبة حلوان»[1] ثم عدد البلاد الواقعة ضمن هذه الأمة وذكر منها سمرقند ثم ذكر الترك أمة منفصلة بعد ذلك وسماهم «أجناس الترك»[2].

*** ومنها ما يتعلق بحال الإمام الماتريدي وبعض آرائه.**

والتي منها: أن الإمام الماتريدي كان يجيد الفارسية بل ويفضل التعبير بها أحيانا[3]، ومنها: أنه كان يميل إلى جعل العجم أكفاء للعرب[4]، ومنها: أنه كان يرى أن الاشتغال بالأنساب تكلف لافائدة منه[5]، ومنها: أن الإمام الماتريدي يعد أن عمل القائفة رجم بالغيب[6].

(١) طبقات الأمم، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (ت٤٦٢هـ)، بعناية الأب لويس شيخو، ص٥، ٦، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

(٢) نفسه، ص٧.

(٣) ينظر فقرة: (علمه بالفارسية) فى مطلب: (ثقافته وعلمه)، وملاحظة النسفي هناك.

(٤) وذلك فى سورة محمد (٣٨ – ٤/ ٥١٦) عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾.

(٥) إبراهيم: ٩-٣/ ١٠. واستدل بالخبر أن النبي ﷺ: (كان يَنسِب إلى مضر ولا يَنسِب إلى أكثر من ذلك).

(٦) وذلك في مواطن من تفسيره كما في سورة آل عمران (٦ –١/ ٢٤٦). عند قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. وفي سورة النبأ (٨ – ٥/ ٣٦٦).عند قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾.

وهذه أمور تبعد عن عادات العربي الأصيل؛ فهم معتزون بلغتهم وقبائلهم[١]، ويعدون أن العلم الوحيد الحقيق بالتعلم هو علم الأنساب[٢]، كما أن علم القائفة من علوم العرب المعروفة التى يعتزون بها.

والذى ترتاح له النفس: أن الإمام الماتريدي فارسي الأصل، ليس عربيا أصلا، فضلا عن أن يكون من نسل الأنصار، وهذا لا يعيبه؛ فهو ممن يشمله حديث الرسول ﷺ عن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ حين أنزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يحلقوا بنا؟ فلم يكلمه. قال: وسلمان الفارسي فينا. قال: فوضع رسول الله ﷺ على سلمان يده، فقال: والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء»[٣].

***

(١) قلت: إن الرجل كان يجيد الفارسية، بل له مؤلفات بها كما سيأتى فى الحديث عن ثقافته ومؤلفاته، فإذا كان العرب يعتزون بأنسابهم فاعتزازهم بلغتهم أشد؛ لاسيما فى زمن الماتريدي حيث أطلت الشعوبية برأسها.
ومن تلك الشواهد التى كانت تجول فى الخاطر وترد على العقل ولم أُرد ذكرها حتى رأيت محقق كتاب (التوحيد) - الدكتور بكر طوبال أوغلو في مقدمته التي صدر بها الكتاب (ص١١) - يذكرها: ما يلمسه القارئ لكتب الماتريدي من صعوبة لغته وتراكيبه الخاصة التى تنم عن أن أصله غير عربي، إلا أن الدكتور بكر طوبال ذهب لكونه من أصل تركي!! وهو ما لا دليل عليه!.

(٢) يقول ابن خلدون فى مقدمته (فصل: أن حملة العلم فى الاسلام أكثرهم العجم، ص١٢٤٧ تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافي): «وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة... مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع». أ.هـ.

(٣) سنن الترمذى، باب سورة الجمعة، حديث رقم ٣٣١٠، ط دار إحياء التراث، ت: أحمد محمد شاكر، بيروت.
فإن قيل: إن إقليم فارس يختلف عن إقليم خراسان الذي تَتْبعه سمرقند بلد الماتريدي، فلا يشمله الحديث.
أجاب المقدسي (أحسن التقاسيم، ص٢٩٠، ٢٩١) عن ذلك عند عنوان (موازنة بين فارس وخراسان) حيث قال إن«خراسان وفارس كانتا عند العرب شيئا واحدا»أ.هـ.

المطلب الثالث
حياته ومواقفه السياسية

ـ الماتريدي سمرقندي الحياة والعادات والأذواق:

لا نعرف عن الإمام الماتريدي شيئًا مفصلًا عن حياته، لكن الرجل فيما يبدو عاش حياته ومات فى سمرقند، حتى وإن افترضنا أنه رحل فى يوم من الأيام خارجها لحج أو طلب علم ونحوه، فهو سمرقندي المولد والحياة والوفاة، فيما يُفهم من كلام مَن ترجم له.

وبيئة سمرقند: بيئة حضرية، تختلف فى عاداتها وأذواق أهلها عن البيئة البدوية الصحراوية فـ «فيها بساتين ومزارع... وفي المدينة مياه من هذا النهر (جيحون) وليس من سكة ولا دار إلا وبها ماء جار إلا القليل، وقلما تخلو دار من بستان حتى إنك إذا صعدت قهندزها[١] لا ترى أبنية المدينة لاستتارها عنك بالبساتين والأشجار، فأما داخل سوق المدينة الكبيرة ففيه أودية وأنهار وعيون وجبال.. وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفا من سمرقند، وقد شبهها حضين بن المنذر الرقاشي (ت: ٩٧هـ)[٢] فقال: كأنها السماء للخضرة وقصورها الكواكب للإشراق ونهرها المجرة للاعتراض وسورها الشمس للإطباق»[٣].

(١) قال في لسان العرب (مادة نفخ: ٣/ ٦٢، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١): «بضم القاف والهاء والدال المهملة كذا في القاموس، وفي معجم البلدان لياقوت قَهَنْدَز بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قُهُنْدُز يعني بالضم إلخ، ثم قال: ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة» أ.هـ.

(٢) هو «حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي الشيباني الرقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان: تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي. كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين، وولاه اصطخر»أ.هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٦٣.

(٣) معجم البلدان: ٣/ ٢٦٤ فما بعدها باختصار.

وجاء فى أحسن التقاسيم: «ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع سمرقند وغوطة دمشق ونهر الأُبُلَّة[1]»[2].

وقد جاء فى تفسيره ما يعطى ملمحا عن عيشه فى هذه البيئة الحضرية المترفة، ومن ثم فإن ذوقه موافق لأذواق أهل الحضر، ففى سورة فاطر، عند قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾، قال:

«ذكر التحلي فيها بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير، وليس للرجال رغبة فى هذه الدنيا فى التحلي بذلك ولا لبس الحرير، اللهم إلا أن يكون للعرب رغبة فى ما ذكر، فخرج الوعد لهم بذلك، والترغيب فى ذلك، وهو ما ذكر من الخيام فيها والقباب والغرفات، وتلك أشياء تستعمل فى حال الضرورة فى الأسفار، وعند عدم وجود غيره من المنازل والغرف عند ضيق المكان، فأما فى حال الاختيار، ووجود غيره فلا، لكنه خرج ذلك لما لهم فى ذلك فضل رغبة، ألا ترى أنهم قالوا ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ ﴾ [الزخرف: ٥٣]، ذكروا لما لذلك عندهم فضل قدر ومنزلة ورغبة»[3].

ـ خروجه من سمرقند إلى بخارى[4]:

يبدو أن الإمام الماتريدي خرج من سمرقند إلى غيرها من البلاد المجاورة لتلقى العلم أو الالتقاء بالعلماء، ففى سورة الزخرف ذكر حضوره مجلسا فى التفسير، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾؛ حيث قال: «وحكاية عن هذا سمعت مفسرا ببخارى، يقول: نزلت هذه الآية ليلة المعراج»[5].

(١) قال في معجم البلدان (١/ ٧٦، ٧٧، ط دار صادر، ١٩٧٧م) «الأبلة بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها... بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة»أ.هـ.باختصار.

(٢) أحسن التقاسيم، ص١٤٩.

(٣) فاطر: ٣٣ – ٤/ ١٨٢، ١٨٣.

(٤) وذلك مبني على صحة ثبوت النص المنقول عن الإمام، ينظر: الفصل الذي عالجنا فيه في الجزء الثالث من سلسلة المدرسة الماتريدية (الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير)

(٥) الزخرف: (٤٥ – ٤/ ٤٣٧). =

ولا ينبغى أن يُستغرب هذا – إن ثبت– فإن بخارى كانت «فى الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر» على حد قول الثعالبي[1]. ولا يُعرف عن الماتريدي الخروج من سمرقند غير هذا[2].

ـ مواقفه السياسة:

كان للإمام الماتريدي أثناء تفسيره كلمات وعبارات تنم عن مواقف سياسية –أرى أنه تأثر فيها بمواقف الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان– ومنها:

* النقمة على بنى أمية:

أ- فالإمام الماتريدي يبدو ناقما على الدولة الأموية التى زالت قريبا، ففى سورة الشعراء ينقل قولًا لابن عباس موافقا، ومعلقا عليه بأنه قد تحقق، حيث يقول: «وقوله تعالى ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ أى مالت، وخضعت لها أعناقهم، والأعناق كأنها كناية عن أنفسهم. وعن ابن عباس أنه قال: سيكون لنا دولة على بني أمية، فتذل لنا أعناقهم خضوعا بعد صعوبة وهوانا بعد عزة. فقد كان ذلك»[3].

وفى سورة القدر ينقل طعنا صريحا فى بني أمية، فيقول: «ثم بين فضلها حين قال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ اختلف فيه، قال بعضهم: إن النبي أُرى بنى أمية على منبره

= [قال شيخنا]: وعلى فرض أن هذا من مقولة الماتريدي فإنها ليست نصا؛ لأن قوله ببخارى تحتمل أن تكون متعلقة بـ(مفسر) وعندها فلا يشترط أن يكون قد سمعه ببخارى.

(١) يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ٤/ ٩٥، نقلا عن تاريخ الإسلام السياسي والدينى: ٣/ ٣٤٠.

(٢) وذلك بخلاف ما أورده الدكتور بكر طوبال فى تحقيقه لكتاب (التوحيد) في (ص١٦) حيث نسب للإمام الماتريدي أنه رحل للمناظرة إلى البصرة اثنتين وعشرين مرة! طبقا لما فهمه عن الشيخ أبي زهر فى كتابه: (تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٦٤)، وهو وهم ظاهر؛ لأن حديث الشيخ أبي زهرة رحمه الله كان عن أبي حنيفة، فهو الذى كان يناظر أهل الأهواء قبل انصرافه من الكلام إلى الفقه، ولم يكن يقصد بحديثه الإمام الماتريدي، بل سياق كلامه أن الماتريدي أخذ الكلام من معين أبي حنيفة؛ مستدلا على ذلك – ضمن أمور – بسبقه فى مجال الكلام ومناظرته فيه.

(٣) الشعراء: (٤ – ٣/ ٥١٩، ٥٢٠).

فساءه ذلك، فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ أي: من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية»[١] وهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ[٢].

*** نقد الخلفاء العباسيين:**

ب- ومع هذه المناصرة التي تبدو للدولة العباسية بطعنه في الأموية، إلا أنه يبدو ناقمًا على أئمتها وولاة أمورها نتيجة انشغالهم بملاذهم وتضييعهم تبليغ الدين وفريضة الدعوة إلى الله تعالى، ففي سورة الكهف، يقول:

«ثم فى قوله ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ فريضة ضيعناها، وذلك أنه أمر رسوله بتبليغ رسالته وما أنزل إليه. ثم معلوم أن من كان فى أقصى الدنيا وأبعد أطرافها لم يقدر رسوله أن يتولى التبليغ بنفسه، وكذلك بعد وفاته لا يجوز أن يتولى تبليغه. **فكان القيام بتبليغ ذلك يلزم المسلمين وأئمتهم، فضيعوا ذلك**. ولهذا ما رخص[٣]، والله أعلم، بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة ودخول أولئك دار الإسلام للتجارة أيضًا لينتهي إليهم خبر هذا الدين، حيث علم أنه يكون أئمة فى آخر الزمان، لايهتمون لدينه ولا يتولون تبليغ ما أُمروا بتبليغه، ويضيعون أمره، فتلزمهم حجة الله، **وإلا ما الحاجة فى تلك التجارة والأموال التي يتجرون فيها؟** ولكن ما ذكرنا»[٤].

***

(١) (القدر: ٣-٥/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي عن الحسن بن على فى كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة القدر (٩/ ٢٨٠، رقم ٣٣٥٠) وضعفه؛ لأن فى سنده يوسف بن سعيد، وهو مجهول. إلا أن ابن كثير فى تفسيره (٨/ ٢٥٣) بعد نقله لكلام الترمذي قال إن يوسف هذا وثقه ابن معين، ثم قال: «ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا، قال المزني: هو حديث منكر»أ.هـ.

(٣) قال شيخنا: (ما) هذه يتعين أن تكون مصدرية لا نافية وإلا فالصواب حذفها.

(٤) (الكهف: ٢٧-٣/ ٢٢٤).

سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور

المطلب الرابع
صفاته وأخلاقه

١- الزهد (مفتاح شخصيته):

إن كل ما بدا لي من أخلاق الإمام الشريفة وما سأذكر منها أستطيع أن أرجعه إلى هذه الصفة التي تنداح من حولها بقية الصفات ثم تعود إليها راجعة، ولعل هذا هو ما يفسر تلقيبه بـ«الزاهد»[١]؛ لأن هذا الخلق- فيما يبدو، وكما ظهر من خلال تتبع بقية صفاته - هو «مفتاح شخصيته» رحمه الله.

وقد جاء فى تفسيره ما يشي بهذا الملمح من أخلاقه حتى ليظن القارئ لتفسيره أحيانا أنه أمام صوفي كبير، وإن غلبت على عباراته الصوفية نزعته العقلية! ثم إنه مع تقديره لخلق الزهد ينعى على بعض المتزهدين أو «المتقشفين» كما يسميهم، وذلك فى آيات كثيرة.

أ- فهذا الخلق مبني على معرفة حقيقة الدنيا، وأنها خلقت للفناء، وأن الدار الآخرة هى الحيوان؛ لذا فإن نظر المؤمن يجب أن يكون فى هذا الإطار، وقد جاء فى تفسيره التأكيد على هذا المعنى فى آيات كثيرة[٢].

ب- كما أنه أحيانا يستطرد فى التفسير لتقرير هذا الخلق وغرسه فى النفوس، ومبينا فى الوقت ذاته أن حب الدنيا ليس دائما رأس كل خطيئة إذا كان طلبها للآخرة[٣].

ج- ولتكتمل صور الزهد الحقيقي عند الإمام الماتريدي؛ فإنه يقسم الزهد إلى قسمين: بذل أي: ما عنده لغيره. وترك، أي: ترك المكاسب التى بها تتوسع الدنيا[٤].

(١) ينظر مثلا: أصول الدين، أبو اليسر البزدوي، ص١٤.

(٢) منها: ما جاء فى سورة القصص (٧٧- ٣/ ٦١٤، ٦١٥) عند قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾.

(٣) ينظر مثلا: ما جاء فى سورة الحديد (٢٠- ٥/ ٤٩، ٥٠).

(٤) ينظر مثلا: كلامه في (الأحزاب: ٢٩- ٤/ ١١٣).

د- كما يجيب الإمام الماتريدي على إشكال (الطبع)، حيث إن حب الدنيا مركوز فى النفوس، فهل يذم المسلم على ذلك؟، يجيب فى سورة الإنسان، قائلا: «حب العاجلة مما طبع عليه الخلائق لأن كل مخلوق طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء، فلا يلحقهم الذم بحب ما طُبعوا عليه وأُنشئوا، ولكن إنما يلحق الذم من أحب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذى جُعلت له وأسست، فالدنيا إنما أُسست وجعلت ليكتسب بها نعيم الآخرة والحياة الدائمة اللذيذة»[١].

هـ- والزهد الذى يدعوا إليه الإمام الماتريدي ليس تحريما للطيبات، ويؤكد هذا المعنى فى مناسبات عدة، منها ما جاء فى سورة النازعات عند قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾؛ إذ يقول:

«ففى ما ذكرنا دلالة إباحة التناول من الطيبات: أن الله تعالى مَنّ على عباده أن جعل أغذيتهم بما طاب من الأشياء وفضّلهم على الأنعام، فمن كره ذلك كره الانتفاع بما أُنشئ للانتفاع، والله أعلم»[٢].

و- ولولا أن هذه القضية كانت مثارة فى وسط المتزهدة ما تعرض لها الإمام، وهو ما صرح به فى موضع آخر ردًا على من يسميهم «المتقشفة»، ففى سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، يقول: «الآية ترد على المتقشفة لأنه ما نهانا أن نأكل طيبات ما أحل لنا، وهم يحرمون ذلك»[٣].

٢- لا يُعلِّم بأجر:

إذا كان الإمام الماتريدي زاهدا في الدنيا، فإن من معالم زهده وثمراته: أنه لم يكن يتكسب من تعليم العلم؛ حيث كان رضي الله عنه لا يبيح أخذ الأجر على تعليم العلم أو تحفيظ القرآن؛ لأن توقف العلم على أخذ الأجرة هدم للعلم وإسقاط للشريعة، على حد

(١) (الإنسان: ٢٧-٥/ ٣٥٢).

(٢) (النازعات: ٣٣-٥/ ٣٧٨).

(٣) (المائدة: ٨٧-٢/ ٦١).

قوله، ففى سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، يقول: «ففى هذه الآية منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجرة على ذلك لكان لهم عذر ألا يبذلوا ذلك، وفى ذلك هدم شرائع الله وإسقاطها»[١] ومثله فى مواطن عدة من تفسيره[٢].

٣- عالم رباني:

كان الإمام الماتريدي عالما ممن صدق فيهم قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾، حيث كان لا يريد بأقواله ولا أفعاله إلا وجه الله تعالى، فهو من الذين ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ومن معالم هذا.

- يقول الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم:

قد سبق بيان موقفه من الأمويين والخلفاء العباسيين، ومن مواقفه التى -ربما- عرضته للإيذاء أو غضب الخلفاء أنه: قد رفض توريث سهم رسول الله للخلفاء وأقاربهم كما ذهب إليه بعض الفقهاء، مبينا أن سهم رسول الله لا يورث، ففي سورة الأنفال، عند قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ ناقش قول بعض الفقهاء بأن: سهم الرسول للخليفة من بعده، وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة، فقال:

«ثم ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لانورث وما تركنا صدقة**» فإذا لم يورث عنه ما قد حازه من سهامه فكيف يورث عنه ما غنم بعد وفاته؟» .. ثم ذكر عددا من الأخبار ثم قال: «فهذه الأخبار تُبيِّن أنه لم يورث سهم النبي بعد وفاته؛ فهى تدل على أن لا نقدم بعد موت النبي من خمس الغنائم للخليفة شيء، وأن ذلك كان خصوصا لرسول الله ﷺ كالصفي الذى كان له خاصة دون غيره»[٣].

(١) (يونس: ٧٢-٢/ ٤٩٣).

(٢) (ينظر مثلا يس: ٢١-٤/ ١٩٧).

(٣) (الأنفال: ٤١ - ٢/ ٣٥٤).

ومما يؤكد هذه النزعة لدى الماتريدي: أنه في عهد الأمير نوح بن نصر (٣٣١-٣٤٣هـ) «لما ظهرت أمارات انحلال الدولة السامانية، وبعد أن نهبت خزينة الدولة ما أدى إلى أزمة مالية حادة غدت معها الدولة عاجزة عن دفع رواتب الموظفين والحرس، الأمر الذى أثار سخطهم، قررت الدولة حل هذه الأزمة بزيادة الضرائب وابتزاز الأموال»[1] مما جعل من أسباب انهيار دولة السامانيين: افتقاد حكامها لدعم وتأييد العلماء[2]، الذين كان الإمام الماتريدي مقدما فيهم، وقد أورد محمد منير الدمشقى[3] فى شرحه على (الاتحافات السنية) قوله: «حُكِي: أن الأمير نوحًا لما وضع الخراج على أهل سمرقند، بعث بريدًا إلى أميرها، فأحضر الأئمة، والمشايخ، وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي للبريد: قد أديت رسالة الأمير، فاردد إليه الجواب، وقل له: زدنا ظلمًا حتى نزيد في دعاء الليل»[4].

ولعل مواقف الماتريدي الجريئة هذه قد نُقلت لدى أصحاب المذهب الحنفي في الفروع، فقد نقل صاحب الفتاوى الهندية ما نصه: «من قال لِسُلْطَانِ زَمَانِنَا: عَادِلٌ، يَكْفُرُ بالله، كذا قال الْإِمَامُ عَلَمُ الْهُدَى أبو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ رحمه الله، وقال بَعْضُهُمْ: لَا يَكْفُرُ»[5].

---

(١) العرب والإسلام فى أوزباكستان، بوريبوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، ص٩٤، ٩٥ بتصرف يسير.

(٢) السابق نفسه، ص٩٦.

(٣) جاء فى الأعلام (٧/ ٣١٠): «منير عبده: أو محمد منير بن عبده آغا النقلي الدمشقي الأزهري، صاحب دار الطباعة المنيرية فى القاهرة، تفقه فى الأزهر، سلفيا، وأصبح من علمائه، وأنشأ دار الطباعة ١٣٣٧هـ ونشر كثيرا من المصنفات القديمة والحديثة، وصنف كتاب (نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية)، وله (إرشاد الراغبين فى الكشف عن آي القرآن المبين)، توفى بالقاهرة ١٣٦٧هـ -١٩٤٨م»أ.هـ.

(٤) شرح الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي الأزهري، ص٤٥، دار لمعرفة بيروت، دون تاريخ.
ولا ندري المصدر الذي استمد منه محمد منير هذا الخبر أو (سند) هذه الحكاية، ولكن (المتن) بالإجمال يتفق مع شخصية الإمام.

(٥) الفتاوى الهندية: ٢/ ٣٠٠.

[قال شيخنا]: نشك فى نسبة هذه إلى الماتريدي فإنها موغلة فى الباطل إلا أن يكون القصد استحلال الظلم.
قلت: ومما يؤكد توجيه شيخنا أن الإمام الماتريدي لم يكن يُكَفِّر من يسجد لغير الله ولو لسلطان، فقد جاء فى (غمز عيون البصائر فى شرح الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري، تأليف: أحمد بن محمد الحنفي الحموي =

ـ لا يدخل على السلطان:

لا يرى الإمام الماتريدي الدخول على الأمراء إلا لأمر بمعروف أو نهي عن منكر، وهو يتشدد فى هذا لدرجة عَدِّه الداخل عليهم لغير ذلك مشاركا لهم فى الإثم، ففي سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول:

«ثم الواجب على من حضر الملوك، وشهد مجالسهم من أهل العلم أن يخوفوا الملوك ويوعدوهم بما أوعد قوم موسى قارون وخوفوه، ويأمروهم بالصلاح فى أنفسهم وفى رعيتهم كما أمر أولئك قارون، وينهوهم كما نهاه أولئك. فإن أجابوهم وإلا امتنعوا عنهم، وكفوا أنفسهم عن الاختلاف إليهم. فإن لم يفعلوا فهم شركاؤهم فى جميع ما يفعلون»[1].

وكرر رأيه ذاك فى موضع آخر، مع مزيد حزم، فعند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ يقول:

«وهكذا الواجب على كل من يأتي الأمراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء أن يعظوهم ويأمروهم بكل ما يؤتى، وينهوهم عن كل محظور حرام، ويدلوهم على كل خير ما هو طاعة لله كما فعل قوم موسى بقارون وألا يحضروا مجالسهم ولا يأتوهم طائعين، فإن فعلوا فإنهم يكونون شركاءهم»[2].

ـ لا يتلقى من السلطان مالا:

لم يكن الإمام الماتريدي ككثير من علماء عصره[3] ممن يجري عليهم السلطان أرزاقا أو

= ١/ ١٠٠، ١٠١، ط١، ١٩٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت) ما نصه: «قَوْلُهُ: إنْ سَجَدَ لِلسُّلْطَانِ إلَخْ. قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي مُخْتَصَرِ الْفَتَاوَى الظَّهِيرِيَّةِ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ إذَا قَبَّلَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ الْأَرْض أَوْ انْحَنَى لَهُ أَوْ طَأْطَأَ رَأْسَهُ لَهُ لَا يُكَفَّرُ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ تَعْظِيمَهُ لَا عِبَادَتَهُ» أ.هـ.

(١) (القصص: ٧٧ - ٣/ ٦١٥).

(٢) (القصص: ٨٠ - ٣/ ٦١٦، ٦١٧).

(٣) يقول الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص١١٩): «ولم يكن الخلفاء العباسيون ووزراؤهم وحدهم الذين عملوا على تنشيط العلم وإعطاء الرواتب الجزيلة للقضاة والعلماء =

يأخذون منه مالا، فقد ذكر الصفدي فى ترجمة أحمد بن سهل أبو زيد البلخى (ت: ٣٢٢هـ) قوله: «كان للحسين بن علي المروروذي[١] وأخيه صُعلوك صلات يجريانها علي دائماً فلما صنفت كتابي في (البحث عن التأويلات) قطعاها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جَيْهان من خَرخان الجيهاني وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما صنفت كتاب (القرابين والذبائح) حرمنيها، قال: فكان الحسين قرمطيًا وكان الجيهان ثنويًا»[٢] وكان الجيهاني هذا وزيرا فى عهد نصر بن أحمد الذى تولى الملك وعمره ثماني سنوات فضبط ملكه الجيهاني وكانت فترة حكمه طويلة (٣٠١-٣٣١هـ).

والإمام الماتريدي كان ولا شك من أئمة أهل السنة فى هذه المنطقة الرادين على هؤلاء، وكتبه شاهدة بذلك، وكتابه «التأويلات» ملىء بالرد على الثنوية والقرامطة[٣]، في مواطن كثيرة، ويذكرهم باسمهم دون مواربة، خاصة فى مسألة الذبائح هذه[٤].

= من كل صنف، فقد كان يشركهم فى ذلك حكام الولايات، وفى مقدمتهم أسرة الصفاريين حكام سجستان إذ نرى أبا عبد الله البوشنجي شيخ أهل الحديث بنيسابور (المتوفي٢٩١هـ) يذكر أنه أخذ من تلك الأسرة سبعمائة ألف درهم، ولما دالت دولتهم تحول عنهم إلى السامانيين ببخارى ففرضوا له راتبا مجزيا، وقد بعثوا فى إمارتهم بتشجيعهم للعلماء نهضة علمية عظيمة، ويُروى أن أميرهم إسماعيل بن أحمد الساماني كان يصل محمد ابن نصر المروزي إمام المحدثين فى دياره (المتوفى سنة ٢٩٤هـ) بأربعة آلاف درهم كل سنة، وكان أخوه إسحاق يصله بمثلها، كما يصله بمثلها سكان موطنه سمرقند» أ.هـ.

وينظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، فى ترجمة أبي عبد الله البوشنجي٢/ ١٩٢، وفى ترجمة: محمد بن نصر المروزي ٢/ ٢٤٨، طبعة دار الكتب العربية.

(١) نسبة إلى (مرو الروذ) وهى «بلدة حسنة مبنية على وادى مرو..والوادى بالعجمية يقال له (الرود) فركبوا اسم البلد الذى ماؤه فى هذا الوادى والبلد اسما وقالوا (مرو الروذ). ينظر: الأنساب للسمعاني، ٥/ ٢٦٢.

(٢) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت٩٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ٦/ ٢٥٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

وينظر: الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق النديم المعروف بالوراق، ت: رضا تجدد ١/ ١٥٣، طهران.

(٣) [قال شيخنا]: يمكن توجيه عدم أخذ الماتريدي المال من السلطان؛ لأنه سلطان كافر، وعلى هذا يتوجه موقفه هنا.

(٤) ينظر مثلا: النحل: ٧- ٣/ ٧١.

لذا فإنه من المرجح: أن يكون الإمام الماتريدي من أسرة ثرية عندها ما تنفق منه، أو يكون ممن يعملون بالتجارة وينفقون على أنفسهم ويكتفون بالقليل، ولعل هذا الأخير هو الراجح ليتفق مع وصفه بـ«الزاهد»، ولم يكن هذا مستغربا «فإن نفرا من الفقهاء والمحدثين وحتى من القضاة كانوا يأبون أن يأخذوا على عملهم وتعليمهم أجرا.. وكان كثيرون منهم يعيشون من التجارة أو من الوراقة أو من بعض الحرف الصغيرة، غير أن الكثرة الغامرة كانت تعيش من رواتب الدولة»[١].

وهنا نستشف أيضًا أن الإمام الماتريدي رحمه الله لم يعمل فى وظائف الدولة قاضيا أو إماما وما أشبه، إذ لو كان كذلك لذكروه فى ألقابه أو ترجمته كما فعلوا مع تلميذه الحكيم السمرقندي وقرينه محمد بن أسلم[٢].

فهل نُرجع ذلك لموقفه من المال والسلطان معا؟ وهل نستطيع هنا أن نقول: إن الإمام الماتريدي كان فى خلقه هذا أو فى أخلاقه كلها تابعا لإمامه رحمه الله، فلم تقتصر متابعته له على الأمور العلمية فقط، بل بجانب وراثة علمه فقها وكلاما، قد ورث أخلاقه أيضًا؟

ذُكر عن الإمام الأعظم أنه كان «على غزارة علمه وشهرته الفائقة، وتمكنه من الفتوى: زاهدا فى مناصب الدولة، فقد عرض عليه القضاء، فأبي، والولاية على بيت المال فرفض... فقد كان الحامل له على رفض القضاء ألا يشترك فى حكم بنى أمية حيث كثرت الفتن والمظالم، ويستبعد الأستاذ المرحوم الشيخ الخضري فى كتابه (تاريخ التشريع الإسلامي) أن يكون أبو حنيفة قد ضرب لرفضه القضاء فحسب، بل لأن ابن هبيرة أراد أن يختبر ولاءه لبنى أمية، فلما امتنع ضربه لأنه شعر بانحرافه عن بني أمية»[٣].

وكتب الشيخ محمد أبو زهرة مقالا بعنوان (أبو حنيفة، الإمام المستقل الذي عاش من تجارته ورفض وظائف الدولة) ما يشى بما نقول هنا؛ قال فيه: «انقطع أبو حنيفة عن السلطان، ولم يأخذ جائزة أو هدية من أمير أو خليفة، وقد كان فيه محبة لآل علي من غير تشيع

---

(١) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقى ضيف، ص١٢٠ باختصار طفيف.

(٢) ينظر المبحث القادم.

(٣) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، ص١٠٤، ١٠٥. باختصار وتصرف يسير.

أو تعصب ولذلك لم يوال الأمويين ولم يعلن التمرد عليهم أو يدع إلى فتنة، ولكن قلبه كان مع من يخرج عليهم من آل علي، ولما خرج زيد بن على زين العابدين على هشام بن عبد الملك قال: (ضاهى خروجه خروج رسول الله يوم بدر) ولقد اشتدت عليه المحنة بعد ذلك، فأخذ بنو أمية يحصون عليه أقواله، وأرادوا أن يختبروا ولاءه فطلبه الوالى الأموي للقضاء، فامتنع فعرض عليه أن يوليه بعض الولاية على بيت المال، ولكن الشيخ التقي يأبي ويشتد فى الإباء ويناشده الفقهاء والقضاة أن يقبل فيرفض؛ لأنه لا يريد أن يتولى المظالم»[1].

أعتقد أننا الآن قد وقفنا على حقيقة قول أبي المعين النسفي (ت: ٥٠٨هـ) حين وصف إمام الهدى وعلاقته بالإمام أبي حنيفة حين قال: «والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدى رحمه الله تعالى كان من أشد الناس اتباعا لأبي حنيفة رضي الله عنه فى الأصول والفروع جميعًا»[2]، وأعتقد الآن أن «شدة الاتباع» تلك التي وُصف بها الإمام الماتريدي رحمه الله لم تقف عند حدود الجانب الفكري أو العقلي وإنما تعدته إلى أبعاد الروح وأغوار النفس!

٤ – نزعة صوفية وكرامات.

يقرر الإمام الماتريدي أن «الأرض لا تخلو من نبي أو ولي»[3].

ويقول أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) فى (أصول الدين) متحدثا عن الإمام الماتريدي: «وكان من رؤساء أهل السنة والجماعة صاحب كرامات، حكى لي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله عن جده الشيخ الإمام الزاهد عبد الكريم بن موسى رحمه الله كراماته»[4].

وهذه الكرامات جعلته يوصف بعدد من الصفات:

أ- فوصف بأنه رُزق علم الحقيقة، فأبو الحسن علي بن سعيد الرُسْتُغْفَني يحكى ما

(١) أعلام وعلماء، الشيخ محمد أبو زهرة، مقالات جمعها: مجد مكي، ص٤٤، دار الفتح، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

(٢) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ت: د. جيب الله حسن، ص١٥٦، ١٥٧، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٦م.

(٣) البقرة: ٢١٣-١/ ١٥٨. وبعد أن قرر ذلك معتقدا صحته قال: «وهو قول الحسن، وكذلك قول أبي حنيفة رضي الله عنه» أ.هـ.

(٤) أصول الدين، البزدوى، ص١٤.

أورده السمعاني فى (الأنساب): «أن رجلا من الصالحين رأى أبا نصر العياضي في منامه كأن بين يديه طبقا من الورد، وطبقا آخر من الفانيد[1] فدفع طبق الورد إلى أبي القاسم الحكيم، وطبق الفانيد إلى أبي منصور الماتريدي، وكان من تلامذته، **فرُزق أبو منصور علم الحقيقة**، ورُزق أبو القاسم الحكيم الحكمة»[2].

ب- كما وصف بأنه شيخ الفريقين، أي: أهل الحقيقة وأهل الشريعة، وقد ذكر هذا اللقب للإمام الماتريدي عند ترجمة أبي الفتح صالح بن محمد الصوفي المقرئ، فقال: «ودفن بجوار **قدوة الفريقين** أبي منصور الماتريدي بجاكرديزة»[3]!

ج- كما وصف بأنه مهدى هذه الأمة فى زمانه، فقد قال الزبيدي متحدثا عن الماتريدي: «ووجدت فى كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة فى وقته»[4].

ـ من كراماته:

ومن كراماته ما جاء فى (القَنـد)، فى ترجمة الخضر عليه السلام حيث يقول:

«ذَكَره الله تعالى فى كتابه..ظهر بسمرقند مرات فى مساجد ومزارات، وممن رآه بها: الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله، رآه فى رباط (دشت) وسأله أن يدعو له فدعا له»[5].

ومنها ما ذكره – إن صح – محمد منير الدمشقى فى (شرح الاتحافات السنية) حين يقول: «حُكِي: أن الأمير نوحًا لما وضع الخراج على أهل سمرقند، بعث بريدًا إلى أميرها، فأحضر الأئمة، والمشايخ، وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي

(١) فى تاج العروس فى مادة فنذ: «فنذ: (الفانِيذُ)..قال الَأزهريُّ، هو (ضْرَبٌ من الَحلواءِ)، مَعْرُوف، فارسيٌّ (مُعَرَّب بَانِيدَ)، بالدال المهملة، وقد مرّ أَنهم يقولون فَانِيد، وسَمَّى الجلالُ كِتَابَهُ: (الفانيد في حلاوة الأَسانِيد)» أ.هـ.

(٢) الأنساب، ٣/ ٦٢، والقند، ص٢٩٣.

(٣) القند، ص١٤٣.

(٤) اتحاف السادة، ٢/ ٥.

(٥) القند فى ذكر علماء سمرقند، ص٣٢، ترجمة رقم: ٢٣، باختصار.

[قال شيخنا]: هذا يتفق مع مقولات المتصوفة، وأما الحقيقة فيعلمها الله.

للبريد: قد أديت رسالة الأمير، فاردد إليه الجواب، وقل له: زدنا ظلمًا حتى نزيد في دعاء الليل، ثم تفرقوا فلم تذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلًا وفي بطنه زج[1] رمح مكتوب:

بـغـى والبـغـي سـهـامٌ تـنـتـظـر ... أتـتـه مـن أيـدي المنايـا والقَـدَر

سـهـامُ أيدي القانتاتِ في السَّـحـر ... يرمين عن قوسٍ لها الليل وَتَر»[2]

والذى يبدو أن الماتريدي رحمه الله لم يكن إماما فى التصوف كما كان إماما فى التفسير والفقه والكلام؛ لأن تلميذه الحكيم السمرقندي وهو أشهر تلاميذه قد «صحب أبو بكر الوراق ومشايخ بلخ فى زمانه وأخذ عنهم التصوف»[3]، ولم يذكروا إلا أنه «أخذ عن الماتريدي الفقه والكلام»[4]، ولو كان الإمام الماتريدي رأسا فى التصوف لأخذ منه تلميذه الحكيم.

وبعد، فأعتقد أن قولي: إن الزهد هو «مفتاح شخصية» الإمام الماتريدي، هو قول لم أكن فيه مبالغا؛ فالزهد هو الذي جعل موقفه من السلطان حاسما، إذ لا يطمع منه فى مغنم، والزهد هو الذى جعله لا يعلم بأجر، والزهد هو الذي انقلب معه من حال إلى مقام، فأُكرم بالكرامات، وكان زهده من قبل قد جعل له سمتا يدخله فى عداد العلماء الربانيين.

وأخيرا: فإنه لا يسعنا إلا أن نؤكد أن تصوف أبا منصور لا بد أنه تصوف مَن وُصف بأنه إمام من أئمة أهل السنة؛ فهو تصوف سني لا بدعة فيه، غلبت فيه النزعة العقلية على ما سواها؛ إذ لم يعد الإمام الماتريدي - مثلا - الإلهام والرؤى والكشف من مصادر المعرفة التى يعتمد عليها فى بناء العلوم أو إصدار الأحكام[5]، وإلا لما استحق الإمام هذه المكانة العالية وتلك الألقاب التى أطلقت عليه.

---

(١) جاء في المعجم الوسيط (باب الزاي، مادة «زج» ١/ ٣٩٨، مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة): «زجا عدا، وفلانا طعنه بالزج ويقال زجه بالرمح والرمح: جعل له زجا، وبالشيء من يده رمى به»أ.هـ.

(٢) شرح الاتحافات السنية للمناوي، المسمى النفحات السلفية، محمد منير الدمشقي الأزهري، ص٤٥.

(٣) الفوائد البهية، ص٤٤.

(٤) الطبقات السنية، ص١٦٨.

(٥) ينظر: التوحيد، ص٧٤ وما بعدها، فقرة: ردود أخرى على منكرى أسباب المعرفة.
ينظر: فصل (الإطار المعرفي للمنهج في الجزء الثاني من سلسلة المدرسة الماتريدية (نظرية المعرفة عند أهل السنة)

ولو كان له شذوذ ولو فى جانب السلوك لما عُدَّ من أئمة أهل السنة، أو لذكر عنه ذلك، وهو ما لم يحدث والحمد لله.

فعُلم أن تصوفه رحمه الله هو تصوف «كبراء الملة»، كما وصفه النسفي رحمه الله.

* * *

المطلب الخامس
شيوخـه وتلاميـذه

ـ شيوخه:

أخذ الإمام الماتريدي العلم عن عدد من المشايخ، نعرف منهم:

١ – محمد بن مقاتل الرازي (ت: ٢٤٨هـ):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: البياضي[١]، ونقل منه الزبيدي فقال: «ومن مشايخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الريّ ترجمه الذهبى فى (الميزان)»[٢].

ومحمد بن مقاتـل هذا قد ضعفه أهل الحديث من قبل الرأي[٣]، قال ابن حجر فى (لسان الميزان): «محمد بن مقاتل الرازي لا المروزي حدث عن وكيع وطبقته، تكلم فيه ولم يترك انتهى، روى عنه محمد بن جرير الطبري وغيره **وسمع منه البخاري ولم يحدث عنه،** فروى الخليلي في (الإرشاد) من طريق مهيب بن سليم قال سمعت البخاري يقول: حدثنا محمد بن مقاتل، فقيل له: الرازي؟ فقال: لأن أخر من السماء الى الأرض أحب الي من أن أروي عن محمد بن مقاتل. وأظن ذلك من قبل الرأي، وقد ذكره ابن القيم في (إغاثة اللهفان) وذكر له ترجمة فغلط فيه، فإنه ذكر أن البخاري روى عنه وليس كذلك، وإنما روى عن محمد بن مقاتل المروزي، وأما هذا فذكره أبو الحسن بن بابويه في (تاريخ الري): **فقال كان إمام**

---

(١) إشارات المرام، ص٢٣.

(٢) اتحاف السادة ٢/ ٥. وهو كذلك مصدر اللكنوي.

(٣) لأنهم لا يستحسنون الخوض فى علم الكلام، كما هو موقف الإمام أحمد ابن حنبل ومدرسته بخلاف مدرسة الرأي التي رأت الدفاع عن الدين واستحسنت الخوض في علم الكلام مع ما يستلزمه من كثرة إيراد الحجج العقلية لمن لا يؤمن بالنصوص النقلية وهو ما كانت تتحرج منه مدرسة الحديث وإن أقرت بحسن كلامهم وصنيعهم دون إعلان، كما حدث مع استحسان الإمام أحمد لكلام المحاسبي حين سمعه يتحدث في الأحوال بما لا يوجد في الكتاب والسنة صراحة ولفظا! فنصح بعدم متابعته!!

أصحاب الرأي بالري، ومات بها وكان مقدما في الفقه...مات سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل في التي بعدها»[١].

وقد أخذ العلم عن أبي مطيع البلخي، وأبي مقاتل حفص السمرقندي، ومحمد بن الحسن الشيباني عن أبي حنيفة[٢]. ومن مؤلفاته: كتاب «المدعي والمدعى عليه»[٣].

٢ – نُصَيْر بن يحيي البلخي (ت: ٢٦٨هـ):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: البياضي[٤]، ونقله عنه الزبيدي وقال: «ومن مشايخ الماتريدي نصير بن يحيى البلخي ويقال نصر (مكبرًا)، مات سنة ثمان وستين ومائتين»[٥].

تفقه على أبي سليمان الجوزجاني عن محمد وأبي يوسف عن الإمام أبي حنيفة.. كما تفقه على أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي[٦]، روى نصير رسالة أبي حنيفة عن محمد بن سماعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة[٧].

٣ – أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني (ت؟؟):

ذكر كونه من شيوخ الماتريدي: أبو المعين النسفي، والزبيدي والبياضى[٨].

قال عنه فى تبصرة الأدلة: «الشيخ **أبي بكر أحمد بن بن صبيح الجوزجاني** رحمه الله تعالى صاحب **أبي سليمان الجوزجاني** تلميذ **محمد بن الحسن** رحمة الله عليهم، وكان فى أنواع العلوم

---

(١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٧/ ٥١٨، دار البشائر الاسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) إشارات المرام، ص٢٣، إتحاف السادة، ٢/ ٥.

(٣) هدية العارفين ٢/ ١٣، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م.

(٤) إشارات المرم، ص٢٣.

(٥) إتحاف السادة المتقين، ٢/ ٥، والفوائد البهية، ص٢٢١، والجواهر المضية، ٣/ ٥٤٦.

(٦) اتحاف السادة ٢/ ٥، الفوائد البهية، ص٢٢١.

(٧) من مقدمة الكوثري لإشارات المرام، ص٦.

(٨) إشارات المرام، ص٢٣.

على الخصوص والعموم في الذروة العليا والرتبة السامية، ومن رأى تصانيفه ككتاب (الفرق والتمييز) وكتاب (التوبة) وغيرهما؛ يعرف جلالة قدره إلى زماننا هذا، ومن كان صاحب تلميذ محمد بن الحسن رحمه الله كيف يكون ناشئا؟!»[1].

قال فى الفوائد البهية – وقريب منه في الطبقات السنية[2] –: «أخذ عن أبي سليمان الجوزجانى عن محمد وكان عالـما جامعا بين الفروع والأصول.. والجوزجانى نسبة إلى جوزجان بلدة مما يلى بلخ»[3]. قيل: توفي سنة ٢٠٠هـ[4].

٤ – أبو نصر أحمد بن العياضي (ت قبل٣٠١هـ)[5]:

ذكره أبو المعين والزبيدى، وهو أجل شيوخ الماتريدي، وقد ذكر النسفي شيئا من أخباره العطرة، في معرض ذكره للقائلين بصفة التكوين، فقال: «أبو نصر أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى بن قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري رحمه الله سيد الخزرج كان على هذا الرأي – يعنى القول بصفة التكوين – وهو

(١) تبصرة الأدلة، ص٤٦٩. وإشارات المرام، ص٦. وإتحاف السادة، ٢/ ٥.

(٢) الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ص٨١.

(٣) الفوائد البهية ص ١٤، ص ١٩٥ باختصار.

(٤) هدية العارفين ١/ ٤٦ ط استانبول دار إحياء التراث العربي.

[قال شيخنا]: «فإذا صح هذا، فإنه لايكون شيخا للمـاتريدي المولود فى العقد الرابع من هذا القرن، بحسب اقتراحنا، لكنه مخالف لكل من ترجم له وذكر شيوخه.

(٥) تاريخ وفاته لم يذكره أحد وإنما استنبطه من كلام أبي المعين؛ لأنه ذكر أنه استشهد في أيام نصر الكبير وهو بدوره توفي سنة٣٠١هـ فيكون توفي قبل هذا التاريخ. وله أخ اسمه: أبو بكر العياضى، قال فيه أبو المعين (ص٤٧٠):

«وكذا أخوه أبو بكر كان يدانيه في أنواع العلوم وأسباب الشرف والفضل، وهو الذى أوصى أهل سمرقند عند انقضاء أجله أن يتمسكوا بمذهب السنة والجماعة ويتجانبوا الأهواء والبدع، خصوصا الاعتزال. وجمع المسائل العشر التى هى أصول المسائل الخلافية بيننا وبين المعتزلة، وهى المعروفة بالمسائل العشر العياضية» أ.هـ.

وهذا مما يدل على كونه من أسرة علمية، وأن مذهب أهل السنة كان موجودا يُنازَع في تلك المنطقة!

الذى استشهد فى ديار الترك فى أيام نصر بن أحمد الكبير (ت: ٣٠١هـ) إذ كان يداوم على جهاد أعداء الله الكفرة، وكان من أشجع أهل زمانه وأربطهم جأشا وأشدهم شكيمة، وكان فى العلم بحرا لايدرك قعره إماما فى الفروع والأصول لا يدانيه غيره، ومن نظر فى كتابه المصنف فى مسألة الصفات وما أتى به فيه من الدلائل على صحة قول أهل الحق وبطلان قول المعتزلة والنجارية[1] يعرف تبحره فى ذلك. وحُكي عن الشيخ أبي القاسم الحكيم السمرقندي أنه قال: ما أتى أبا نصر العياضي أحد من أهل البدع والأهواء وأولى الجدل والمراء فى الدين بآية من القرآن يحتج بها عليه لمذهبه إلا تلقاه مبتدها بما يفحمه ويقطعه.

وحُكى أن رياسة العلماء والدرس كانا إليه وهو أبناء عشرين سنة، وحُكى أنه لما استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمهم الله...

وقد قال الشيخ أبو حفص العجلي البخاري حافد[2] الشيخ أبي حفص الكبير رحمه الله، وهو كان صدر فقهاء ما وراء النهر وخراسان: الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة أن أبا أحمد العياضي يعتقد مذهبه، وهو ما كان ليعتقد مذهبا باطلا. وروى عن الشيخ أبي القاسم الحكيم أنه قال: ما خرجت خراسان ولا ما وراء النهر منذ مائة سنة مثل الفقيه أبي أحمد العياضي رحمه الله علما وفقها ولسانا ويدا وبيانا ونزاهة وعفة وتقا، فقيل له: يرحمك الله، وكان يضاهيه قبل

(١) قال في الفرق بين الفرق (عبد القاهر بن محمد البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ص٢٠٧ فما بعدها، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م): «هؤلاء أتباع الحسين بن محمد النجار، وقد وافقوا أصحابنا فى أصول، ووافقوا القدرية فى أصول، وانفردوا بأصول لهم...وأما الذى وافقوا فيه القدرية فنفى علم الله تعالى وقدرته وحياته وسائر صفاته الأزلية وإحالة رؤيته بالأبصار والقول بحدوث كلام الله تعالى، وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا، وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية. والذى يجمع النجارية فى الإيمان قولهم بأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسله وفرائضه التى أجمع عليها المسلمون والخضوع له والإقرار باللسان، فمن جهل شيئا من ذلك بعد قيام الحجة به عليه أو عرفه ولم يقر به فقد كفر، وقالوا: إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وزعم النجار: أن كلام الله تعالى عرض إذا قرىء وجسم إذا كتب»أ.هـ. مختصرا.

(٢) قال في مختار الصحاح (مادة حفد، محمد بن عبدالقادر الرازي، ص١٦٧، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م، ت: محمود خاطر): «والحَفَدةُ بفتحتين الأعوان والخدم وقيل الأختان وقيل الأصهار وقيل ولد الولد واحدهم حَافِدٌ»أ.هـ.

هذه المائة سنة فجعل يذكر طبقات العلماء والفقهاء والبلغاء والفصحاء بها إلى يومه فلم يجد في كافتهم ممن يقرن به فيماثله أو يقاس به فيعادله»[1].

٥ - أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجيمي النحوي الأعرابي (؟)

قال صاحب القند: «دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب[2]. كان أستاذا للشيخ أبي منصور الماتريدي في الأدب، روى عنه سيحان بن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة[3]»[4].

وأبو عوسجة من تلاميذ الأصمعي[5]، وبهذا يتصل سند الإمام الماتريدي في اللغة والأدب إلى أبي عبيدة والأصمعي.

---

(١) تبصرة الأدلة، ص٤٦٩، ٤٧٠.

(٢) ومذهب أبي عبيدة في مجال الأدب هو ما أشار إليه الأستاذ فؤاد سزكين في مقدمته التي صدر بها تحقيقه لـ(مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ص١٩) من أنه لم يكن يلتزم أيا من المدارس النحوية من بصرية وكوفية، حيث كون لنفسه شخصية مستقلة تنظر في قضايا النحو العربي بعيدا عن التقيد بأي مدرسة أو رأي سابق.

وينظر: فقرة (المذهب النحوي للماتريدي) في فصل: تفسير القرآن بالرأي، في الأصل الأول من أصول منهج الإمام الماتريدي في كتابنا (الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير).

(٣) قال في الأنساب ١/ ٢٦٥ «الأشتاب ديزكي: ـ بضم الألف وسكون الشين المعجمة وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وسكون الباء المنقوطة بواحدة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الزاي والكاف هذه النسبة إلى أشتابديزة: محلة متصلة بباب دستان، وهي محلة كبيرة من حائط سمرقند، منها أبومحمد سيحان بن الحسين بن حازم المؤدب السمرقندي الاشتاب ديزكي، يروي عن أبي عوسجة توبة بن قتيبة الأعرابي»أ.هـ.

(٤) ينظر: القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي، تحقيق يوسف الهادي، ص١١٥، ١١٦، مركز نشر التراث المخطوط، ايران ط١، ١٩٩٩م.

(٥) السابق نفسه.

والأصمعي (ت: ٢١٦هـ) هو «عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان الرشيد يسميه: شيطان الشعر.. وتصانيفه كثير»أ.هـ. مختصرا عن (الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٢).

ـ تلاميذه:

كان الإمام الماتريدي رئيس أهل السنة بسمرقند، فلا ريب أن يكون له تلامذة لا يحصون قد تلقوا عنه علومه، وقد ذكر أبو اليسر البزدوي ذلك، فقال «وأنَّ جَدَّنا كان قد أخذ معانى كتب أصحابنا وكتاب (التوحيد) وكتاب (التأويلات) في خلق عن الشيخ أبي منصور الماتريدي رحمه الله»[1]، إلا أن كتب التراجم قد اقتصرت - فيما يبدو- على أبرزهم وأشهرهم، وهم:

١ - الحكيم السمرقندي (ت: ٣٤٣هـ):

جاء في (الطبقات السنية) أنه «أخذ عن الماتريدي الفقه والكلام»[2].

وهو «إسحاق بن محمد أبو القاسم الحكيم السمرقندي أخذ الفقه عن أبي منصور محمد الماتريدي ولقب بالحكيم لكثرة حكمته وموعظته، وصحب أبي بكر الوراق ومشايخ بلخ في زمانه وأخذ عنهم التصوف.. وكان من عباد الله الصالحين وممن يضرب به المثل في الحكمة وحسن العشرة، تولى قضاء سمرقند أياما طويلة، وكانت سيرته محمودة، قد انتشر ذكره في الشرق والغرب... توفى في المحرم يوم عاشوراء سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة»[3].

يقول عنه أبو المعين: «وهو ممن ارتضاه الأمة بأسرها وأطبقت الألسنة على الثناء عليه، واتفقت الأفئدة على التعظيم والإجلال له، وقد كان جمع إلى ما كان تبحر فيه من الكلام والفقه ومعرفة تأويل القرآن علوم المعرفة والمعاملة، وبلغ في ذلك مبلغا سار بذكره الركبان قربا وبعدا وغورا ونجدا، وآثاره في الدين مشهورة ومشاهدة معروفة مذكورة، ومساعيه عند أولى العقل والدين مشكورة»[4].

وللحكيم عدة مؤلفات كلها في علم الكلام، منها: (الحكمة النبوية) و(مختصر الحكمة

---

(١) أصول الدين، البزدوى، ص١٤.

(٢) الطبقات السنية، ص١٦٨.

(٣) الفوائد البهية، ص٤٤.

(٤) تبصرة الأدلة ص ٤٧٣، ٤٧٤.

النبوية) وهو شرح للفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة[1]، وله: (السواد الأعظم) وهو مطبوع وعليه شروح[2]، ويسمى: (الرد على أصحاب الهوى)[3]، وله:(عقيدة الإمام)[4]، و(الصحائف الإلهية)[5]، و(رسالة فى بيان أن الإيمان جزء من العمل)[6] (كذا!).

٢ - عبد الكريم البزدوي (ت: ٣٩٠هـ):

هو أبو محمد «عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوي، نسبة إلي بزدة، قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف، جد فخر الإسلام البزدوي، أخذ العلم عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي عن أبي بكر الجوزجانى عن أبي سليمان عن محمد مات سنة تسعين وثلاثمائة»[7].

وقال الذهبي: «سمع من منصور بن أبي طلحة البزدوي صاحب البخاري، وبالبصرة من أبي علي اللؤلؤي، كان زاهدا مفتيا، تفقه على أبي منصور الماتريدي، روى عنه أهل سمرقند»[8].

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٢٨٧، قال: «الفقه الأكبر فى الكلام للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت.. واعتنى به جماعة من العلماء فشرحه غير واحد من الفضلاء..ومن شروحه: (الحكمة النبوية) وله مختصر ذلك الشرح قال فى مختصره: وقد كتبت قبل ذلك كتابا مفصلا فى تبيين مسائله متمسكا بالشريعة المصطفوية لا بالعقل والروية سميته الحكمة النبوية ثم استخرجت منه هذا المختصر وسميته بمختصر الحكمة النبوية، وهو للحكيم إسحق» أ.هـ.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٠٠٨، قال: «السواد الأعظم فى علم الكلام، مؤلف لطيف مختصر، مبنى على اثنتين وستين مسألة»، وطبع الكتاب عدة مرات بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٣هـ.

(٣) تاريخ التراث العربي، سزكين ٤/ ٤٤. وذكر مخطوطاته.

(٤) كشف الظنون ٢/ ١١٥٧، قال: «فارسي أوله: الحمد لله الكبير المتعال...، ولا نعلم المراد بالإمام هنا: الا أن الذى يغلب على الظن أنه الإمام الأعظم، وذلك لميل بعض الأحناف الى الاعتزال فيبدو أن الحكيم أراد أن يردهم إلى عقيدة إمامهم الذى قلدوه فى الفقه» أ.هـ.

(٥) ذكره الزركلى فى الأعلام: ١/ ٢٩٦.

(٦) ذكره سزكين: ٤/ ٤٤. وقال إنه طبع فى استنبول ١٢٨٨هـ.

(٧) الفوائد البهية، ص١٠١. وينظر ص ١٢٥. وكذا فى: الجواهر المضية: ٢/ ٤٥٨.

(٨) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٧/ ٢٠٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، تحقيق: عمر تدمري، سنة ١٩٨٧م.

وقد ترك نسـلا صالحا، فأولاده وأحفاده من أهل العلم، وخدموا المذهب الحنفي والماتريدي معا؛ فهو جد فخر الإسلام على بن محمد البزدوي (ت: ٤٩٣هـ) وهو «الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، إمام الدنيا فى الفروع والأصول، له تصانيف كثيرة معتبرة منها (المبسوط)»[1]، وأخوه هو «أبواليسر محمد بن محمد المعروف بالقاضى الصدر»[2] صاحب (أصول الدين) على مذهب الماتريدي[3]. رحمهم الله جميعًا.

٣ـ الإمام ابن أبي الليث البخاري (ت؟؟):

ذكر اللكنوي أنه «أبوعصمة بن أبي الليث البخاري من أقران القاضي إسحاق الحكيم السمرقندي أخذ عن أبي منصور الماتريدي»[4]، وذكر في (الجواهر المضية) أنه «أبو عبد الرحمن بن أبي الليث البخارى، صاحب أبي القاسم إسحاق بن محمد المعروف بالحكيم ومن أقرانه، أستاذهما أبو منصور الماتريدي، وعنه أخذا علم الكلام والفقه»[5]. ولا يعرف عنه أكثر من هذا.

٤ ـ على الرُستُغفنى[6] (ت: ٣٥٠هـ تقريباً)[7].

قال فى (الجواهر المضية): «علي بن سعيد أبو الحسن الرستغفني من كبار مشائخ سمرقند. له كتاب (إرشاد المهتدي) وكتاب (الزوايد والفوائد) في أنواع العلوم وهو من أصحاب الماتريدي الكبار. له ذكر في الفقه والأصول في كتب الأصحاب. والخلاف بينه

---

(١) الفوائد البهية، ص١٢٤.

(٢) الفوائد البهية، ص١٢٥.

(٣) ينظر مقدمة المستشرق: هانز لكتاب (أصول الدين) حيث لم يعرف عن حياته الكثير ومنها تاريخ وفاته. مرجع سابق.

(٤) الفوائد البهية، ص١١٦.

(٥) الجواهر المضية: ٤/ ٦٥.

(٦) الرُستُغفنى: «بضم الراء وسكون المهملة وضم التاء ثالث الحروف وسكون الغين المعجمة وفى آخرها النون بعد الفاء، نسبة إلى قرية من قرى سمرقند» كذا فى الجواهر المضية، ٢/ ٥٧١.

(٧) ينظر: أصول الفقه، اللامشي، ص٢٢٢.

وبين الماتريدي في مسألة المجتهد إذا أخطأ في إصابة الحق يكون مخطئا في الاجتهاد عند أبي منصور، وعند أبي الحسن مصيب في الاجتهاد على كل حال، أصاب الحق أو لم يصب»[1].

والأقرب فى فهم عبارة «من أصحاب الماتريدي الكبار» أن تحمل لا على صحبة الطبقة الواحدة، وهو ما نص عليه أبو المعين حين قال متحدثا عن الماتريدي: «وهو الذى تخرج عليه الفقيه أبو أحمد العياضى فى أنواع العلوم والشيخ أبو الحسن الرستغفنى رحمهما الله تعالى وغيرهما من العلماء المتبحرين فى العلوم الملية»[2] وسياق كلام أبي المعين يساعد على هذا الفهم أيضًا؛ إذ ذكر طبقته بعد طبقة أقران الماتريدي، وعليه فهو من تلامذته لا من أقرانه.

من مؤلفاته: (إرشاد المهتدى) و(الزوائد والفوائد) السابق ذكرهما، وله كذلك: كتاب فى (الفتاوى)، وكتاب آخر فى (الخلاف)[3].

***

(١) الجواهر المضية ٢/ ٥٧٠، ٥٧١. وينظر: تاج التراجم، ص٣٠.

(٢) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٧١.

(٣) ينظر: كشف الظنون ١/ ٧٠، ٢/ ١٢٢٣.

المطلب السادس

ثقافته وعلمه

لا أعتقد أنني فى حاجة للتأكيد على كون الإمام الماتريدي من كبار المتكلمين والمفسرين والفقهاء والأصوليين الأحناف، لكن ما أود الوقوف عليه هنا هو استكشاف مدى موسوعية الماتريدي، أو لنقل: الوقوف على مدى رحابة الفكر واتساع الأفق لديه؛ لنعطى عن الرجل صورة أخرى إضافية، نتعرف من خلالها على الأبعاد المختلفة لهذه الشخصية؛ إذ إن ثقافة الماتريدي لم تقتصر على علوم الشريعة بل امتدت لتأخذ بنصيب من علوم أخرى.

ولا ريب أنه بقدر اتساع ثقافة المفسر ثم علمه بواقعه المعيش بقدر ما يكون أثرهما في صناعة رأيه وكيفية تناوله للآيات وتوجيهها وجهة معينة بغرض تنزيل هداية القرآن على واقعه[1]، ومن هنا قيل: إن التفسير «علم لا نضج ولا احترق»؛ لأن كل جيل يبحث فى القرآن عن معالجة قضاياه ومشكلاته من خلال ذلك الكتاب، ولا يقوم بذلك إلا المفسر[2].

وقد كتب الأستاذ محمد أبو موسي في هذا السياق ما أراه ينطبق أشد الانطباق على إمام الهدى، إذ يقول: «وكان مؤسسو هذا التراث أنشط منا في متابعة الفكر الإنساني فى كل مظانه، وأقدر على فقه الثقافات الأجنبية، وتمثلها، والصبر على البحث والدرس، وكانوا يفرزون هذه العصارات المختلفة عربية الشكل والجوهر، حتى يخيل إليك أنهم لم يقرأوا غير التراث العربي، وهذه وظيفة الرواد القَوَّامين على ثقافات الأمم وحضارتها، والحراس المحافظين على ملامحها وأصالتها»[3].

(١) ينظر المدخل الذي صدرت به فصل (التفسير بالرأي) وفقرة (أثر سعة الثقافة وفقه الواقع في صناعة الرأي) فإن الكلام هناك يتآخي مع ما ذكرته هنا في هذا المبحث.

(٢) إن البحث في دراسة أثر الواقع على كل تفسير من تفاسير القرآن تحتاج لدراسات عديدة تربط بين الواقع الفكرى والثقافي والسياسي الذى كان يحياه المفسر وكيفية تناوله للآيات، أو لآيات معينة في تفسيره.

(٣) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري، د. محمد أبو موسي، ص١٢، ط دار الفكر العربي.

ـ علمه بالتاريخ العربي والإسلامي:

جاء في تفسير الماتريدي ما نستطيع أن نستشف منه عنايته بعلم التاريخ، ففي سورة الجمعة – مثلا – بين السر في قبول العرب المباهلة دون اليهود والنصارى عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ حيث يقول: «فلم يباهله اليهود والنصارى؛ لأنه يجوز أن قد كان في كتابهم هذا أن المباهلة من غاية المحاجة وأن من باهَل نزل عليه العذاب واللعنة إن لم يكن محقًّا؛ فلذلك امتنعوا من المباهلة، وأما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا»[1].

ولا نبحث هنا صحة هذا التعليل من عدمه، وإنما نبحث في أثر هذا العلم فى توجيه الآية أو كتابة رأي معين فيها.

ويدخل فى ذلك: علمه بتاريخ الأمم السابقة مما يعين على تفسير آيات القصص وهو ما يدخل فى عداد الإسرائيليات، وهي قليلة في تفسيره.

ويدخل في ذلك: العلم بعادات العرب في الجاهلية ففى سورة يوسف عند قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، يقول إن: «﴿تَٱللَّهِ﴾ قسم قد اعتادوه في فحوى كلامهم؛ على غير إرادة يمين بذلك؛ **هكذا عادة العرب**؛ وإلا كان يعلم يوسف أن الله قد آثره عليهم»[2].

وفى سورة الحشر: عند قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ الآية، ذكر «أنه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم في النسب أو القبيلة»[3].

ويدخل في هذا: العلم بالسيرة النبوية مما يشمل أحوال الرسول وأحوال صحابته مما يعد أعم من أسباب النزول أو التفسير بالمأثور، ففى سورة الأنفال، عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، يقول: «ذكر في بعض القصة أن عير قريش حين أقبلت من

(١) الجمعة: ٦ – ٥/ ١٢٩. وينظر: الدخان: ٨ – ٤/ ٤٥٦.

(٢) يوسف: ٩١-٦/ ٢٨٣. ط العلمية.

(٣) الحشر: ١٢-٩/ ٥٩٣. ط العلمية.

الشام، خرج أصحاب رسول اللهّٰ نحوهم على ما يخرج إلى العير غير متأهبين للحرب، وخرجت قريش من مكة تغيث عيرها فهي الطائفة الأخرى، ووعد لهم أن إحدى الطائفتين لهم إما العير وإما العسكر أنهم ينصرون عليهم ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: التي ليس فيها حرب، ثم يكون لكم العير وهي أهون شوكة وأعظم غنيمة، كانوا يودون ذلك»[1].

ـ علمه بالفارسية[2]:

(١) الأنفال: ٧ – ٢/ ٣٣٣.

(٢) لم تكن الفارسية التى يتكلمها الإمام الماتريدي هى فارسية الساسانيين الذين قضى الإسلام على لغتهم ودياناتهم؛ ذلك أن العرب قد فتحوا «بلاد فارس وهم يتكلمون البهلوية، وهى لغة المرحلة الوسطى بين لغتهم القديمة قبل فتح الإسكندر لبلادهم وبين لغتهم الحديثة التى نشأت فى منتصف القرن الثالث الهجري، فلما احتكت اللغة العربية بالبهلوية صارعتها فصرعتها فى الإنتاج العلمي والأدبي.. إلى أن بعثوا اللغة الفارسية الحديثة محاكية للعربية، ثم زاحمتها شيئا فشيئا حتى استقلت.لكنها بعد استقلالها مازالت مصبوغة بألوان شتى من آثار العربية وآدابها». «وقد بلغت الألفاظ العربية فى بعض الكتب الفارسية من خمسين إلى ثمانين فى المائة حتى كادت الكلمات تكون عربية مرتبة على قواعد النحو الفارسي». «على أن النحو الفارسي لم يسلم من التأثر بالنحو العربي كحذف الفعل من بعض الجمل الفارسية، أو تقديمه محاكاة للنحو العربي، أو صوغ فعل مبني للمجهول على الطريقة العربية، أو استعمال الحال كما هو فى النحو العربي».
ينظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص٢٨١ فما بعدها؛ ليعلم مدى تأثر الفارسية الحديثة بالعربية فى فنون الأدب والنحو والعروض والكتابة بالحروف العربية والبلاغة. حتى إننا لنستطيع القول: إن الفارسية الحديثة إنما هي عربية محرفة لم تستطع العودة إلى الفارسية القديمة الأصلية، ولا استطاعت أن تبقى عربية خالصة!
ويلاحظ الدكتور عبد الرحمن بدوي ذلك – وكان يجيد الفارسية وعاش فى إيران ابتداء من ديسمبر١٩٧٣م أستاذا للفلسفة فى كلية الإلهيات والعلوم الإسلامية (إلاهيات وعلوم إسلامي!) فى جامعة طهران – حيث يقول فى مذكراته ٢/ ٢٤٥: «وتكونت اللغة الفارسية الجديدة التى ستصير لغة الكتابة ابتداء من القرن الرابع الهجري عند من يكتبون بالفارسية فى إيران من لغة فارس ومن تطعيمها بعناصر عربية تزايدت مع الزمن حتى صارت الألفاظ العربية تُكَوِّن ثمانين فى المائة من معجم اللغة الفارسية» أ.هـ.
ينظر: سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
قلت: لعل تشرب الفارسية التى أعيد إحياؤها فى عهد السامانيين فصاحة العربية: بلاغة ونحوا وعروضا ومفردات، حتى قاربت العربية جدا هو الذى دفع الإمام أبا حنيفة رحمه الله فيما نقل عنه الإمام الماتريدي فى تفسيره «أنه إذا قرأ المرء بالفارسية فى صلاته تجوز صلاته» [فصلت: ٤٤-٤/ ٣٨٣]، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب كشف الأسرار (١/ ٢٥) أنه: «قيل الْخِلَاف فِي الْفَارِسِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا قَرُبَتْ مِنْ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْفَصَاحَةِ فَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِغَيْرِهَا فَلَا يَجُوزُ بِالِاتِّفَاقِ» أ.هـ.

أ- كثيرا ما يورد الإمام الماتريدي في تفسيره كلمات فارسية، أو كلمات عربية ثم يقوم بترجمتها للفارسية؛ زيادة في الإيضاح لطلاب يبدو أنهم من أصول فارسية، في عصر اهتم فيه أمراء السامانيين بإحياء الثقافة الفارسية[1].

ومن ذلك ما جاء في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾، يقول: «قيل: فعيل بمعنى فاعل.... والمارد بالفارسية: ستنبه»[2]، وفي سورة الكهف، إذ يقول: «قال أبو عوسجة: ﴿سَرَبًا﴾ أي دخل في البحر كما يدخل في السّرْب، والسّرْب هو داخل الأرض، يقال بالفارسية: سَمْهَجٌ»[3]. وفي سورة الفرقان يقول: «ويقال ﴿مَهْجُورًا﴾ أي كالهذيان، والهُجر الاسم[4]، يقال: فلان يهجر في منامه أي يهذي، وهو بالفارسية: بلابه كفتى»[5].

ولم يقتصر فعل الماتريدي هذا على تفسيره بل كان يعبر هو عن نفسه، ويبين عن أفكاره بكلمات فارسية لعله لا يرى في العربية ما يقابلها، مثل تعبيره عن الذات الثابتة بلفظ «الهستية»[6].

ب- هذا عدا ما يورده من كلمات معربة في القرآن، يقول إن أصلها فارسي[7].

---

(١) تبدو المنطقة في تلك الفترة مختلفة اللغات والأعراق ويتنازعها اللسانان العربي والفارسي، بعد الفتح والتركي والفارسي قبله!

(٢) الحج: ٣ - ٣/ ٣٥٦.

(٣) الكهف: ٦١ - ٣/ ٢٤١.

(٤) [قال شيخنا]: يعنى اسم المصدر (هجر يهجر هُجرا) أما المصدر فهو الهَجر بالفتح.

(٥) الفرقان: ٣٠-٣/ ٥٠٢. وينظر كذلك: القمر: ٨-٤/ ٦٢١، والواقعة: ٣٧-٥/ ٢٧، والرحمن: ٧٦-٥/ ٢٠.

(٦) يقول أبو المعين في التبصرة (١/ ٢١١): «... فإن الشيخ أبا منصور الماتريدي رحمه الله ذكر في كتاب المقالات فقال بعد كلام ذكره: ثم لزم تعاليه عن جميع معاني غيره وسبحانيته عن أن يكون له مثال في الحوادث، فذلك هو القول بالمائية عند من يقول لا غير، وهو أن ينفى عنه معنى هستية غيره إذا لم تكن المائية عند القوم إلا هستيته خلاف هستية غيره، وإذا كان الأمر كذلك دل أن القائل بالمائية لا يريد به إثبات المجانسة بل يريد به نفيها»، ثم يقول أبو المعين بعدها: «ومن دأب الشيخ رحمه الله أن يذكر لفظة الهستية وإن كانت فارسية، لما أن لفظة الوجود مشتركة بين فعل الواجد وبين ثبوت الذات». ولعل في هذا ما يكون دليلا آخر على الأصل الفارسي للماتريدي.

(٧) ينظر مثلا: الزمر: ٦٣ - ٤/ ٣٢٠. والتكوير: ١ - ٥/ ٣٨٩. والفيل: ٤ - ٥/ ٥٢١.

- اطلاعه على أقوال الفلاسفة:

شملت ثقافة الماتريدي كل ما يدور في عصره من أفكار، ومنها: مقولات الفلاسفة التي يقول عنها المقريزي: «كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شُغِفَ بالعلوم القديمة بعث إلى بلاد الروم مَن عرّب له كتب الفلاسفة وأتاه بها في أعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفرًا إلى كفرهم... واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلاّ من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره»[1].

ولانتشار هذه الكتب في أيدي الناس وعظم البلاء بها لم ير أهل السنة - ومنهم الماتريدي - بُدًّا من النظر فيها، مع الحذر بل والتحذير مما فيها من أباطيل تخالف الكتاب أو السنة.

أ- فمن إيراد الماتريدي لأقوال الفلاسفة في تفسيره، ما جاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ حيث يقول، عارضا قول الفلاسفة: «قالت الفلاسفة: الحواس هي التي تدرك صور الأشياء بطينتها»[2].

وفي سورة الأعراف عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال «قيل العالم هو جوهر الكل، وهو قول الفلاسفة»[3].

ب- ومع ذلك فإن الماتريدي كان يرى عدم إباحة النظر في هذه الكتب إلا للعرض على كتاب الله فيؤخذ ما يوافقه ويترك ما يخالفه.

---

(١) المواعظ والاعتبار، المقريزي، ٣/ ٤٢٢ فما بعدها باختصار.

(٢) الأنعام: ٦٠ - ٢/ ١٢٥.

(٣) الأعراف: ١٠٤ - ٢/ ٢٦٨.

ففى سورة الكهف – مثلا– يقول: «وفى قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ دلالة أنه لا يسع النظر فى كتب الفلاسفة إلا على جهة العرض لما فيها على كتاب الله فيأخذ بما يوافقه ويترك الباقي»[1].

ـ اطلاعه على كتب أهل الكتاب

كان الإمام الماتريدي فى تفسيره يستشهد أحيانا بكتب أهل الكتاب فى مواطن متعددة مما يدل على أن ثقافته شملت هذا الجانب، ومن هذه المواضع ما جاء فى سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ الآية، حيث يقول:

«يحتمل أن يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا ولكن ما كان من أحد الفريقين هذا، ومن الفريق الآخر غيره... ويحتمل: أن كان من النصارى ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ لما ذكر فى بعض القصة أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال لقومه: **أدعوا إلى أبي وأبيكم الذي في السماء**[2] فقالوا عند ذلك ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ وكان من اليهود قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾»[3].

ـ نظرات فى علم الأغذية:

يرى الإمام الماتريدي أن الطعام الطيب اللين أنفع للعقول، حيث يقول فى سورة الكهف:

«وقال بعضهم: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أطيب وأجود لأن الطيب أزيد للعقول وأصلح للأنفس وأنفع، ولذلك جعل الله أرزاق البشر ما هو أطيب وألين لما يزيد ذلك فى العقول والفهوم، وجعل لغيرهم من الدواب كل خشن خبيث لما ليس لهم عقول»[4].

---

(١) الكهف: ٢٢ – ٣/ ٢٢٢.

(٢) لم أجد هذا النص وأقرب ما وجدته (متى٩/ ٢٣): (وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ).

(٣) المائدة: ١٨ – ٢/ ٢٥.

(٤) (الكهف: ١٩ – ٣/ ٢١٩).

ـ نظرات فى علم الأرض:

يَرُدُّ الإمام الماتريدي على بعض الناس فى مسألة طبيعية تتعلق بعلم الأرض أو علم (الجيولوجيا)، حيث يقول:

«وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ هذا يدل أن الأرض لم يكن من طبعها فى الأصل التَّسَفُّل والتسرب فى الماء على ما قال بعض الناس، لأنه لو كان طبعُها التَّسَفُّل والتسرب لكانت الجبال تريد التَّسَفُّل فى الماء والتسرب. فإن لم يكن دلَّ أن طبعَها كان الاضطراب والزوال والتحرك والميد بأصله فى التَّسَفُّل والتسرب. ولكن على ما ذكرنا، فأثبتها بالجبال وإن كنا نشاهد بعض أجزائها تسْفُلُ وتسْرُبُ».

ـ رأي فى علم النجوم [1]:

يرى الإمام الماتريدي أن استخراج المعاني والدلالات من النجوم جائز ما لم يشهد الفلكي على الله أو يقطع بقوله ويشبهه بعمل المجتهد الذى يستخرج من النصوص، ففي سورة المائدة، عند قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾، يقول:

«قال أبو بكر الكيساني: إن فى النهى عن العمل بالأزلام دليل النهي عن العمل بالنجوم، فإذا نُهي عن العمل بقول المستقسمين يُنهى أيضًا عن العمل بقول المنجمة؛ لأنهم يقولون حينما يقول أولئك ويعملون به. لكن المنجمة ليسوا يقولون إن نجم كذا يأمركم كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان يفعل أولئك، ويجوز أن يكون الله عز وجل قد جعل فى النجوم أعلاما ومعاني يدركون بها ويستخرجون أشياء تحتمل ذلك وتكون على ما يستخرج أهل الاجتهاد بالاجتهاد أشياء من معنى النصوص، وأحكاما لم تذكر فى المنصوص. فعلى ذلك المنجمة يجوز أن يستخرجوا أشياء من النجوم بدلائل معان تكون فى النجوم، ولاعيب

---

(١) يقول صاعد (طبقات الأمم، ص١٦): «ومن خواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها فى العالم السفلي وكانت لهم أرصاد للكواكب قديمة ومذاهب فى حركاتها مختلفة.. وللفرس كتب جليلة فى أحكام النجوم»أ.هـ. باختصار، ولعل فى هذا ما يؤكد الأصل الفارسي للماتريدي كما رجحته.

عليهم فى ذلك ولا لائمةَ وإنما اللائمةُ عليهم فى ما يحكمون على الله ويشهدون عليه»[1].

وقد سبق فى سياق الحديث عن أصل الماتريدي رأيه في علم القائفة، وعلم الأنساب وأنه لا يعتد بهذه العلوم!

ولا نستطيع الجزم هنا بـ«مدى» اطلاع الماتريدي على هذه العلوم، سواء منها ما رفض أو قبل، ولكن المؤكد أن الماتريدي كي يحكم هذه الأحكام أو يستشهد بهذه الاستشهادات لا بد وأنه اطلع على طرف منها يُمَكِّنه من ذلك، وهذا هو معنى الثقافة: أن تعرف شيئا عن كل شيء.

***

(١) (المائدة: ٣ - ٢/١١).

المطلب السابع
مؤلفاته وآثاره العلمية

لقد أثمرت تلك الثقافة الموسوعية عددا من المؤلفات كان أغلبها فى علوم الشرع من كلام وأصول وتفسير، إلا أنه - بطبيعة الحال - قد وظف كافة معارفه فى مؤلفاته كما لحظناه فى تفسيره.

وهذه المؤلفات قد استفاد منها تلاميذه وأنصار مذهبه في الأجيال اللاحقة، إلا أنه - واأسفاه - لم يصل لنا إلا النذر اليسير منها، لكننا علمنا بها من أقدم كتاب ترجم للإمام الماتريدي فيما وصل إلينا، وهو كتاب (تبصرة الأدلة) الذى ذكر منها ثلاثة عشر مؤلفا في سياق مدحها قائلا: إنه مَن «وقف على بعض ما فيها من الدقائق، وغرائب المعانى، وإثارة الدلائل عن مكامنها، واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام، وحافظ على آداب المجادلة الموضوعة، لَفَسَخَ عقائد المغترين بأفهامهم، وقَرَنَ كل مسألة من البرهان الموضوع لإفادة ثلج الصدر وبرد اليقين»[1]. وقد ذكر غير النسفي كتبًا أخرى سأذكرها ضمن التصنيف الذى يمكن أن نضع فيه هذه المؤلفات، كالآتي:

ـ مؤلفاته فى التفسير وعلوم القرآن:

١- تفسيره الكبير المسمى (تأويلات القرآن)[2] أو (تأويلات أهل السنة)، وسيأتي حديث مفصل بشأنه إن شاء الله تعالى.

٢- كتاب (أوقاف الكفر) أو (رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن).

لم يذكره أبو المعين، وإنما ذكره لبيب السعيد فى كتابه (التغني بالقرآن) حيث قال: «فى

(١) تبصرة الأدلة، ص٣٧٣، ٣٧٤ باختصار. والكتب التي ذكرها للماتريدي ذكرها في هذا الموضع نفسه الذي لن أحيل إليه بعد ذلك مكتفيا باسم الكتاب.

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة، ص٣٩٨، وص٤٧٣.

كتاب (أوقاف الكفر) لأبي منصور الماتريدى بيان مفصل لوقوف غير جائزة، بل قد تفضى إلى كفر من يقرأ بها عامدا»[1]، ولعل هذا (الكتاب) هو بعينه (الرسالة) التى ذكرها فؤاد سزكين بعنوان (رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه فى القرآن)[2]، وذكر أماكن وجودها.

وهو مخطوط لم يطبع من ورقة واحدة رقم ٣٥٤ مجاميع، بدار الكتب المصرية، وبرقم ٩٤٠ مجموع طلعت، وله نسخ أخرى فى مكتبات العالم[3].

ـ مؤلفاته فى العقائد والمذاهب:

١ - كتاب (التوحيد)[4].

وهو كتاب مشهور قد يسمى (التوحيد وإثبات الصفات)[5] وهو المصدر الأول فى معرفة آراء الماتريدي العقدية، وقد عرف الكتاب بصعوبة عباراته مما جعل البزدوي فى مقدمة كتابه (أصول الدين) يقول عنه: «إلا أن فى كتاب (التوحيد) الذى صنفه الشيخ أبو منصور قليل انغلاق وتطويل، وفى ترتيبه نوع تعسير ولولا ذلك لاكتفينا به»[6]، والكتاب محقق مطبوع[7].

٢ - كتاب (المقالات):

ذكره أبو المعين، ونقل منه نصوصا فى كتابه[8]، كما ذكره حاجى خليفة[9]، وهو كتاب

---

(١) التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي)، بقلم لبيب السعيد، ص٨٥، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

(٢) تاريخ التراث العربي: ١/ ٤٢.

(٣) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، ص٢٣.

(٤) نقل منه أبو المعين فى مواضع، ينظر مثلا: ص ١٣٠، ٢١٠، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٦٩.

(٥) كشف الظنون: ٢/ ١٤٠٦، هدية العارفين: ٢/ ٣٦.

(٦) أصول الدين، البزدوي، ص١٤.

(٧) قام بتحقيق نصوصه الدكتور فتح الله خليف (عام١٩٧٠م)، كما طبعته دار صادر (عام ٢٠٠٤م)، بتحقيق الدكتور بكر أوغلو، والدكتور محمد آرويشي، وهي الأفضل؛ إذ بها شروح لبعض ما غمض من العبارات، مع مقدمة ضافية.

(٨) انظر مثلا: ص ٧٢، ص٢١١.

(٩) كشف الظنون: ٢/ ١٧٨٢.

مستقل عن كتاب (التوحيد) كما يظهر لأول وهلة من صنيع النسفي وغيره[1] بخلاف ما يوهمه صنيع بروكلمان كأنه هو هو كتاب (التوحيد) حين قال (كتاب التوحيد أو المقالات)[2].

٣ - كتاب (بيان وهم المعتزلة):

ذكره أبو المعين النسفي، وصاحب (هدية العارفين)[3]، وصاحب (تاريخ الأدب العربي)[4].

و(أوهام) بالجمع فى بعض نسخ (الجواهر المضية)[5]

٤ - كتاب (رد تهذيب الجدل للكعبي)

ذكره النسفي فى (التبصرة)، وسماه فى (هدية العارفين): (الرد على تهذيب الكعبي فى الجدل)[6]، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين.

٥ - كتاب (رد أوائل الأدلة للكعبي):

ذكره النسفي، وبروكلمان[7].

٦ - كتاب (رد كتاب الكعبى فى وعيد الفساق):

كذا اسمه فى (التبصرة) للنسفي، وفى كتب الطبقات: (رد وعيد الفساق للكعبي) ولم يذكره سزكين ولا بروكلمان.

٧- كتاب (رد الأصول الخمسه لأبي عمرو الباهلي):

ذكره أبو المعين النسفي، ولم يذكره بروكلمان ولا سزكين، ولا يُعرف من هو الباهلي المقصود، ويبدو أنه من المعتزلة وفقا لعنوان الكتاب.

---

(١) وحكى محقّق كتاب (التوحيد) الدكتور بكر طوبال عن بعضهم: وجود نسخة مخطوطة منه في بعض المكتبات إلا أنه بعد تدقيق تبين أن هذا غير صحيح. ينظر: (ص ١٨، ١٩).

(٢) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٤٢.

(٣) هدية العارفين: ٢/ ٣٦.

(٤) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٣/ ٤٣.

(٥) الجواهر المضية: ٣/ ٣٦٠.

(٦) هدية العارفين: ٢/ ٣٦.

(٧) بروكلمان: ٣/ ٤٣.

٨ - كتاب (رد كتاب الإمامة لبعض الروافض):

ذكره النسفي، ولا يعلم من هم هؤلاء البعض الذين يَرُد عليهم إلا أن الدكتور أيوب على، ذكر أنه يرد على أحمد بن أبي الحسين الراوندي الملحد[١]، لكن لا يعرف من مؤلفات ابن الراوندى كتاب فى الإمامة، ولعل كلامه فيها أتى فى خلال انتصاره للرافضة في بعض ما ألف[٢].

٩ - كتاب فى الرد على القرامطة فى أصول مذهبهم.

١٠ - كتاب فى الرد على القرامطة فى فروع مذهبهم.

الكتابان ذكرهما النسفي، ولم يذكرهما غيره، ولا نعلم هل هذا هو اسم الكتابين أم أنه مجرد وصف لما يحتويانه؟ والذى يبدو أن النسفي قد ذكر محتوى الكتابين؛ وعليه فلا ندري اسمهما.

١١ - رسالة فى الإيمان!

لم يذكرها أبو المعين فى (تبصرة الأدلة) وإنما ذكرها فى (التمهيد لقواعد التوحيد)، إذ بعد ذكره لأدلة القائلين بأن الإيمان هو التصديق ومناقشة القائلين بأن الأعمال من الإيمان يقول: «وفي المسألة دلائل ذكرها الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله فى تصنيف له مفرد فى هذه المسألة»[٣] ولا يعلم على وجه اليقين أن هذا هو اسم الرسالة، وإنما أُخذ الاسم من عبارته، ويترجح لدى الباحث أن تكون رسالة مفردة فى الإيمان كما نص هنا، إذ لو كانت هى بعينها كتاب (التوحيد) لذكر ذلك أبو المعين ولم يَحْتَج للقول (تصنيف له مفرد)، وهو خلاف ما ذهب إليه محقق كتاب (التوحيد) الدكتور بكر طوبال[٤].

(١) عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، ص١٨٧، نقلا عن مقدمة كتاب التوحيد، ص٢١.

(٢) المعروف أنه ألف (فضيحة المعتزلة) نقدا لمذهبهم من وجهة نظر شيعية رافضية ردا على (فضيلة المعتزلة) للجاحظ، ينظر: من تاريخ الإلحاد فى الاسلام، عبد الرحمن بدوي، ص٩١. وينظر: بروكلمان ٣/ ٢٨ و٢٩.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفي، ت: د.جيب الله حسن، ص٣٨٣، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٦م.

(٤) ينظر مقدمته لكتاب التوحيد، ص٢٩.

وهذه الكتب من الثاني إلى الحادي العاشر جميعا لا نعلم عنها شيئا ولم تصلنا.

ـ مؤلفاته فى الفقه والأصول:

١ - كتاب (مأخذ الشرائع):

ذكره النسفي، وهو كتاب فى أصول الفقه، نقل منه اللامشي الماتريدي[١] فى كتابه فى أصول الفقه، كما نقل منه علاء الدين السمرقندي فى كتابه (ميزان الأصول)[٢].

وأستبعد ما ذكره الدكتور أحمد الريسوني حين عد الماتريدي ممن ألف فى المقاصد قبل الشاطبي[٣] مستدلا باسم كتابه (مأخذ)؛ إذ مأخذ الشيء هو وجهه أو جهته التى أُخذ منها[٤]، ولم يذكر أى سبب وجيه آخر، مع تصريحه بفقدان الكتاب!

كما أستبعد ما ذكره الدكتور بكر أبو زيد فى تقديمه لتحقيق الشيخ مشهور حسن سليمان لكتاب (الموافقات) أن كتاب (مأخذ الشرائع) من كتب المقاصد، وذلك عند دراسته لكتاب الشاطبي فقال: «واستظهر آخرون مقاصد التشريع، وعنوا بالكشف عن حكمة الشريعة وغاياتها، وأسرارها، وعللها في جنس التشريع العام، أو في نوعه، أو في جزئية منه، بمؤلفات مستقلة منهم: .. أبو منصور الماتريدي في كتابه: مآخذ الشرائع»[٥].

(١) هو أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي، من علماء ما وراء النهر، عاش فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس، ولا يعلم عنه ولا عن حياته الكثير، وكتابه فى الأصول طبع باسم (كتاب فى أصول الفقه!) حققه: عبد المجيد التركي، دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٩٥م.واستشهاده بالكتاب كان فى موضوع الاستصحاب وذكر رأي الماتريدي فيه، فى المطلب ٣٧٩، ص١٨٧.

(٢) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، علاء الدين السمرقندي، حققه الدكتور: عبد الملك عبد الرحمن السعدي، رسالة دكتوراه فى الشريعة الاسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة، سنة ١٩٨٤م، ١٤٠٤هـ.
ينظر: ص ٢، ١٠٢، ٩٩٤، ١٠٤٩، ١١٢٠. منه.

(٣) ينظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، ص٤٣، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.

(٤) المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي المقري، ت: يوسف الشيخ، ص٣٣٥، مادة: وج هـ، المكتبة العصرية.

(٥) الموافقات، الشاطبي، تحقيق ودراسة: مشهور حسن سليمان، صفحة (ج) من تقديم الشيخ بكر أبو زيد للكتاب، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ولعل ما دفعه إلى ذلك هو اسم الكتاب كذلك، بل النص المنقول فى كتاب اللامشي ونُقُول السمرقندي عنه في (ميزان العقول) تنفى هذا تمامًا.

ويبدو أن الماتريدي قد تكلم فى بعض مسائل أصول الدين فى هذا الكتاب مما جعل النسفي فى (تبصرة الأدلة) ينقل منه قول الماتريدي: إن الجوهران يتماثلان بمعنى يقوم بهما[1].

٢ - كتاب (الجدل) فى أصول الفقه:

ولو لا أن أبا المعين ذكر أنه فى أصول الفقه لظُن أن الكتاب فى المنطق أو علم الكلام.

نقل منه السمرقندي فى (ميزان الأصول)[2]، وهو والذى قبله فى (كشف الظنون)[3].

وهذان الكتابان مدحهما علاء الدين الحنفي السمرقندي بقوله إن تصانيف أصحابه من الحنفية فى علم الأصول قسمان: «قسم وقع فى غاية الإحكام والإتقان لصدوره ممن جمع الفروع والأصول وتبحر فى علوم المشروع والمعقول مثل الكتاب الموسوم بـ(مأخذ الشرائع) والموسوم بـ(كتاب الجدل) للشيخ الإمام الزاهد رئيس أهل السنة أبي منصور الماتريدي السمرقندي رحمه الله ونحوهما من تصنيف أستاذيه وأصحابه رحمهم الله»[4].

ـ مؤلف فى الوعظ والرقائق:

١ - (وصايا ومناجاة) أو (فوائد) أو (مقتطفات فى الوعظ).!.

ذكر سزكين العنوانين الأولين[5]، وذكر بروكلمان الثالث[6] وجميعها مؤلف واحد إذ رقم المخطوط الوارد فى كتابيهما واحد (فاتح ٥٤٢٦)، وهو بالفارسية فإن صحت نسبته إلى الماتريدي فإنه يتسق مع ما ذكرناه من معرفة الإمام بالفارسية، والجزم بذلك صعب قبل

(١) تبصرة الأدلة: ص ١٩٢، ١٩٣.
(٢) ينظر: ميزان الأصول، ص ٢، ١٠٢.
(٣) كشف الظنون: ٢/ ١٤٠٨، ١٥٧٣.
(٤) ميزان الأصول، ص٢، ٣ من النص المحقق.
(٥) تاريخ التراث، سزكين: مج١، ٤/ ٤٢.
(٦) تاريخ الأدب: ٤/ ٤٢.

الاطلاع على الكتاب وقد طبع فى إيران[1] ولم أطلع عليه!

ـ مؤلفات أخرى فى نسبتها للماتريدي مقال..!

أشار النسفي بأن للماتريدي كتبا أخرى غير ما ذكره حين قال: «إلى غير ذلك من الكتب»، إلا أنه قد نُسب إليه بعض ما ظهر أنه لا يصح نسبته إليه، أو ما يصعب تحقيق نسبته إليه، ومن أهم ما نُسب إلى الماتريدي.

١ - كتاب (أصول الدين):

لم يذكره أبو المعين النسفي وذكره بروكلمان باسم (كتاب الأصول) وذكر أماكن وجوده[2] وذُكر فى (هدية العارفين) باسم (الدرر فى أصول الدين)[3] إلا أن سزكين فى (تاريخ التراث) قال: «لقد نسب بروكلمان إلى هذا المؤلِّف - أى: الماتريدي - خطأ كتاب الأصول»[4].

٢ - كتاب (شرح الفقه الأكبر):

نُسب للماتريدي خطأ، ونص على ذلك بروكلمان[5] ولا تصح نسبته؛ لأن فيه ذِكر للأشعري ونَقْد لأقواله، والمذهب الأشعري لم يشتهر إلا بعد وفاة الإمام الأشعري وبعد وفاة الماتريدي، أو على حد قول المقريزى فى (الخطط): «انتشر مذهب الأشعري فى العراق من سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلى الشام»[6].

والصحيح نسبته لأبي الليث السمرقندي كما أشار العلامة الكوثري، وتبعه الشيخ محمد أبوزهرة، رحمهما الله تعالى[7].

(١) ينظر مقدمة كتاب التوحيد للدكتور بكر طوبال، ص ٣٠.
(٢) بروكلمان: ٣/ ٤٢.
(٣) هدية العارفين: ٢/ ٣٦.
(٤) هامش المجلد الأول: ج٤/ ٤٢.
(٥) تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٤٣.
(٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، ٤/ ١٩٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
(٧) ينظر: مقدمة الكوثرى لكتاب العالم والمتعلم، ص٤. وينظر: تاريخ المذاهب الاسلامية لأبي زهرة ص١٦٦ =

٣ - كتاب (شرح كتاب الإبانة للأشعري).

ذكره الشيخ مصطفى عبد الرازق فى كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة) حيث يقول: «وله - أى الماتريدي - شرح لكتاب أبي الحسن الأشعري فى علم الكلام المسمى (الإبانة عن أصول الديانة)»[1].

لكن الاتصال بين الأشعري والماتريدي غير ثابت، فضلا عن أن يكون الماتريدي قد اطلع على كتب الأشعرى أو يكون شارحا لها؛ لأن الماتريدي قد سبق الأشعرى فى نصرة السنة، والأشعري من طبقة تلامذته كما سيأتي، كما أن كتاب (الإبانة) لا يُعرف أن أحدا قام بشرحه[2].

٤ - كتاب (حصص الأتقياء):

نسبه الآلوسي فى تفسيره للماتريدي ونقل منه فى مواضع[3]، منها قوله:

«وذكر الشيخ أبو منصور الماتريدي في كتاب (حصص الأتقياء) الصواب أن قوله: تلك الغرانيق العلا من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه»[4].

ولم يذكر ذلك غير الآلوسي، ومن المستبعد أن يكون للماتريدي ما لا يعلمه إلا العلامة الآلوسي رحمه الله!

٥ - كتاب أو رسالة (العقيدة):

ذكره كارل بروكلمان[5] وفؤاد سزكين باسم (العقيدة)[6]، وسماه في (كشف الظنون)

= وعبارته: «وقد نسب إليه بعض العلماء أنه وضع شرحا لكتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة رضي الله عنه، ولكن بالتحقيق العلمي ثبت أن ذلك الشرح لأبي الليث السمرقندي الفقيه الحنفي المعروف» أ.هـ.

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د. مصطفي عبد الرازق، ص٢٩٨، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: سزكين مج١، ج ٤/ ٣٨، ٣٩، وبروكلمان: ٤/ ٤٠.

(٣) ينظر مثلا: تفسير الآلوسي: ١٣/ ١٠٠.

(٤) تفسير الآلوسي: ١٧/ ١٧٧.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٤٢.

(٦) تاريخ التراث العربي المجلد الأول: ج٤/ ٤٢.

باسم (عقيدة أبي منصور) وعليه شرح لتاج الدين السبكي باسم (السيف المشهور فى شرح عقيد أبي منصور)[1]، وصاحب (هدية العارفين) يسميه (العقيدة الماتريدية)[2]، وقد نقل عن هذا الكتاب عدد من العلماء، منهم القرطبي فى تفسيره؛ إذ يقول: «قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال أبو منصور في **عقيدته**: الرزق ما وقع الاغتذاء به»[3].

والكتاب لا تصح أيضًا نسبته للماتريدي لعين الأسباب المذكورة فى نسبة كتاب (شرح الفقه الأكبر) إليه حيث ذكر الأشعرية ورد عليهم[4]، كما أنه بالاطلاع على نُسخ الكتاب وُجد أنه فى أحد المواطن يرجح قولا لأبي منصور!! كما أن التاج السبكي شارحه لا يرى صحة النسبة للإمام الماتريدي[5].

* * *

(١) كشف الظنون: ٢/ ١٠١٩، ثم ١١٥٧.

(٢) هدية العارفين: ٢/ ٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، ١٠/ ١٤٨، إعادة لطبعه دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٤) ينظر: إمام أهل السنة للمغربي ص ٢٨، ٢٩. وينظر: الماتريدية دراسة وتقويما للحربي، ص١١٢.

(٥) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد، للدكتور بكر طوبال، ص٢٨، ٢٩.

المطلب الثامن
مكانته وأثره

نستطيع التعرف على مكانة هذا الإمام الكبير من خلال: ما أُطلق عليه من ألقاب، وما خلفه من آثار علمية، وقد سبقا.

وكذلك من خلال: ثناء العلماء على علمه، مما يمثل جانبًا نظريًا فى تبين هذه المكانة.

ومن خلال: النظر فيما خلفه من أثر فكري فى الأجيال اللاحقة، مما يمثل جانبًا واقعيًا، ينطق بهذه المكانة:

أولا: ثناء العلماء على الإمام الماتريدي:

ـ أبو المعين النسفي (ت: ٥٠٨هـ):

يقول متحدثا عن أتباع أبي حنيفة السائرين على قوله فى العقائد: «ولو لم يكن فيهم إلا الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله الذى غاص فى بحور العلوم فاستخرج دررها، وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه وجودة قريحته غررها.. ومن رأى تصانيفه.. ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني واثارة الدلائل عن مكامنها واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام وحافظ من آداب المجادلة الموضوعة، لفسخ عقائد المغترين بأفهامهم، وقرن كل مسألة من البرهان من الموضوع لأفادة ثَلَجُ الصدر بَرْدُ اليقين، ولعَرَف أنه المخصوص بكرامات ومواهب من الله تعالى، المؤيد بمواد التوفيق ولطائف الإرشاد والتسديد من الغني الحميد.

وإن ما اجتمع عنده وحده من أنواع العلوم الملية والحكمية لن يجتمع فى العادات الجارية فى كثير من المُبَرَّزين المُحَصِّلين؛ ولهذا كان أستاذه الشيخ أبو نصر العياضى رحمهما الله تعالى لا يتكلم فى مجالسه ما لم يحضر الشيخ أبو منصور رحمه الله، وكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾.

وكتابه المصنف فى (تأويلات القرآن) كتاب لا يوازيه فى فنه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه فى ذلك الفن، وما أحسن ما قال بعض البلغاء فى وصفه رحمه الله تعالى فى كتاب فقال: كان من كبراء الأئمة وأوتاد الملة، وكتابه فى تفسير القرآن فتق عن المشكل أكمامه وقشع عن المشتبه غمامه، وأبان بأبلغ الوصف وأتقن الرصف أحكامه وحلاله وحرامه، لقاه الله تحيته وسلامه»[1].

ـ العلامة المؤرخ طاش كبرى زادة (ت: ٩٦٨هـ):

يقول: «إن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان، أحدهما: حنفي، والآخر: شافعي، أما الحنفي: فهو أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الماتريدي إمام الهدى... وأما الآخر الشافعي: فهو شيخ السنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدِّين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين أبو الحسن الأشعري البصري»[2].

ـ أبو البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ):

يقول: «وأهل الحق هم: الذين يعترفون بالأحكام المطابقة للواقع، والأقوال الصادقة، والعقائد السليمة، والأديان الصحيحة، والمذاهب المتينة، والمشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة، أصحاب أبي الحسن الأشعري... وفي ديار ما وراء النهر والروم أصحاب أبي منصور الماتريدي»[3].

ـ العلامة محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ):

يقول: «كان إمامًا جليلاً مناضلاً عن الدّين موطدًا لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وخَصَمَهم في محاورتهم حتى أسكتهم، تخرّج بالإمام أبي نصر

(١) تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٧ -٤٧٥، تحقيق حسين آتاى، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣.

(٢) مفتاح السعادة: ٢/ ١٣٣ فما بعدها باختصار.

(٣) الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د.عدنان درويش، ص٢١٠، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.

العياضي وكان يقال له إمام الهدى»[1]. ثم نقل عن الأئمة ما يدل على مكانته؛ فقال: «إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية، قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام، وأكثر الاقطار في ديار ما وراء النهر يطلق بذلك على الماتريدية، أصحاب الإمام أبي منصور.أ.هـ»[2].

ـ العلامة محمد زاهد الكوثري (ت:١٧٣١هـ) أحد أنجب أتباعه المتأخرين:

يقول: «ولا يوجد من يوازن الأشعري بين المتكلمين بالنظر لـما قام به من العمل العظيم، ومع ذلك لا تخلو آراؤه من بعض ما يؤخذ عليه كنوع ابتعاد عن العقل مرة، وعن النقل أخرى فى حسبان الناظر فى كلامه فى مسائل نظرية معدودة، كقوله فى التحسين والتقبيح، والتعليل، وما يفيده الدليل النقلي ونحو ذلك؛ لأن من طال جداله مع أصناف المعتزلة والحشوية مثله لا بد وأن يحصل فى كلامه شيء من هذا القبيل. وإنما لم يقع مثل ذلك فى معاصره إمام الهدى أبي منصور الماتريدي شيخ السنة بما وراء النهر لتغلب السنة هناك على أصناف المبتدعة تغلبا تاما لا تظهر مشاغباتهم معه، فتمكن من الجري التام على الاعتدال التام فى أنظاره فأعطى النقل حقه والعقل حكمه.. فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة فى مشارق الأرض ومغاربها»[3].

وهذا يدلنا كله على مكانة الإمام الماتريدي العالية، وقدمه الراسخة في العلم، وذيوع شهرته بين أهل العلم الذين اطمئنوا لعلمه وفهمه، والأقوال الدالة على ذلك كثيرة اقتصرت على بعضها.

ثانيا: مدرسته الفكرية:

انتسب لهذا الإمام الكبير مدرسة فكرية، تشعبت فى فروع المعرفـة؛ فقد كانت له

(١) اتحاف السادة: ٢/ ٥.

(٢) اتحاف السادة: ٢/ ٦، ٧.

(٣) تبيين كذب المفتري، ص٢٧، من مقدمة العلامة الكوثري رحمه الله.

مدرسة فى الأصول لم يكتب لها الاستمرار[1]، وله مدرسة تفسيرية وأصولية سنميط اللثام عن معالمها، وله مدرسة عقدية هى أوضح آثاره وأبقاها، امتدت من عصره حتى يوم الناس هذا. يدينون بما دون من عقائد ويعرفون أصول الدين بناء على ما أصله هذه الإمام، فله فضل كبير على من جاء بعده حتى انتسب الناس إليه، وإن كان فى حقيقة الأمر لم يبتدع رأيا ولم يخترع قولا، وإنما هو مقرر لعقائد السلف، وإنما انتسب الناس إليه لانصراف همته لهذا العلم، حتى صار صنوا لأبي حنيفة فى الانتساب إليه: فكل حنفي منتسب لأبي حنيفة فى الفروع يقال هو ماتريدي فى الأصول، وإن كانت أصوله هى أصول الإمام الأعظم نفسه، لكنه هذب آرائه وشرحها وقررها فنسبت إليه. وهو صنو للأشعري؛ فأهل السنة هم المنتسبون إليهما. والمنتسبون لأبي منصور يسمون: (الماتريدية)، وعامة من يعبد الله وفق مذهب أبي حنيفة فى الفروع فى العالم الإسلامي إلى يومنا هذا غالبهم (ماتريدية) فى العقائد أو الأصول. وفي هذا ما يشى بمكانة هذا الإمام، فرحمه الله ورضي عنه!

***

(١) وقع اختيار الأحناف فى أصول الفقه على آراء مدرسة بغداد وتركوا مدرسة سمرقند التى كان رئيسها الماتريدي، ينظركتابنا الذي نعده لكشف اللثام عن هذه المدرسة الأصولية والذي نسأل الله أن ييسر نشره قريبا بعنوان: (مدرسة سمرقند الحنفية وما انفردت به من الآراء الأصولية)، ضمن سلسلة (المدرسة الماتريدية).

الفصل الثالث

أسلاف الإمام الماتريدي، وجذور منهجه الفكري

«وليعلم أن كلا الإمامين أبي الحسن وأبي منصور رضي الله عنهما، وجزاهما عن الإسلام خيرًا، لم يبتدعا من عندهما رأيًا، ولم يشتقا مذهبًا، وإنما هما مقرران لمذاهب السلف، مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، **فأحدهما**: قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي، وما دلت عليه. **والثاني**: قام بنصرة مذهب أبي حنيفة، وما دلت عليه... فالانتساب إليهما إنما هو باعتبار أن كلا منهما عقد على طريق السلف نطاقا، وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به فى تلك المسائل والدلائل يسمى: أشعريا، أو ماتريديا»[1].

(١) الإمام الزبيدي فى: إتحاف السادة المتقين، ٢/ ٦، ٧.

تمهيد

أستطيع أن أحدد أسلاف الإمام الماتريدي فى مناهجه العلمية أو ذلك المعين الذى يستقي منه أصول منهجه وقواعده، أو طريقة فهمه للنصوص وتقريرها أصولا وفروعا، بمدرسة إسلامية أصيلة الجذور، يانعة الثمرات، تميزت بأصول للفهم وقواعد للاستنباط، إنها مدرسة (أهل الرأي) الممتدة الجذور، والتى ظهرت فى أكبر وأوضح تجل لها فى (مدرسة الأحناف).

والإمام الماتريدي هو واسطة عقد هذه المدرسة بما وراء النهر ووريثها الذي تجمعت لديه رؤى وقواعد تلك المدرسة فى بابي الأصول والفروع والسلوك جميعا، فقرر مسائلها وحرر قواعدها، وزاد من فهمه عليها بما من الله عليه وبما فتح له من مغاليق، دون خروج منه عما أصلوه أو نكران لما حرروه، فكَوَّن مدرسة أصيلة بدياره امتدت آثارها بعد ذلك إلى أرجاء العالم الإسلامي، خدمت العلوم الإسلامية فى كافة مناحيها وفروعها، وما زال لها أتباع وأشياع إلى يوم الناس هذا.

وهنا تقرير ما ذكرته أعلاه، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الإمام الأعظم: أسلافه، وورثة علمه.

المبحث الثاني: ظهور هذه الوراثة فى تفسير الإمام الماتريدي.

المبحث الثالث: هل كان الإمام الماتريدي من الكلابية أو الأشعرية؟

***

المبحث الأول

الإمام الأعظم: أسلافه وورثة علمه

المطلب الأولى
مدرسة الإمام الأعظم وأسلافه

مدرسة الأحناف فنن من أفنان دوحة أهل الرأى السامقة، استقامة نهج ونصاعة فكر وذوق نظر، فهى امتدادها فى الفقه وأصوله، والاعتقاد ومسائله. فإنه «إذا كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله تخرج على حماد بن أبي سليمان (ت: ١٢٠هـ)[1] مع الأخذ عن الآخرين، وحماد هذا تفقه على إبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ)[2] إلى جانب التلقي عن غيره أيضًا، وأكبر

---

(١) هو «حماد بن أبي سليمان مسلم الكوفي، العلامة، الإمام، فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي، مولى الأشعريين، أصله من أصبهان. روى عن: أنس بن مالك. وتفقه: بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه وأفقههم، وأقيسهم، وأبصرهم بالمناظرة والرأي. وحدث أيضًا عن: أبي وائل، وزيد بن وهب، وسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وجماعة. وليس هو بالمكثر من الرواية؛ لأنه مات قبل أوان الرواية. وأكبر شيخ له: أنس بن مالك، فهو في عداد صغار التابعين. روى عنه: تلميذه؛ الإمام أبو حنيفة، وابنه؛ إسماعيل بن حماد، والحكم بن عتيبة – وهو أكبر منه – والأعمش، وزيد بن أبي أنيسة، ومغيرة، وهشام الدستوائي، ومحمد بن أبان الجعفي، وحمزة الزيات، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وأبو بكر النهشلي، وخلق. وكان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحشمة وتجمل»أ.هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ٥/ ٢٣١، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م

(٢) قال الذهبي (السير ٤/ ٥٢٠) هو: «إبراهيم النخعي أبو عمران بن يزيد بن قيس، الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام. وهو ابن مليكة؛ أخت الأسود بن يزيد. روى عن: خاله، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، وأبي زرعة البجلي، وخيثمة بن عبد الرحمن، والربيع بن خثيم، وأبي الشعثاء المحاربي، وسالم ابن منجاب، وسويد بن غفلة، والقاضي شريح، وشريح بن أرطاة، وأبي معمر عبد الله بن سخبرة، وعبيد بن نضيلة، وعمارة بن عمير، وأبي عبيدة بن عبد الله، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخاله؛ عبد الرحمن بن يزيد، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين. ولم نجد له سماعا من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة»أ.هـ.

شيوخ إبراهيم الذين أكثر عنهم علقمة بن قيس النخعي (ت: ٦٢هـ)(١) وارث علم عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢هـ)، وأبطن الناس به وأشبههم بهديه فإن ذلك يعنى أن المعين الرئيس لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله هو فقه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومروياته، فمنه تبدأ جذور مذهبه وإليه تعود أصوله. ولا يخفى أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تلقى إلى جانب ذلك بهذا السند (حماد عن إبراهيم عن علقمة) وأسانيد أخرى علم آخرين من فقهاء الصحابة أيضًا، وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم»(٢).

تلقى الإمام علم هؤلاء الصحابة الأجلاء عن طريق شيخه حماد عن إبراهيم كما جاء فيما رواه الصيمري والخطيب البغدادي بسنديهما عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله قال: «دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال: يا أبا حنيفة، عمن أخذت العلم؟ قلت: عن حماد عن إبراهيم عن أصحاب عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس»(٣).

فهؤلاء هم أئمة أهل الرأي من الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) قال الذهبي (السير٤/ ٥٣) هو: «علقمة بن قيس بن عبد الله أبو شبل النخعي، فقيه الكوفة، وعالمها، ومقرئها، الإمام، الحافظ، المجود، المجتهد الكبير، أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل.. عم الأسود بن يزيد، وأخيه عبد الرحمن، وخال فقيه العراق إبراهيم النخعي. ولد: في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجهاد، ونزل الكوفة، ولازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته. حدث عن: عمر، وعثمان، وعلي، وسلمان، وأبي الدرداء، وخالد بن الوليد، وحذيفة، وخباب، وعائشة، وسعد، وعمار، وأبي مسعود البدري، وأبي موسى، ومعقل بن سنان، وسلمة بن يزيد الجعفي، وشريح بن أرطاة، وقيس بن مروان، وطائفة سواهم. وجود القرآن على: ابن مسعود. تلا عليه: يحيى بن وثاب، وعبيد بن نضيلة، وأبو إسحاق السبيعي. وتفقه به أئمة: كإبراهيم، والشعبي. وتصدى للإمامة والفتيا بعد علي، وابن مسعود. وكان يشبه بابن مسعود في هديه ودله وسمته. وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون»أ.هـ

(٢) المذهب الحنفي مراحله وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته، تأليف: أحمد بن محمد النقيب، ١/ ٨٧، مكتبة الرشد، الرياض، دون طبعة ولا تاريخ.

(٣) أخبار أبي حنيفة، الصيمري ص ٥٨، ٥٩، وينظر: المذهب الحنفى مراحله وطبقاته ١/ ٨٩، مصدر سابق.

تنتسب مدرسة الأحناف إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ)، حيث استقرت علوم أو مذاهب (أهل الرأى) عند أبي حنيفة، كما قرره ابن خلدون في قوله: «وأما أهل العراق فإمامهم الذى استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومقامه فى الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصا مالك والشافعى»(١).

والتعبير بالمذاهب جمعا يشمل: الأصول والفروع، وهو ما أكده غير واحد من الأئمة، يقول أبو العسر البزدوي (ت: ٤٨٢هـ)(٢) في (كنز الوصول إلى معرفة الأصول):

«العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرايع والأحكام، والأصل في **النوع الأول** هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا وكان على ذلك سلفنا أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد وعامة أصحابهم رحمهم الله، وقد صنف أبو حنيفة رضي الله عنه في ذلك كتاب (الفقه الأكبر) وذكر فيه إثبات الصفات، وإثبات تقدير الخير والشر من الله، وأن ذلك كله بمشيئته، وأثبت الاستطاعة مع الفعل، وأن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى إياها كلها، ورد القول بالأصلح، وصنف كتاب (العالم والمتعلم) وكتاب (الرسالة) وقال فيه لا يكفر أحد بذنب ولا يخرج به من الإيمان ويترحم له، وكان في علم الأصول إماما صادقا وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر(٣)، وصح هذا القول عن محمد رحمه الله. ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في (المبسوط) وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء، وأنهم قالوا بحقية رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الآخرة، وبحقية

---

(١) المقدمة، ص٤٩٦، ط التوفيقية.

(٢) أبو العسر، وأبو اليسر: أخوان من فقهاء الحنفية! فأبو العسر البزدوي: هو علي بن محمد بن عبدالكريم بن موسى البزدوي، ويكنى بأبي العسر، لأن تصانيفه دقيقة متعسرة الفهم على كثير من الناس، توفي سنة ٤٨٢ هـ. وأما أبو اليسر البزدوي: فهو محمد بن محمد بن عبدالكريم بن موسى بن صدر الإسلام البزدوي، يكنى بأبي اليسر ليسر تصانيفه، توفي سنة ٤٩٣ هـ.[ترجمة الأخوين على الترتيب في: الفوائد البهية، اللكنوي، ص١٢٤ ثم ص١٨٨].

(٣) [قال شيخنا]: يعنى بالقرآن خصوص الصفة القائمة به تعالى لا الألفاظ المكتوبة فى اللوح المحفوظ وغيره المنطوقة بالألسنة.

عذاب القبر لمن شاء، وحقية خلق الجنة والنار اليوم، حتى قال أبو حنيفة لجهم: اخرج عني يا كافر، وقالوا بحقية سائر أحكام الآخرة على ما نطق به الكتاب والسنة»[1].

ويعد الإمام الأعظم هو أول متكلمي الفقهاء كما يقول عبد القاهر، وإن لم يكن أول متكلم فى الأمة! فالإمام وريث منهج السلف فى الدفاع عن العقيدة والمنافحة عنها وعدم التحرج من المناظرة والجدال فى القضايا المختلفة التى تتعلق بالعقيدة أو التى يتمسك بها المشتبهون[2].

والدراسون لتاريخ علم الكلام والفرق مجمعون على أن الإمام الأعظم قد اشتغل بعلم الكلام شطرا من حياته قبل أن يتفرغ للفقه ومسائله فى بيئة العراق، حيث مزدحم الفرق والأديان، وناظر سنين[3]. يقول المكي: «قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (كنت رجلا أعطيت جدلا فى الكلام، فمضى دهر فيه أتردد، وبه أخاصم وعنه أناضل، وكان أصحاب الخصومات والجدل أكثرهم بالبصرة، فدخلت البصرة نيفا وعشرين مرة)»[4].

---

(١) كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلى بن محمد البزدوي (ت٤٨٢هـ) مع كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (ت٧٣٠هـ)، ت: عبد الله محمود عمر، ١/ ١٥ فما بعدها باختصار، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

(٢) يقول عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق، ص٣٦٧): «فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة، فأول متكلميهم من الصحابة على بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج فى مسائل الوعد والوعيد، وناظر القدرية فى المشيئة والاستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنه حيث تبرأ من معبد الجهنى فى نفيه القدر، وأول متكلمى أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة فى الرد على القدرية، ثم الحسن البصرى ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم القدرية معروف، ثم الشعبي وكان أشد الناس فى القدرية، ثم الزهرى وهو الذى أفتى عبد الملك بدماء القدرية. ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب فى الرد على القدرية وكتاب فى الرد على الخوارج ورسالة فى الرد على الغلاة من الروافض. وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة والشافعى فإن أبا حنيفة له كتاب فى الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر وله رسالة أملاها فى نصرة قول أهل السنة أن الاستطاعة مع الفعل، ولكنه قال إنها تصلح للضدين وعلى هذا قوم من أصحابنا، وللشافعي كتابان فى الكلام..»أ.هـ.

(٣) ينظر: أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين محمد عبد اللطيف، ص٢١ فما بعدها، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام ١٩٩٩، وأبو حنيفة لأبي زهرة، ص١٦٤.

(٤) مناقب أبي حنيفة، موفق المكى ص ٥٤ ط دار الكتاب العربي.

ويقول ابن النديم: «وله من الكتب كتاب (الفقه الأكبر)، وكتاب (رسالة إلى البستى)، وكتاب (العالم والمتعلم) رواه عنه مقاتل، وكتاب (الرد على القدرية)، والعلم برًّا وبحرًا، وشرقًا وغربًا، بُعدا وقربًا تدوينه رضي الله عنه»[1].

ويقول أبو اليسر البزدوى (ت: ٤٩٣هـ) فى مقدمة كتابه (أصول الدين): «وأبو حنيفة رحمة الله عليه تعلم هذا العلم وكان يناظر فيه مع المعتزلة ومع جميع أهل البدع، وكان يعلم أصحابه فى الابتداء، وقد صنف فيها كتبا وقع بعضها إلينا، وعامتها محاها وغسلها أهل البدع والزيغ، ومما وقع إلينا كتاب (العالم والمتعلم) وكتاب (الفقه الأكبر)، وقد نص فى كتاب (العالم والمتعلم) أنه لا بأس بتعلم هذا العلم... ونحن نتبع أبا حنيفة فإنه إمامنا وقدوتنا فى الأصول والفروع»[2].

ويقول الإمام كمال الدين البياضي الحنفى[3] فى أول (الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة) الذى قام فيه بجمع مسائل الاعتقاد المنسوبة إلى الإمام الاعظم وشرحها وفقا لتقريرات الماتريدي والماتريدية: «فهذا ما سئلت جمعه وترتيبه وتهذيبه عن المكررات وتقريبه من الأصول المنيفة للامام أبي حنيفة، جمعتها من نصوص كتبه التى أملاها على أصحابه من (الفقه الأكبر) و(الرسالة) و(الفقه الأبسط) وكتاب (العالم) و(الوصية) برواية الأئمة حماد بن أبي حنيفة، وأبي يوسف الأنصاري، وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي»[4].

***

---

(١) الفهرست، ابن النديم ص ٢٥٦، تحقيق رضا تجدد، ط. طهران.

(٢) أصول الدين، البزدوي، ص١٥، ١٦ باختصار.

(٣) هو «العلامة كمال الدين أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضي الرومي الحنفي قاضي العسكر واحد صدور الدولة العثمانية من اجلاء علماء الروم»أ.ه. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت: ١١١١هـ)، ١: ١٨١، دار صادر – بيروت.

(٤) الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، ص٧، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث.

المطلب الثاني

الإمام الماتريدي وريثا لمنهج الإمام الأعظم

أولًا: فى الفقه الأكبر:

إن أصحاب أبي حنيفة الذين تابعوا طريقته فى الكلام مع الاشتغال بالفقه قد استفادوا من هذه الرسائل التى ألفها وفرعوا عليها، إلى أن جاء الإمام الماتريدي الذي روى عن الطّبقة الثانية، أعني: نصير بن يحيى، ومحمّد بن مقاتل الرازي، وحقّق تلك الأُصول في كتبه بقواطع الأدلّة، وأتقن التّفاريع بلوامع البراهين اليقينيّة.

كما فعل ذلك صنوه الحنفي ومعاصره الإمام أبو الطحاوي المصري، يقول الطحاوي فى أول عقيدته المشهورة: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين»[1].

وعقيدة الإمامين الماتريدي السمرقندي، والطحاوي المصرى متفقة؛ لأن المنهج الذى اعتمدا عليه واحد، والمصدر الذي استقيا منه واحد، حتى إن أكثر شراح العقيدة الطحاوية يقرن مسائلها وفقا لما فرعه الماتريدي وقرره[2].

فليس الأحناف متابعين للماتريدي فى العقائد بقدر ما يكون الماتريدي وأصحابه هم

(١) متن العقيدة الطحاوية، ص٣.

(٢) وعقيدة الطحاوي تلقتها الأمة بالقبول، حتى قال فيها تاج الدين السبكي (معيد النعم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ) تحقيق محمد على النجار وآخرون، ص٢٢، ٢٣، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٣م): «وهذه المذاهب الأربعة - ولله الحمد - في العقائد يد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم. وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي، التي تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول»أ.هـ.

الآخذون عن أبي حنيفة مع تفريع وزيادة بيان على ما أصله الإمام، وهو ما عبر عنه ابن حجر فى الفتح حين نسب الماتريدي إلى الحنفية فى مسألة كلامية فيقول: «وقالت الكلابية: الكلام صفة واحدة قديمة العين لازمة لذات الله كالحياة وإنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته وتكليمه لمن كلمه إنما هو خلق إدراك له يسمع به الكلام ونداؤه لموسى لم يزل لكنه أسمعه ذلك النداء حين ناجاه ويحكى عن أبي منصور الماتريدي من الحنفية نحوه لكن قال: خلق صوتا حين ناداه فأسمعه كلامه»[1].

وهو ما لاحظه المقريزى أيضًا، حيث يقول: «هذا وبين الأشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدوا الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرميّ، ومحمد بن الحسن الشيبانيّ رضي الله عنهم، من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه»[2].

فالماتريدي تلقى الأصول عن الإمام الاعظم بواسطة مشايخه ثم فرع عليها فنُسب الأحناف إليه بعد ذلك، فعلماء العقائد يسمونهم: الأحناف، بملاحظة المنبع والمصدر، ويسمونهم: الماتريدية، بملاحظة التقرير والتفريع.

وقال العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، وهم ينسبونه إلى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري، حتى قالوا: إن قول أبي جعفر الطحاوي (له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق) إشارة الى هذا وفسروه بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود»[3].

ويقول أبو اليسر البزدوى متحدثا عن صفة التكوين وأن التكوين غير المكوَّن والإيجاد غير الموجود: «وقد ذكر هذه المسألة الشيخ أبو منصور الماتريدي مع المعتزلة، وصحح هذا

(١) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ١٣/ ٤٥٥، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن على المقريزي، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ٣/ ٤٢٦، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٨م.

(٣) شرح المقاصد فى علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، ٤/ ١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.

المذهب الذى عليه أهل السنة والجماعة، أن الإيجاد غير الموجود، وأن الإيجاد ليس بحادث بل هو أزلى، وهو أقدم من الأشعرى ومذهب أبي حنيفة وأصحابه هذا هو»[1].

والنسفى فى تبصرة الأدلة يعرض قول من يقول إن لله مائية[2] لا يعلمها إلا هو، فيقول: «إن هذه الرواية عن أبي حنيفة غير صحيحة لم يروها عنه أحد من أصحابه الناقلين لعلمه العارفين بحقائق مذاهبه ولا ذكر فى كتاب من كتبه. والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى مع كونه من أعرف الناس بمذاهب أبي حنيفة لم يَنْسِب هذا القول إليه، لا فى كتاب (التوحيد) ولا فى كتاب (المقالات) وإن كان اشتغل ببيان مراد من قال بهذه المقالة»[3].

فمذهب الإمام معلوم لأصحابه وهم حريصون على التزامه.

ويقول أبو المعين فى معرض تأييده لصفة التكوين فى (تبصرة الأدلة): «أما ما زعموا أن هذا قول حادث لا أصل له فى السلف ولا قائل به من الأئمة فقول باطل صدر عن جهل بمذاهب السلف.. ثم إن أئمة أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى السالكين طريقته فى الفروع والأصول الناكبين عن الاعتزال فى جميع ديار ما وراء النهر وخراسان من مرو وبلخ وغيرهما فى قديم الزمان كانوا على هذا المذهب، وأئمتنا بسمرقند الجامعون بين علم الأصول والفروع الذابون عن حريم الدين المناضلون عنه، الذين طهر الله تعالى - بسبب غزارة علومهم وتبحرهم فى علم الكلام وصلابتهم فى الدين وتشددهم على أهل البدع والضلال - هذه الديار عن أوضار أهل الزيغ والبدع عامة كانوا على هذا الرأى.. ولو لم يكن فيهم - أى المعتقدين هذا الرأى- إلا الإمام أبومنصور الماتريدي رحمه الله الذى غاص فى بحور العلوم فاستخرج دررها، وأتى حجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه وجودة قريحته غررها.. لكان كافيًا»[4].

(١) أصول الدين، أبو اليسر البزدوى، تحقيق: هانز بيتر لنس، ص ٧٧.

(٢) [قال شيخنا]: المقصود منها الماهية حيث يقال (ماهو) فإن وقعت النسبة لـ(ما) الاستفهامية قيل (مائية)، وإن وقعت النسبة إلى (هو) المسؤول عنه قيل (ماهية).

(٣) تبصرة الأدلة ص ٢١٠ ومن نسب هذه المقالة لأبي حنيفة هو أبو القاسم الكعبى وسفيان بن سختان وهما من متكلمى الحنفية، ينظر: التبصرة، ص ٢٠٩ و٢١٠.

(٤) تبصرة الأدلة، ابو المعين النسفى، تحقيق د. حسين اتاى، باختصار ١/ ٤٦٨، ٤٧٣.

وسار على هذا التقرير عدد من المعاصرين:

فالطاهر بن عاشور فى تفسيره فى سورة الشورى عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] يؤكد أن الإمام الماتريدي تابع فى الأصول لأبي حنيفة وذلك عند عرضه لصفة الكلام إذ يقول: «وأما أبو منصور الماتريدي فنَقَل الفخر عنه كلامًا مزيجًا من كلام الأشعري وكلام المعتزلة، والبعضُ نَقَل عنه مثلَ قول السلف. وسبب اختلاف النقل عنه هو أن الماتريدي تابع في أصول الدّين أبَا حنيفة. وقد اضطرب أتباعه في فهم عبارته الواقعة في العقيدة المنسوبة إليه المسماة: الفقه الأكبر إن صحّ عزوُها إليه؛ إذ كانت عبارةً يلوح عليها التضارب ولعله مقصود. وتأويلها بما يوافق كلام الأشعري هو التحقيق»[1].

ويقول النشار متحدثا عن الإمام الأعظم: «أما عن أثره الكلامى فقد أثر أكبر التأثير فى إمام الهدى أبي منصور الماتريدي المتوفى عام (٣٣٣هـ- ٩٤٤م) كما أثر فى الإمام أبي جعفر الطحاوى صاحب عقيدة الطحاوى المشهورة»[2].

وبعد، فإن مذهب الأحناف إذا كان قد استقر فى أصول الفقه على آراء مدرسة العراق «المعتزلية عقيدة»، فإن مدرسة سمرقند هى التى استقرت عليها آراؤهم فى أصول العقائد «السنية عقيدة»، يقول أبو بكر بن العربي: «وما رئي قط بخراسان، ولا بالعراق حنفي إلا معتزليا أو كراميا خلا ما وراء النهر ببلخ إلى منقطع المعمور سنية على أوفى طريق فى الحق»[3].

- شبهة وردها:

فإن قيل: إن الإمام الماتريدي منتسب للإمام أبي حنيفة كانتساب من انتسب له من المعتزلة، مثل: بشر المريسي (ت: ٢٢٨هـ)، وتلميذه محمد بن شجاع البلخي (ت: ٢٦٦هـ)،

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ٢٥/ ٢٠٠، ٢٠١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١/ ٢٧٠، ط. دار السلام.

(٣) العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: عمار الطالبي، ص٢١٢، ٢١٣، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، سنة ١٩٩٢م.

وابن أبي داوود (ت: ٢٤٠هـ)، والجبائيان: أبو على (ت: ٣٠٣هـ)، وأبو هاشم (ت: ٣٢١هـ) وغيرهم، فلِمَ خصصنا الماتريدي بأبي حنيفة وجعلناه وحده وريثا لمنهجه دون سواه؟[1].

أقول: نعم إن مجرد ادعاء الانتساب للإمام أبي حنيفة لا يعد دليلا على صحة هذا الانتساب، والذى جعل العلماء قديما وحديثا يقررون أن الإمام الماتريدي هو وريث منهج الإمام الأعظم، دون من يدعي هذه النسبة من المعتزلة: أمور، أستطيع تلخيصها في نقاط، منها:

١ - اشتغال الإمام الأعظم بعلم الكلام، فضلا عما ألفه فيه من كتب:

فإنه إذا ثبت أن للإمام آراء فى علم العقائد أو الفقه الأكبر - كما أسماه - فإن جَعْل آرائه هذه معيارا للانتساب يصبح سهلا، يقول صاحب مفتاح السعادة:

«إن الامام أبا حنيفة رحمه الله نفسه قد تكلم فى علم الكلام، مثل كتاب (الفقه الأكبر) وكتاب (العالم والمتعلم)، إذ صرح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام، وما قيل إنهما ليسا له، بل لأبي حنيفة البخاري فمن اختراعات المعتزلة؛ زعما منهم أن أبا حنيفة على مذهبهم. وقد ذكر العلامة حافظ الدين البزازي فى كتابه (مناقب أبي حنيفة): «إني رأيت بخط العلامة مولانا شمس الدين الكروري البراتقيني العمادي هذين الكتابين وكتب فيهما أنهما لأبي حنيفة، وقد تواطأ أيضًا على ذلك جماعة كثيرة من المشايخ مثل فخر الإسلام البزدوي ذكرهما فى (أصوله)،

(١) ينظر في ترداد هذه الشبهة: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص٥٧٥ فما بعدها، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٦م.
ومما هو جدير بالملاحظة أن المؤلف الفاضل قد استقى آراء الإمام الأعظم من كتاب العقيدة الطحاوية -بفهمه هو أو بفهم ابن أبي العز الحنفي حصرا دون غيره من الأحناف!- ثم إنه يعمد إلى ما يوافق هذا الفهم فى الكتب التى تنسب للإمام، وما يسمي (الأصول المسندة) من كتب العقائد - وهى كتب فى الأحاديث والآثار روت القول والقولين عن أئمة السلف - فينقل منها ما يؤكد فهمه وفهم ابن أبي العز!، فإذا وجد ما يخالف هذا الفهم لديه أو لدى ابن ابي العز الحنفي أو ما فى كتب الآثار هذه، رده لتعارضه مع العقيدة الطحاوية، كما يقول!! وبناء عليه قرر أن الماتريدية الذين هم أتباع أبي حنيفة على الحقيقة ليسوا على عقيدة الإمام الأعظم! وهو منهج عجيب فى البحث، شبيه بمن يدخل إلى البحث بمقرر فكري مسبق يريد إيجاد ما يوافقه!

ومثل عبد العزيز البخاري ذكرهما فى (شرح أصول فخر الإسلام) ثم قال حافظ الدين البزازي: والحاصل أن الإمام بين العلماء مثل إبراهيم بين الأنبياء عليهم السلام؛ لأن كل ملة تدعي أن الخليل كان على ذلك الدين، قال الله تعالى: ﴿ مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ كذلك ما كان الإمام معتزليا ولا قدريا، وإنما كان سنيا حنيفيا ومتبعوه كانوا حنيفيين. هذا كلامه»[1].

٢ - الموازنة بين آراء الإمام فى كتبه وما انتهى إليه الماتريدي:

الإمام الماتريدي هو من حقق الأصول التى أصلها الإمام أبو حنيفة وفرع عليها، وفى هذا يقول البياضي فى (إشارات المرام) متحدثا عن الماتريدي: «وحقق الأصول في كتبه بقواطع الأدلة، وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية»[2].

وقد عبر عن هذا العلامة محمد زاهد الكوثري فقال: «إلى أن جاء إمام أهل السنة فيما وراء النهر أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد الماتريدي المعروف بإمام الهدى، فتفرغ لتحقيق مسائلها وتدقيق دلائلها، فأرضى بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد»[3].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «ولقد قرر الكثير من علماء الحنفية أن النتائج التى وصل إليها - أي الماتريدي- تتفق تمام الاتفاق مع ما قرره أبو حنيفة رضي الله عنه فى العقائد»[4].

كما يقول: «وقد تبين من الموازنات العلمية بين هذه الآراء التى أُثِرَت عن الإمام أبي حنيفة شيخ فقهاء العراق والآراء التى قررها أبو منصور الماتريدي فى كتبه أنها متلاقية فى جملة أصولها، ولذلك قرر العلماء أن آراء أبي حنيفة فى العقائد هى الأصل الذى تفرعت منه آراء الماتريدي، وإذا كان علماء العراق ومن قاربهم قد عنوا بالتفريع على آراء أبي حنيفة الفقهية ولم يعنوا بدراسة آرائه فى العقيدة، اكتفاء بما نشر بينهم من آراء الفقهاء والمحدثين أولًا ثم الأشاعرة آخرا، فإن علماء ما وراء النهر كانت لهم العناية بالتفريع الفقهي وعناية

(١) مفتاح السعادة ٢/ ١٤١.
(٢) إشارات المرام، ص٢٣.
(٣) إشارات المرام، ص٦، ٧.
(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٦٤.

خاصة بدراسة آراء أبي حنيفة فى العقيدة والتعليق عليها وتوضيحها وتأييدها بالأدلة العقلية والأقيسة المنطقية»[1].

٣- أئمة المذهب لم يميلوا لشيئ من الاعتزال:

إن حملة هذا المذهب وأئمته منذ أسسه الإمام وإلى يوم الناس هذا كانوا فى الأغلب على مذهب أهل السنة، وأما من لحق منهم بالاعتزال فإنهم قد نقموا عليه، وكانوا أول الرادين عليه، يقول الإمام على بن محمد البزدوي: «**ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا فى (المبسوط) وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيئ من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء**»[2].

إن القول بانتساب المعتزلة إلى الإمام الأعظم يقوله من لا يفرق بين قول المعتزلة وقول من يرد عليهم، وأقل ما يقال فيه: إنه من الاغترار بكلام المدعين الذي حذر منه الإمام الاسفراييني، حيث يقول: «وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض[3] مقلدا فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترا به، **فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه**، فإن أبا حنيفة برئ منهم ومما نسبوه إليه، والله تعالى يعصم أهل السنة والجماعة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلالة»[4].

٤ - اتصال علم الماتريدي بالإمام الأعظم:

إن اتصال سند الماتريدي بالإمام الأعظم لهو من أكبر الأدلة على صحة هذا الانتساب[5]،

(١) السابق، ص١٥٦ و١٦٦.

(٢) الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن على بن حجاج السغناقى (ت٧١٤هـ)، تحقيق ودراسة: فخر الدين سيد محمد قانت، ١/ ١٥٠ فما بعدها، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

(٣) القدرية: هم المعتزلة، سموا بذلك لإنكارهم القدر وقولهم إن الإنسان هو خالق أفعاله الاختيارية، أما الروافض فهم الذين رفضوا إمامة الشيخين وكفروهما، وهم الشيعة الإثنا عشرية، وسيأتي تفصيل بشأنهما.

(٤) التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، ت: كمال الحوت، ص١٨٥، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ. ومثله فى اشارات المرام، ص٢٣.

(٥) فمثلا كتاب (العالم والمتعلم) يرويه الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن محمد بن مقاتل الرازي عن أبي مقاتل عن أبي حنيفة، وقد نقل العلامة الكوثري أسانيد الكتب المرويّة عن أبي حنيفة عن النسخ الخطّيّة الموجودة =

قال الزبيدي فى الإتحاف: «فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحي فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان بن موسي الجوزجاني، وهو على الإمامين أبي يوسف (ت١٨٢هـ) ومحمد بن الحسن (١٨٩هـ)، وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحيى أيضًا على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي (١٩٩هـ) وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي (ت٢٠٨هـ)، وأخذ محمد بن مقاتل أيضًا عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ)»[1].

ويقول البياضى فى (إشارات المرام): «وقد رواها - يعنى رسائل أبي حنيفة الخمسة فى علم الكلام: (الفقه الأكبر)، و(الأبسط)، و(الرسالة)، و(العالم والمتعلم)، و(الوصية) - الإمام أبومنصور الماتريدى عن الإمامين أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجانى، وأبي نصر أحمد بن العياضى عن أبي سليمان موسى الجوزجانى عن الإمامين أبي يوسف ومحمد، وروى

= في دار الكتب المصرية وغيرها، وفيها مشايخ الماتريدي، قال فى تقديم (إشارات المرام): «ومن الكتب المتوارثة عن أبي حنيفة، كتاب (الفقه الأكبر) رواية عليّ بن أحمد الفارسي، عن نصير بن يحيى، عن أبي مقاتل حفص بن سالم، وعن عصام بن يوسف، عن حمّاد بن أبي حنيفة، عن أبيه، وتمام السند في النسخة المحفوظة ضمن المجموعة الرقم (٢٢٦) بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنوّرة ونصير بن يحيى أحد مشايخ الماتريدي.ومن هذه الكتب (الفقه الأبسط) رواية أبي زكريا يحيى بن مطرف بطريق نصير بن يحيى عن أبي مطيع، عن أبي حنيفة، وتمام السند في المجموعتين (٢٤ و٢١٥ م) بدار الكتب المصريّة. ومنها: (العالم والمتعلّم) رواية أبي الفضل أحمد بن علي البيكندي الحافظ، عن حاتم بن عقيل، عن الفتح بن أبي علوان، ومحمّد بن يزيد، عن الحسن بن صالح، عن أبي مقاتل حفص بن سالم السمرقندي، عن أبي حنيفة، ويرويه أبو منصور الماتريدي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني عن محمد بن مقاتل الرازي، عن أبي مقاتل، عنه، وتمام الأسانيد في مناقب الموفّق والتّأنيب (٧٣ و٨٥). ومن تلك الرسائل (رسالة أبي حنيفة إلى البتّي)، رواية نصير ابن يحيى، عن محمّد بن مقاتل الرازي، عن أبي مقاتل، عنه، وتمام الأسانيد في مناقب الموفق والتّأنيب (٧٣ و٨٥). ومن تلك الرسائل (رسالة أبي حنيفة إلى البتّي) رواية نصير بن يحيى، عن محمّد بن سماعة، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، وبهذا السند رواية (الوصيّة) أيضًا، وتمام الأسانيد في نسخ دار الكتب المصرية» أ.هـ.
ثم قال: «فبنور تلك الرسائل سعى أصحاب أبي حنيفة وأصحاب أصحابه في إبانة الحقّ في المعتقد.. إلى أن جاء إمام السنّة في ماوراء النهر، أبو منصور محمّد بن محمّد الماتريدي المعروف بـ(إمام الهدى) فتفرّغ لتحقيق مسائلها، وتدقيق دلائلها، فأرضى بمؤلّفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد» أ.هـ. ثمّ ذكر مؤلفاته.

(١) إتحاف السادة: ٢/ ٥.

عن الإمامين نصير بن يحيى، ومحمد بن مقاتل الرازى عن أبي مطيع وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي عن إمام الإئمة، وحقق -يعنى الماتريدى- تلك الأصول فى كتبه بقواطع الأدلة وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية، فليس الماتريدى من أتباع الإمام الأشعرى، لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظُنّ، وما قيل: إن معظم خلافه من الخلافيات اللفظية وَهْمٌ، بل معنوى، لكنه فى التفاريع التى لا يجرى فى خلافها تبديع، ولأن الماتريدى مفصل لمذهب الإمام وأصحابه المُظْهِرين قبل الأشعرى لمذهب أهل السنة، فلم يخل زمان من القائمين بنصرة الدين»[1].

فدور الإمام الماتريدى كما رأينا هو أنه المفصل لمذهب الإمام أبي حنيفة، والمقرر له، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «وإن الماتريدي لا يتركنا نتحرى ونبحث فى مقدار الصلة بين آرائه وآراء أبي حنيفة، بل إنه يصرح بروايته لكتب أبي حنيفة: (الفقه الأبسط) و(رسالته إلى البتى) و(العالم والمتعلم) و(وصيته ليوسف بن خالد) فيذكر أنه روى هذه الكتب عن شيخه أبي نصر أحمد بن أحمد بن العباس وأحمد بن اسحاق الجوزجاني، ونصر بن يحي البلخي وهؤلاء رووا عن أبي سليمان موسي الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني، وهذا روى عن شيخه محمد رضي الله عنه. ويقول صاحب (إشارات المرام) فى ختام هذا الإسناد: وحقق الماتريدي تلك الأصول فى كتبه بقواطع الأدلة وأتقن التفاريع بلوامع البراهين اليقينية»[2].

أخيرًا: فإنه إذا كان للإمام آراء منقولة فى الكلام والعقائد، وإذا كانت كتب الإمام وآراؤه موافقة لما ذهب إليه الماتريدي، وإذا كان الإمام الماتريدي يروى هذه الكتب ويرجع إليها، وإذا كان حملة المذهب فى الأغلب لم يميلوا لشيء من الاعتزال، فهل يصح بعد ذلك الارتكان لهذه الشبهة؟!

وهذه خارطة توضح اتصال أسانيد الإمام الماتريدي عن طريق مشايخه بالإمام الأعظم رضي الله عنهم أجمعين.

(١) إشارات المرام، ص٢٣. باختصار.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١٥٦ و١٦٦.

الإمام أبو حنيفة (١٥٠ هـ)

محمد بن الحسن (ت ١٨٢ هـ)

أبو يوسف (١٨٩ هـ)

أبو مطيع البلخي (ت ١٩٩ هـ)

أبو مقاتل حفص ابن سليمان (ت ٢٠٨ هـ)

أبو سليمان الجوزجاني (ت بعد ٢٠٠ هـ)

محمد بن مقاتل الرازي (ت ٢٤٢ هـ)

أبو بكر الجوزجاني (ت ؟ هـ)

أبو نصر العياض (ت ؟ هـ)

نصر بن يحيي البلخي (ت ٢٦٨ هـ)

الإمام الماتريدي (٣٣٣ هـ)

ـ منبع هذه الشبهة:

إنني لا أرى فى ركون البعض إلى هذه الشبهة التى قادت إلى حملة على الإمام الماتريدي؛ إرادة سلبه من أسلافه الأحناف الذين أجمعت الأمة على فضلهم وعلمهم إلا جزء من الحملة القديمة على أهل الرأي يرددها البعض وينخرط فيها دون سند أو تحقيق.

فأهل الحديث كانوا «يرون العلم كل العلم رواية الحديث سندا ومتنا لا بحثا وفقها، ويرون إعمال الرأي في فهم الأثر خروجا عليه، فإذا بلغهم عن فقيه أنه تكلم فى مسألة باحثا مجتهدا أو عن متكلم في صفة من صفات الله تعالى قولا، أو عن مُذَكِّر تحدث عن حال النفس كاشفا منقبا، أو عن مُحَدِّث روى شعرا، ثارت لذلك حفيظتهم، ونقموا عليه ما صنع»[1].

وقد فهم الشافعي هذه الطبيعة فيهم فقد جاء عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: «قرأ عليَّ الشافعي أشعار هذيل حفظا، ثم قال لى: لا تُعْلم بهذا أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا»[2].

(١) حاشية الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل للعلامة أبو الحسنات اللكنوي، العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، ص٨٧، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم على بن الحسن ابن عساكر، =

كما فهم ذلك فيهم الإمام الشعبي الذى قال: «والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة، وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة وتركوا التسعة والتسعين»[1].

لذلك فإنهم تكلموا فى بعض الأفاضل كالحارث المحاسبي الذى قال بشأنه الإمام الذهبي: «المحاسبي العارف صاحب التآليف، صدوق فى نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه»[2] ولعل هذه النقمة التى تحدث عنها الذهبي هى ما فعله الإمام أحمد فقد جاء فى تاريخ بغداد أن «أبا القاسم النصر آباذي يقول: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفي في دار ببغداد، ومات فيها ولم يصل عليه إلا أربعة نفر ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين»[3]، وهذه حكاية منقطعة كما قال الذهبى[4] إلا أن واقع الحال يؤيدها، يقول ابن حجر: «وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبي فقال لبعض أصحابه: ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل، ولا أرى لك صحبتهم»[5].

وكنا قد ذكرنا أن من شيوخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي الذى ضُعِّف؛ لأنه من أهل الرأي مع علمه وفضله وجلالته[6].

= ت: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري: ٥١/ ٢٩٨، دار الفكر، بيروت، دون رقم طبعة، ١٩٩٥م.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ٤/ ٣٢١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ. وكذا في: تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي: ١/ ٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، دون تاريخ.

(٢) ميزان الاعتدال: ١/ ١٩٩.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ٨/ ٢١٥، ط دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٤٣٠ تحقيق على البجاوى، دار المعرفة بيروت.

(٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٨/ ١١ ط دائرة المعارف النظامية.

قال ابن حجر معلقا بعد كلامه مباشرة: «قلت: إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فإنه في مقام ضيق لا يسلكه كل واحد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه»أ.هـ. ولا أراه!

(٦) ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ٧/ ٥١٨.

ولعل هذا هو السبب الذى جعل الإمام الكوثري وغيره لا يعتد بالجرح القائم على اختلاف المعتقد أو المذهب، ينظر: المقدمة التي صدر بها الدكتور محمد سالم أبو عاصي كتاب العلامة الكوثري: (فقه أهل العراق وحديثهم)، ص٩، ط.دار البصائر.

ثانيًا: فى الفقه والأصول:

إن ما ذكرناه من كون مدرسة الرأي هى المعين الأول الذى يرجع إليه عَقْد الإمام الماتريدي قد تمثل في هذه المدرسة أوضح ما يكون عند الإمام الأعظم نقرره كذلك بالقدر نفسه فى مجال الفقه والأصول. فإذا كان الإمام الماتريدي قد ارتضى أن يستقى عقيدته وأصول دينه من منهج الرأي الذي تمثل في المدرسة الحنفية؛ فإنه كذلك قد ارتضى أن يكون في أصول فقهه وأسس استنباطه حنفيا. فأسلافه هم الأحناف عقيدة وفقها، أصولًا وفروعًا.

وقد أورد الصيمرى بابا بعنوان «ما روي عن أبي حنيفة في الأصول التي بنى عليها مذهبه»[1] ذكر فيه أصول أبي حنيفة فى الفقه والتى هى بعينها أصول الماتريدي كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

إن كون الإمام الماتريدي تابع لأبي حنيفة فى الفروع أو فى الفقه وأصوله مما لا ينازع فيه أحد، لذا فلن نطيل فيه.

وأخيرًا:

فلعل في صنيع الإمام الماتريدي فى تفسيره مِن ذكره لمن يسميهم (أصحابنا) لدى عرضه لمسائل الاعتقاد وذكره لآرائهم بل واختلافه معهم أحيانا[2] ما يؤكد **ما أقوله هنا من أن هذه الفرقة لم تبدأ بالإمام الماتريدي، بل الإمام الماتريدي** ما هو إلا محقق ومفرع لما قرره أبو حنيفة كغيره من تلاميذ الإمام وأصحابه إلا أنه كان - فيما يبدو - أحدهم ذهنا وأقواهم قريحة؛ لذا بقيت أعماله ونسبوا إليه.

***

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، القاضى أبو عبد الله حسين بن على الصَّيمري، ص٢٤ فما بعدها، ط عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٢) ينظر: المائدة (٤٨-٢/ ٤٥). والصافات (٩٦-٤/ ٢٣٧). والجاثية (٢١-٤/ ٤٧٥).

المبحث الثاني

ظهور هذه الوراثة فى تفسيره

تمهيـد

مما يدل على كون مدرسة النعمـان هى معين أبي منصور: تلك العناية الفائقة التى يوليها للنقل عنهم فى مسائل العقائد والفقه على السواء، وسأذكر هنا جملة مما أورده الإمام الماتريدي فى تفسيره عن الإمام أبي حنيفة ومدرسته؛ ليكون كالدليل على ما قلناه، أوتطبيقا لما نَظَّرْناه.

* * *

المطلب الأول
في العقيدة

غالبا ما يكون نقل الإمام الماتريدي في حكاية قوله الذى تلقاه عن شيوخه دون عزو لمصدر معين، ونادرا ما يذكر مصدرا معينا ينقل منه، كما فى نقله عن كتاب (العالم والمتعلم).

أ- فأما النقل عن كتاب (العالم والمتعلم)، فقد جاء فى موطن واحد من تفسيره كله وذلك فى سورة المزمل، حيث يقول: «فإن قال قائل: إن أبا حنيفة رحمه الله ذكر **في كتاب (العالم والمتعلم)**: أن إيمان الملائكة وإيمان الرسل وإيماننا واحد، ثم قال: فإذا استوينا نحن والرسل في الإيمان، فكيف صار الثواب لهم أكمل، وخوفهم من الله أشد؟ فأجاب عن هذا السؤال بأجوبة، وقال في جملة ما أجاب: إنهم لو ارتكبوا الزلات يحل بهم العقاب عقيب الزلل؛ فصار خوفهم بالله تعالى ألزم من هذه الجهة»[1].

ب- وأما حكاية قول الإمام دون عزو إلى كتاب معين من كتبه، فهو الغالب، ومن ذلك:

١- حكاية قول أبي حنيفة في زيادة الإيمان:

وذلك في سورة الفتح حيث يقول: «ثم قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الآية: ٤]، يخرج على وجوه: **أحدها**- ما قال أبو حنيفة رحمه الله ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ بالتفسير على إيمانهم بالجملة»[2].

٢- حكاية رأي أبي حنيفة في أولاد المسلمين والمشركين:

وذلك في سورة مريم حيث يقول مستدلًا لرأيه ومؤيدًا. «وفي قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [الآية: ٢١]، استدلال لأبي حنيفة رحمه الله حين وقف في أولاد المسلمين والمشركين،

(١) المزمل: ١٠ - ٥/ ٢٩٦.

(٢) الفتح: ٤-٤/ ٥١٩.

فقال: لا علم لي بهم، ولم يقطع فيهم القول لما يجوز أن يجعل الله لهم من المعرفة والتمييز والفهم في حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومنشأهم، على ما أعطى يحيى وعيسى في حال صباهما الحكم والفهم والمعرفة»[1].

٣- حكاية الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه في: هل للجن ثواب كالإنس أو لا؟

فالإمام يرى أنه لا ثواب، وعليهم العقاب إذا عصوا، أما أبو يوسف ومحمد فيرون أن لهم ثوابًا كالإنس تمامًا، ولا يظهر للماتريدي ميل لرأي معين من هذه الآراء والذي يبدو أنه يتوقف كأبي حنيفة، ففي سورة الفرقان يذكر ما قد يكون حجة لأبي حنيفة ثم يتوقف فيقول:

«ثم قوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ جائز أن يراد به الإنس والجن. ثم ذكر النذارة فيه، ولم يذكر البشارة، فإن كان على هذا فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله أن ليس للجن ثواب إذا أطاعوا سوى النجاة من العقاب، ولهم عقاب بالإجرام، لأن الله تعالى، لم يذكر لهم الثواب في الكتاب، وذكر لهم العقاب بالعصيان حين قال: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم﴾ [الأحقاف: ١٣]، جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب أليم»[2].

وفي سورة الرحمن، عند قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الآية: ٦٠]، فيقول: «واستدل أبو يوسف ومحمد - رحمهما الله تعالى - بهذه الآية على أن للجن ثوابًا كما للإنس؛ فإنه جرى الخطاب من أول السورة إلى آخرها للجن والإنس كقوله تعالى: للجن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الآية: ٦٥]، فعلى ذلك يشتركون في الوعد والوعيد. لكن أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى- يقول: لا ثواب للجن في ذلك»[3].

* * *

(١) مريم (١٥-٣/ ٢٦١).

وينظر: فصلت: ٢٢-٤/ ٣٧٢، ٣٧٣. حيث ذكر هناك سبب توقف الإمام فى هذه المسألة.

(٢) الفرقان (١-٣/ ٤٨٩).

(٣) الرحمن (٦٠-٥/ ١٩).

المطلب الثاني
في الفقه

أما اهتمام الماتريدي بنقل مسائل الفقه الحنفي ونصرتها في تفسيره فغالبا ما يكون انتصارا لما عُرف من آرائهم دون عزو أو نقل من كتاب، ونادرا ما يعزو نقله إلى كتاب من كتب أئمة المذهب.

أ- **فأما النقل عن كتاب من كتب المذهب،** فقد جاء في موطن واحد من تفسيره كله حيث نقل عن كتاب (الزيادات) للإمام محمد بن الحسن الشيباني، وذلك في سورة المائدة حيث يقول:

«وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾: ...قيل: سميت: جوارح؛ لما يكتسب بها، والجوارح: هن الكواسب؛ قال اللهّ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قيل: اكتسبوا، وجرح: كسب. وقال أبو عبيد: سميت: جوارح؛ لأنها صوائد، وهو ما ذكرنا من الكسب، يقال: فلان جارح أهله، أي: كاسبهم. وقال غيره: سميت: جوارح؛ لأنها تجرح، وهو من الجراحة، فإذا لم يُجرح، لم يحل صيده. واحتج مُحَمَّد رحمه الله بهذا المعنى في صيد الكلب إذا قَتَلَ، ولم يُجَرِّح، في مسألة من كتاب الزيادات»[1].

ب- **أما الانتصار لاجتهادات أئمة المذهب الحنفي ونقل آرائهم في تفسيره وتضعيف آراء غيرهم** فقد كان من أبرز الآثار المترتبة على كون الإمام الماتريدي في أصول الفقه والاستنباط وفهم النصوص حنفيا أن كانت اختياراته الفقهية في مسائل الفروع المبنية على تلك الأصول متوافقة تمام الموافقة مع أصوله ومذهبه، بحيث لا ينقض فرع منها أصل، ويتسق فيها الأصل مع الفرع تمام الاتساق، فكان أن رأينا الإمام الماتريدي لا يكاد يخرج عن مذهب الأحناف في تفسيره قيد أنملة، بل لقد قام بتوظيف تفسيره لخدمة هذا المذهب

(١) المائدة: ٤-٣/ ٤٥٧. ط العلمية.

والانتصار لأدلته؛ فلم يترك آية فيها ما قد يُستَدل بها لمذهبه الحنفي، أو ترد على خصوم مذهبه، أو يمكن أن يستنبط منها ما يوافق مذهبه إلا قام بذلك لدرجة الاستطراد الطويل الذي يجعله في أحيان يدخل في نقاش فقهي مع خصوم مذهبه مستعرضا أدلتهم من أحاديث وآثار ثم يكر عليها نقدا ونقضا، أو يناقش قضايا لا يوجد في الآية محل التفسير ما يدل عليها، بل يذكرها من باب تتمة الكلام؛ فصار تفسيره مشحونا بالآراء الفقهية، بحيث لو أردنا أن نُجَرِّد من تفسيره كتابا في (تفسير آيات الأحكام) لفعلنا!

وسوف أعرض هنا ما يسمح به مقام البحث[1]، وذلك من خلال عرض أهم المحاور والملامح التي ميزت إيراد المسائل الفقهية في تفسير الماتريدي، والتي لا تخرج عن أربعة محاور رئيسة، تترجم هذا الأثر في تفسير الإمام الماتريدي، وهي كالآتي:

المحور الأول: الاستدلال الفقهي.

١- يهتم الإمام الماتريدي في تفسيره بالاستدلال لصحة مذهبه الحنفي، والانتصار له، **والغالب عليه أنه يستنبط من الآيات ما يدل على صحة مذهبه،** ومنه ما جاء في سورة النجم، حيث يقول:

«وقوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾. يحتمل قوله: ﴿أَغْنَىٰ﴾، أي: وسع عليهم ﴿وَأَقْنَىٰ﴾، أي: صيرَّهم ممن يقتنون الخدم وغيرها؛ فيكون الإغناء هو التوسيع بأنواع الأموال، والإقناء هو إعطاء القنية من الخادم وما يحتاج إليه للمهنة؛ فيكون في جعل الخدم له فضل حاجة، لا غنى، وذلك دليل على صحة مذهبنا في استجازتهم دفع الزكاة إلى من له الخدم»[2].

٢- وفي أحيان يستدل لأئمة المذهب بأسمائهم.

أ. **فمن استدلاله لأبي حنيفة** ما جاء في سورة القصص، حيث يقول:

(١) وإن كان الأمر يحتاج لدراسة مستقلة تبحث (الإمام الماتريدي فقيها) للكشف عن مكانة هذا الإمام في علم الفقه، وتقارن بين آرائه وآراء غيره، وتسلط الضوء على إسهاماته في المذهب الحنفي.

(٢) النجم: ٤٨ - ٤/ ٦١٤. وينظر: الطلاق: ٦ - ٥/ ١٦٦.

«وقوله تعالى ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ الآية. وفيه دلالة جواز الاستدلال لقول أبي حنيفة حين قال: من قتل آخر بحجر عظيم أو بخشبة عظيمة مما لا ينجو من مثله فإنه لا يقتل به، ولا يجب القصاص فيه؛ لأن موسى لما وكز ذلك القبطي فمات، وكان له قوة أربعين رجلا - لم ير القصاص به واجبا حيث قال له ذلك الرجل: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ولو كان القصاص واجبًا كان أُولَئِكَ لم يكونوا ظلمة في قتله، بل يكون هو الظالم فيه. ولا يحتمل أن يكون القصاص واجبًا -أيضًا- وموسى يفر من ذلك ويهرب وفي ذلك إبطال حقهم دل أنه لم يجب. ولا شك أن وكزة من له قوة أربعين رجلا إلى الهلاك أسرع وأقرب وأعمل من الضرب بالحجر العظيم أو الخشبة العظيمة، فإذا لم يجب في هذا لم يجب في ذاك، والله أعلم»[1].

ب. ومن استدلاله لمحمد بن الحسن، ما جاء في سورة التوبة، حيث قال:

«وفي قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ دلالة أن الصدقة إذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن أربابها، وإن لم تقع في أيدي الفقراء ولم تصل إليهم؛ لأن النبي ﷺ كان لا يحل له الصدقة، ثم أخبر أنه إذا أخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية. وفيه استدلال لمُحَمَّد بن الحسن في الوقف؛ أن الوقف إذا وقف وأخرجه من يده وجعله في يد آخر ممن لا حق له في ذلك كان جائزًا، وكان وقفًا صحيحًا»[2].

جـ- وفي أحيان يجمع بين محمد وأبي حنيفة إذا اتفقا، فيحتج لهما، ومنه ما جاء في سورة النور، حيث يقول:

«وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾. جائز أن يكون ﴿تَوَّابٌ﴾: يقبل التوبة إذا تاب وأكذب نفسه؛ فيرفع اللعن عنهما بالتوبة؛ فإذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما؛

(١) (٢) القصص: ١٦- ٣/ ٥٨٩ .

وينظر: الإسراء: ٢٣-٣/ ١٤٨. والاسراء: ٣٣- ٣/ ١٥٣، ١٥٤، وفي ط العلمية: ٧/ ٤١. وطه: ٤٠- ٣/ ٢٩٢. والمؤمنون: ١٩-٣/ ٣٩٨. والأحقاف: ١٥- ٤/ ٤٨٩. الرحمن: ٦٨-٥/ ١٩، ٢٠. والممتحنة: ١١-٥/ ١١٣، ١١٤.

(٢) (٣) التوبة: ١٠٣ - ٢/ ٤٤٥. وينظر: يونس: ٨٩-٢/ ٤٩٨.

ففيه حجة لقول أبي حنيفة ومُحَمَّد - رحمهما الله - في جواز نكاحهما إذا أكذب نفسه»[1].

١. ومن استدلاله لأقوال أبي يوسف، ومحمد معا، ما جاء في سورة يوسف، حيث يقول:

«وفي قوله: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ فهو كذا ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ فهو من كذا - دلائل يستدل بها لمسائل لأصحابنا؛ من ذلك قولهم في حانوت فيه لؤلؤ وإهاب تنازع فيه دباغ ولؤلئي، فإنه يقضي باليد لكل واحد منهما في ذلك للؤلئي باللؤلؤ وللدباغ بالإهاب باليد؛ يستدل بغالب الأمر وظاهر اليد؛ على ما قضى عليها بالمراودة بتمزق القميص من دبر، وأمثال هذا مسائل يكثر عددها يقضى فيها بالدلالة الغالبة، وإن كان يجوز في الحقيقة على خلاف الظاهر... وفي الآية دلائل لقول أصحابنا في المتاع يختلف فيه الزوجان: فإن كان من متاع الرجال فهو في يد الرجل، وإن كان من متاع النساء فهو في يد المرأة في قول أبي يوسف ومُحَمَّد»[2].

٣- وفي بعض الأحيان يستدل لمن يسميهم «أصحابنا»، ومنه ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾، حيث قال:

«اختلف فيه: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾، أي: على الإثم العظيم، وهو الشرك. وقيل: الحنث العظيم: الحنث هو الكبائر، والعظيم هو الإصرار والإدامة عليها... ويحتمل أن يكون قسمهم ما ذكر: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢]، وقد جاءهم النذير، فلم يكونوا أهدى، وجاءتهم الآيات، فلم يؤمنوا بها، فحنثوا فيها. فإن كان قسمهم بأنهم لا يبعثون حنثوا حين فراغهم من اليمين؛ لأنهم أيسوا عن ذلك. وفيه دلالة لصحة مذهب أصحابنا: أن من حلف: يلمس السماء، أنه يحنث عند فراغه من اليمين؛ لأنه آيس من ذلك»[3].

(١) (١) النور: ١٠ - ٣/ ٤٤١ .

(٢) (٢) يوسف: ٢٨ - ٢/ ٥٧٦، ٥٧٧ . باختصار.

(٣) الواقعة: ٤٦ - ٥/ ٢٨ . باختصار.

وينظر: المائدة: ٢-٢/ ٨. والمائدة: ٥-٢/ ١٦. والمائدة: ٩٦-٢/ ٨١، ٨٢. والأنفال: ٧٥ - ٢/ ٣٧٧. والحج: ٣٦-٣/ ٣٧٢. والشعراء: ١٦٦-٣/ ٥٣٨. والصافات: ١٠-٤/ ٢٢٠.

المحور الثاني: النقاش الفقهي:

لا يكتفي الإمام الماتريدي بالاستدلال لمذهب أصحابه الأحناف في تفسيره للآيات بل قد يقوم بعرض أقوال خصوم هذا المذهب، وربما عرض أدلتهم ورد عليها، وهو حين يعرض الآراء أو يرد على أصحابها، فإنه يعرضها عرض العارف بمواطن الاتفاق[1] ومواطن الخلاف، والأمثلة كثيرة أكتفي منها بما جاء في سورة الفتح عند قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾، حيث يقول:

«أي: تقتلوهم وتهلكوهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: لولا ما فيها -أعني: في مكة- من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات، لأتم لكم الظفر بهم، ودخلتم عليهم، لكن منعكم عن دخولكم مكة؛ لما ذكر... ثم المخالف لنا تعلق بهذه الآية في مسألتين:

إحداهما: فيمن أسلم ولم يهاجر إلينا: أنه تجب الدية في قتله؛ لقوله - تعالى -: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهي غرم الدية.

والثانية: هل يباح الرمي على حصون المشركين إذا كان فيها أسارى المسلمين وأطفال المسلمين، وإحراق الحصون أو الرمي على الكفار الذين تترسوا بأطفال المسلمين؟

قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومُحَمَّد وزفر والثوري: لا بأس برمي حصون المشركين وإن كان فيهم أسارى المسلمين وأطفالهم، ولا بأس بأن يحرقوا الحصن ويقصدوا به المشركين دون المسلمين، وكذلك إحراق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.

وقال مالك: لا يحرق سفينة الكفار إذا كان فيها أسارى المسلمين.

وقال الأوزاعي: إذا تترس الكفار بأطفال المسلمين، لم يرموا، ولا يحرق الحصن، ولكن لا بأس بأن يرمى الحصن بالمنجنيق، ونحو ذلك.

وقال الشافعي: لا بأس بأن يرمى الحصن وفيه أسارى وأطفال المسلمين، ولو تترسوا بهم فله قولان.

(١) ينظر قوله (النحل: ٦٧-٣/ ٩٧، ٩٨) مثلا: «وليس بين فقهاء الأمصار في تحريم السكر وفضيخ البسر ونقيع الزبيب إذا أسكر كثيرها ولم يطبخ؛ اختلاف أنها حرام.

واحتج هَٰٓؤُلَآءِ بأن من عادتهم أنهم كانوا يعبدون ما يهوون ومالت إليهم أنفسهم من الأصنام والأوثان وغيرها، وينصرون من عبدوها، ويدفعون عنهم فيذبون عنها، فجائز أن يكون الذي حملهم على ذلك هو نصرهم أُولَٰٓئِكَ الأصنام وعبادها، والذب عنهم حمية الجاهلية، والله أعلم»[1].

وهو في مواطن غير قليلة من تفسيره يرد على الشافعي[2] ومن يسميهم أصحاب الظواهر[3] أو بعض التابعين من غير أصحاب المذاهب كرده على الحسن والأصم[4] وفي مواطن كثيرة يرد على غير معين[5].

***

(١) الفتح: ٢٥-٤/ ٥٢٩، ٥٣٠ وينظر ط العلمية: ٩/ ٣٠٩ فما بعدها.

(٢) ينظر مثلا: الحج: ٣٤-٣/ ٣٧١ . حيث اتهم الشافعي بأنه «لم يفهم ما فهم الناس والأمم» أ.هـ.

وكذا في الأحزاب: ٣١-٤/ ١١٤ . ويقر أن ظاهر الآية حجة للشافعي ويرد عليه في الطلاق: ٢-٥/ ١٥٨، ١٥٩.

وينظر في الانتصار لمذهب الحنفية فى رد شهادة القاذف خلافا للشافعي وبقية المذاهب مع طول نفس في التقرير ورد رأيهم في النور: ٤، ٥-٣/ ٤٣٣ إلى ٤٤٦.

وقد يلزم الشافعي بمخالفة أصوله، كما في المجادلة: ٣-٥/ ٦٩.

(٣) ينظر مثلا: المائدة: ٩٩-٢/ ٨١.

(٤) في الرد على الحسن وحده فى الفقه ينظر: الأنعام: ١١٩-٢/ ١٦٨ . وفى الرد عليهما ينظر: المائدة: ٤-٢/ ١٣.

(٥) ينظر مثلا: والإسراء: ٧٨-٣/ ١٨٥ . والنور: ٣-٣/ ٤٣٠ . والشورى: ٤٠-٤/ ٤١٣ . الطور: ٢١-٤/ ٥٩٥. والجمعة: ٩-٥/ ١٣٠، ١٣١ . وينظر فى رده على القراء في نهيهم عن النظر إلى السماء في الحجر: ١٦-٣/ ٤٣.

المبحث الثالث

هل كان الإمام الماتريدي من الكلابية أو الأشعرية؟

تمهيد

هذا المبحث يعد تأكيدا لأصالة المنهج الماتريدي، وتتمة لما سبق، كما يعد من جهة أخرى: ردًا على سؤال قد يثار مفاده: إذا كان الإمام الماتريدي هو وريث منهج الإمام الأعظم الذى ورث علم أهل الرأي فَنَصَر عقائد أهل السنة، فما العلاقة بين الماتريدي والأشعرى، وما العلاقة بينه وبين «الصفاتية الأوائل» وكلهم ممن نصر عقائد السلف بالعقل كالماتريدي؟

والإجابة عن هذا السؤال تتضح من خلال المبحثين الآتيين:

* * *

المطلب الأول

العلاقة بين الإمام الماتريدي والصفاتية أو الكلابية

عرف تاريخ علم الكلام ما سُمِّي بـ «المتكلمين الأوائل» أو «الصفاتية» كما يسميهم الشهرستاني[1] أو «أهل السنة الأوائل» كما يسميهم الدكتور النشار[2]، وكان من أبرزهم: عبدالله بن سعيد الكلابي (ت بعد: ٢٤٠هـ)، وأبو العباس القلانسي (؟!)، والحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)[3].

ويحلو لبعض دارسي علم الكلام جعل الماتريدي من جملة أتباع عبد الله بن سعيد الكلابي فيجعلون فرقتي أهل السنة-الماتريدية مع الأشاعرة- (كلابية)، وغالبا ما يكون هؤلاء ممن ينتقد هؤلاء الأئمة جميعا ويعيب عليهم الخوض فى علم الكلام، أو يصفهم بالابتداع والبعد عن منهج السلف!

أما الرد على هؤلاء فى جملة آرائهم فإنه ليس من شأننا هنا، وإنما أحب هنا فقط أن أبين واحدا من المجازفات العلمية التى ينطوى عليها علم هؤلاء، والهوى الذى يجر إلى كراهة نسبة الماتريدي إلى الإمام الأعظم؛ إذ ما نعلمه يقينا أن نسبة الإمام الماتريدي إلى الكلابية غير ثابتة ولا موثقة، والذى يجعلنا نقول ذلك عدة أمور:

١ - لم ينتسب الماتريدية أبدا إلي الكلابي بل دائما ما يذكرون نسبتهم إلى الإمام الأعظم:

وقد سبق بيان انتساب الماتريدية إلى الإمام الأعظم، ومما لم نذكره قبل ذلك ما نص عليه أبو المعين النسفى أثناء حديثه عن صفة التكوين ورده اتهام بعض خصومه بأنه قول

---

(١) الملل والنحل: ص ١٠٤.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د.على سامي النشار، ١/ ٢٩٥، دار السلام القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق أمير مهنا وعلى حسن فاعود، ص٤٤ ثم ص ١٠٤، دار المعرفة بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.. وينظر: إتحاف السادة، ٢/ ٥، ٦، طبعة مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، سنة ١٩٩٤م.

مأخوذ عن الكلابية؛ إذ يقول: «ثم إن الخصوم يشنعون علينا فى هذه المسألة من وجهين: أحدهما هذا قول أحدثتم لم يكن به قائل من السلف حتى قال بعضهم: إن هذا القول لم يأت من العراق وإنما جاء من الأعالى يعنى بذلك سمرقند، وزعم بعض الأشعرية أن هذا قول أحدثته طائفة من الناس يقال لهم الزابراشائية أصحاب رجل يعرف بأبي عاصم الزابراشائي. **وذكر عبد الله بن محمد بن هيصم الساتر**.. هذا القول ونسبه إلى المتنسبين الى ابن كلاب من أهل مرو وسمرقند، عنى بذلك عبد الله بن سعيد القطان **وإنما نسبهم إليه لأن أهل السنة والجماعة كانوا يُنسبون إليه وإن كان أصحابنا نصرهم الله أخذوا المذهب عن أبي حنيفة رحمه الله وأظن أن هؤلاء قد انقرضوا**»[1]؛ فهذا نص فى أنه ليس للأحناف علاقة بالكلابي ولا الكلابية وإن اتفقوا معهم فى مسائل، وإن كانوا من أهل السنة أيضًا، لكن حديثنا هنا عن التلقى والتأثر، وهل يعد ابن كلاب من أسلاف الماتريدي أو لا؟

٢- النص من قبل علماء الفرق على انتقال سمة الصفاتية إلى الأشعرية لا الماتريدية:

فقد نص الشهرستاني على أن سمة الصفاتية قد انتقلت إلى الأشعرية دون الماتريدية، حيث يقول: «حتى انتهى الزمان إلى **عبد الله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسد المحاسبي** وهؤلاء كانوا من جملة السلف، إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية. وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة فى مسألة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فأيد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة **وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية**»[2].

٣- أن الماتريدية يردون على عبد الله بن سعيد ويخالفونه.

يقول البزدوى الماتريدي فى مقدمة (أصول الدين): «وقد صنف أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان كتبا كثيرة فى هذا النوع من العلم وهو أقدم من أبي الحسن الأشعري

---

(١) تبصرة الأدلة، ص٤٠٥.

(٢) الملل والنحل: ص ١٠٥، ١٠٦.

فلم يقع فى يدي شيء من كتبه، وعامة أقاويله توافق أقاويل أهل السنة والجماعة إلا مسائل قلائل لا تبلغ عشر مسائل؛ فإنه خالف فيها أهل السنة والجماعة، وقد أخطأ فيها على ما نبين.. ولا بأس في إمساك كتبه والنظر فيها لمن وقف على ما أخطأ فيه من المسائل»[1].

فإن قيل:

قد نص العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها فقال: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي وأتباعه، **وهم ينسبونه إلى قدمائهم**»[2] فلم لا يكون ابن كلاب واحدا من هؤلاء القدماء؟

قلت: لا يصح أن يكون عبد الله بن سعيد من هؤلاء القدماء، لأسباب، منها:

١ - أن هؤلاء القدماء معروفون، قد ذكرهم أبو المعين النسفي في معرض حديثه عن صفة التكوين والرد على من نَسَب القائلين بها إلى الابتداع، ولم يذكر منهم عبد الله بن سعيد ولا واحدا من أصحابه وتلامذته.

٢ - قد ذكرهم أبو المعين فى معرض ذكره القائلين بصفة التكوين وعبد الله بن سعيد الكلابي لم يقل بصفة التكوين أو لم يعرف عنه القول بها[3]، بل قد نص أبوالمعين فى موطن آخر على اختلاف مدرسته مع الكلابية فى هذه المسألة بالذات، فقال: «ذهب عامة المعتزلة بأسرهم والنجارية وجميع متكلمى أهل الحديث كالكلابية والقلانسية والأشعرية إلى أن

(١) أصول الدين، ص١٤. ثم إنه عدد هذه المسائل فى كتابه ذاك تحت عنوان (ما خالف فيه ابن كلاب عامة أهل السنة) ص ٢٥٣ فما بعدها، كما ذكر قبله (ما خالف فيه أبو الحسن الأشعري عامة أهل السنة والجماعة) ص٢٥٢، وذكر بعد ذلك (ما خالف فيه المحدثون أهل السنة والجماعة) ص ٢٥٤.
ومراده بمصطلح (أهل السنة) خصوص أصحابه الماتريدية، كما هى عادته فى كتابه، حيث يقول (ص١٤) «إلا أن أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطأوا أبا الحسن الأشعري فى بعض المسائل.. وقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا ونظروا فيها الذين هم رؤساء أهل السنة» أ.هـ.

(٢) شرح المقاصد فى علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، ٤/ ١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.

(٣) ينظر أئمة المذهب القائلين بصفة التكوين قبل الماتريدي في: تبصرة الأدلة، أبو المعين النسفى، ١/ ٤٦٧-٤٧٥.

التكوين ليس بمعنى غير المكوَّن بل هو عين المكوَّن»[1] والماتريدية يقولون: بل هو غير المكوَّن.

والخلاصـة: أن انتقال سماتهم إلى الماتريدي أو تلقى الماتريدي عن عبد الله بن سعيد أو الكلابية، لم تثبت بل الذى ثبت هو أن الماتريدي تابع لأبي حنيفة لا غير.

ثم هو وإن اتفق مع هؤلاء الصفاتية فى أشياء[2] فلاحتمال كون الكلابية ممن أخذ عن الإمام أبي حنيفة أيضًا؛ فالمنبع واحد إذ الإمام كما سبق النقل هو أول متكلم من الفقهاء كما عبر الشهرستاني، و«الفيلسوف الأول للإسلام» كما وصفه الدكتور النشار رحمه الله[3].

* * *

(١) تبصرة الأدلة، ص٤٠٠.

(٢) كالقول بأزلية التكوين على ما نقله أبو المعين عن محمد بن الهيصم مع ما يُشَم من تشكك من أبي المعين فى صحة هذه النسبة مع إنكاره - إن صحت - أن يكون الماتريدية قد أخذوا هذا القول من ابن كلاب بل من أبي حنيفة!
ينظر: تبصرة الأدلة، ص٤٠٥.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي: ١/ ٢٥٨.

المطلب الثاني

العلاقة بين الماتريدي والأشعري

ولد الإمام الأشعري بالبصرة سنة ٢٦٠هـ كما يقول السبكي[١]، أو ولد سنة ٢٧٠هـ، وقد ذكر القولين ابن خلكان[٢]، وابن عساكر[٣]. ثم إن المؤرخين مجمعون على أنه قضى في مذهب الاعتزال تلميذا لأبي علي الجبائي - زوج أمه - أربعين عاما أو إلى سن الأربعين.

فإذا أخذنا بأحسن الفروض وقلنا إن ولادته كانت سنة ٢٦٠هـ وأنه مكث إلى سن الأربعين لا أربعين سنة من وقت تلقيه العلم، فمعنى هذا: أنه لم يبدأ في التحول إلى مذهب أهل السنة إلا بعد العام ٣٠٠هـ. أما إن قلنا إنه ولد ٢٧٠هـ، وأنه ظل على الاعتزال إلى سن الأربعين فمعنى هذا أنه لم يتحول إلى مذهب أهل السنة إلا في العام ٣١٠هـ تقريبا.

أما إذا قلنا إنه ظل أربعين سنة على مذهب الاعتزال، فإن سنة تحوله ستتأخر عن هذا التاريخ بعد إضافة سنوات تلقيه للعلم، وحتى يصح القول إنه قد اعتنق مذهبا، وعندها فسيصبح التاريخ دائرا حول ٣٢٠هـ أي قبل وفاته بقليل!

ومن جهة أخرى، فإنه لم يُذكر عن الإمام الماتريدي مع طول عمره أنه كان على غير مذهب أهل السنة، وإذا قلنا - تنزلا - إن الامام الماتريدي بدأ التصنيف بعد سن الأربعين مع الإشارة إلى أن شيخه محمد بن مقاتل الرازي قد توفي سنة ٢٤٨هـ، وأنه كي يتلقى عليه العلم لا بد أن يكون قد وُلد قبلها بخمسة عشر عاما على الأقل أي حول سنة٢٣٣هـ، فإن الأمر يكون قد اتضح لنا على النحو الآتي:

إن الامام الماتريدي كان ينافح عن مذهب أهل السنة في الوقت الذي كان الإمام الأشعري على مذهب الاعتزال سنوات عديدة لا تقل عن أربعين عاما أيضًا!

---

(١) طبقات الشافعية: ٣/ ٣٤٧.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٤.

(٣) تبيين كذب المفتري: ص ٣٤.

فالحق أن مذهب الأحناف المتمثل في العقيدة الماتريدية والمدونة أيضًا في متن الطحاوية سابق على مذهب الأشعري، بل لا نبعد إن قلنا: إن الأشعري يعد من طبقة تلاميذ الإمام الماتريدي.

وهذا الذي أثبته هو عين ما قرره العلماء القدامى والمحدثون؛ فقد صرح بهذه الأسبقية الإمام أبو اليسر البزدوي في (أصول الدين)، فقال أثناء حديثه عن صفة التكوين:

«وقد ذكر هذه المسألة الشيخ أبو منصور الماتريدي مع المعتزلة، وصحح هذا المذهب الذي عليه أهل السنة والجماعة.. **وهو أقدم من الأشعري**»[١].

ويقول الزبيدي في (شرح الإحياء): «قال ابن البياضي من علمائنا: وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أول من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن؛لأن الماتريدي مفصّل لمذهب الإمام أبي حنيفة **وأصحابه المُظْهِرِين قبل الأشعري** مذهب أهل السنة»[٢].

ويقول صاحب النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب الوزاني عند كلامه عن الماتريدي: «وكان معاصرا للأشعري، **وسبقه إلى نصرة أهل السنة**»[٣].

وقال العلامة السعد عند حديثه عن الصفات المختلف فيها: «ومنها التكوين: اشتهر القول به عن الشيخ أبي منصور الماتريدي واتباعه، **وهم ينسبونه إلى قدمائهم** الذين كانوا قبل الشيخ أبي الحسن الأشعري، حتى قالوا - إن قول أبي جعفر الطحاوي (له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق) إشارة الى هذا وفسروه بإخراج المعدوم من العدم الى الوجود»[٤].

ويقول الدكتور عبد الفتاح المغربي: «والماتريدي يعتبر مؤسس علم الكلام السني، أي

---

(١) أصول الدين، ابو اليسر البزدوي، ص٧٧.

(٢) اتحاف السادة المتقين ٢/ ٥.

(٣) ينظر الفواكه الدواني ٢/ ١٠٣ وحاشية الجمل على المنهج ٥/ ٣٨٧. نقلا عن مقدمة الدكتور مجدى باسلوم للتفسير ١/ ٩١.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، ٤/ ١٦٩-١٧٠، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة، سنة ١٩٩٨.

الذى يقوم على نصرة عقيدة أهل السنة عن طريق العقل، وهو وإن كان معاصرا للأشعري الذى قام بنفس المحاولة إلا أنه لم يثبت وجود صلات بينهما أو معرفة أحدهما الآخر»[١].

بل لو عكسنا القضية وقلنا إن الأشاعرة هم من تأثر بالماتريدي لكان أوفق وأقرب، وهذه النتيجة هى التى وصل إليها الدكتور بكر طوبال فى مقدمة تحقيقه لكتاب (التوحيد)، حيث قال: «إن المصادر المتعلقة بتاريخ علم الكلام تشير إلى أن أبا الحسن الأشعري هو المؤسس الأول للكلام السني، غير أن الانطلاق من المؤلفات التى وصلت إلى يومنا الحاضر يؤدي بنا إلى القول بأن المؤسس الحقيقي لهذا النوع من الكلام هو الإمام أبو منصور الماتريدي»[٢].

ويؤكد عدم وجود صلة بين الماتريدي وآراء الأشعري ما ذكره المقريزى فى الخطط إذ يقول: «انتشر مذهب الأشعري فى العراق من سنة ثمانين وثلاثمائة وانتقل منه إلى الشام»[٣]؛ أى بعد وفاة الماتريدي بنحو خمسين سنة.

ـ أصحاب الإمام الماتريدي في نصرة السنة ببلاد ما وراء النهر:

إن وجود أصحاب للإمام الماتريدي فى نصرة السنة، بل وجود اختلاف بينهم فى بعض الفروع أحيانا ليؤكد ما نقوله هنا من أن هذه الفرقة لم تبدأ بالإمام الماتريدي وأن الامام الماتريدي ما هو إلا محقق ومفرع لما قرره أبو حنيفة كما فعل غيره من الأحناف إلا أنه كان فيما يبدو أحدهم ذهنا وأقواهم قريحة؛ لذا بقيت أعماله ونسبوا إليه، يقول أبو المعين النسفي متحدثا عن قدماء أصحابه القائلين بصفة التكوين: «ولو استقصيت فى ذكر من كان على هذا المذهب من أئمة بخارى وجميع ديار ما وراء النهر إلى أقصى ثغور الترك وأئمة مرو وبلخ وأبنت عن جلالة أقدارهم وتبحرهم فى أصناف العلوم لطال الكتاب وقصرت عن بلوغ المراد»[٤].

وقد ذكر الإمام الماتريدي أثناء تفسيره كلامًا لمن يسميهم (أصحابنا) مما يدل على أن

(١) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، ص٦.

(٢) التوحيد، ص٣٠ من دراسة الدكتور بكر فى صدر الكتاب.

(٣) خطط المقريزي، ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥ نقلا عن تمهيد لتاريخ الفلسفة، مصطفى عبد الرازق.

(٤) تبصرة الأدلة ص ٤٧٤.

مدرسة الأحناف العقدية لم يبدأها الإمام الماتريدي وإنما كان له أسلاف وأصحاب، وإن كان الماتريدي أبرزهم وأغزرهم تأليفًا وأدقهم كلاما وأشدهم عناية، حتى نسب تلاميذ تلك المدرسة إليه، والدين لا يقوم إلا بالأئمة كما يقول الإمام الماتريدي.

فعند قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]، يقول:

«ووجه آخر أنهم قوم ليس لهم أساس ولا أئمة في الدين، إليهم يرجعون في التأسيس. ومعلوم أن لا قوام في العقول لأمر الدين إلا بالأئمة كالسياسات كلها والأمور؛ فيها القوام من الملك وغيره. بل إنما كانوا جروا على عادتهم، وقاتلوهم عن القبائل، فلا يرجعون في الحقيقة إلا إلى عادة خارجة عن التدبير. وغيرهم يرجعون إلى مذاهب أسست مما أسس أمر الديانات؛ فقد تعلقوا بضرب من ذلك؛ فتركوا إذا خضعوا لا دفعوا، وإذا عنوا لهم بحق التبع، يتركون رجاء أن يتأملوا؛ إذ لكل مذهب نظر، وليس لأولئك سوى العادة وتقليد الآباء. ومن ذلك وصفه؛ لا ينظر، فيمهل النظر، والله أعلم»[١].

فأئمة الدين المنافحون عنه لابد من وجودهم في كل زمان ومكان وهم كذلك بفضل الله تعالى وكان الإمام الماتريدي وأصحابه وُرَّاث مذاهب السلف التي لم تندثر في الأمة.

٢ – وفي سورة المائدة يذكر قول أصحابه، فيقول:

«وقيل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية: ٤٨]، أي على دين واحد، وهو دين الإسلام، لم يجعل كافرًا ولا مشركًا، ولكن امتحنكم بأديان مختلفة على ما تختارون، وتؤثرون. ثم اختلف في المشيئة: قالت المعتزلة: هي مشيئة الجبر والقسر. وقال أصحابنا: المشيئة مشيئة الاختيار، وقد ذكرناها في غير موضع»[٢].

٣ – وأحيانًا يذكر ما قد يكون من اختلاف بينه وبين أصحابه، ومن ذلك اختلافه معهم في مسألة: هل الكافر منعم عليه أم لا؟ ويبدو أن أصحابه كانوا يقولون كما قال الأشعري بعد ذلك، فيقول في سورة الجاثية:

(١) التوبة (٢٩-٢/ ٤٠٣).

(٢) المائدة (٤٨-٢/ ٤٥).

«ثم اختلف أهل الكلام في ما يعطي الولي والعدو في هذه الدنيا من الصحة والسلامة على قول أكثر المعتزلة: إن الله لا يعطي أحدًا في الدنيا من كافر أو مؤمن شيئًا إلا وهو أصلح له في الدين. ثم على قولهم: لا يظهر عفو الله تعالى في الآخرة لأنهم يقولون: إنما يستوجبون الثواب والجنة بأعمالهم لا برحمة الله تعالى. فإذا عفا عن المسيء فلا يعلم أنه كان مستحقًا لذلك، أو كان العفو منه فضلًا. وعندنا أن ما أعطاهم إنما يعطيهم إفضالًا منه ورحمة، فيعرفون فضله وإحسانه وعفوه.

وأكثر أصحابنا يقولون: إن جميع ما أعطى الكافر في الدنيا فهو شر له كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله عز وجل ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ و٥٦]، ونحو ذلك ما يُخبر أن ما يعطي إياهم يكون ذلك شرًا لهم، وما أعطى المؤمنين يكون خيرًا لهم.

ولكن عندنا ليس هذا على الإطلاق والإرسال، ولكن ما كان توفيقًا منه على الخيرات في نفسها فهو خير له وما كان خذلانًا فهو شر له، وليس على الله حفظ الأصلح لهم على ما يقوله المعتزلة، ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة وعدل كما يفعل ما هو إحسان وفضل، والله الموفق»[1].

٤ - كما قد يختلف معهم في كيفية إلزام المعتزلة فيذكر احتجاجهم ثم يورد بعد ذلك احتجاجه هو، ففي سورة الصافات عند قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية: ٩٦]، يقول:

«ثم من أصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الآية في خلق أفعال العباد؛ يقولون: أخبر عليه السلام عن خلق أنفسهم وعن خلق أعمالهم حين قال: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ لكنهم يقولون: ليس فيه دلالة خلق أفعالهم. ألا ترى أنه قال عليه السلام: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الآية: ٩٥]، وهم لا يعبدون النحت، إنما يعبدون ذلك المنحوت. فعلى ذلك لم يخلق أفعالهم وأعمالهم، ولكن خلق المعمول نفسه، والله أعلم. لكن الاحتجاج عليهم من وجه

(١) الجاثية (٢١-٤/٤٧٥).

آخر في ذلك كأنه أقرب وأولى، وهو أن صير ذلك المعمول خلقًا لنفسه حين أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي معمولكم لأنهم إنما يعبدون ذلك المعمول: خلق الله.

دل أن عملهم الذي عملوا به مخلوق. لذلك قلنا: إن فيه دلالة خلق أعمالهم، والله أعلم. وهو كقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إنما صار التواب والمتطهر محبوب الله لحبه التوبة والتطهر، وصار المعتدي غير محبوب لحبه الاعتداء. فعلى ذلك: المعمول صار مخلوقًا بخلقه عمله، والله أعلم»[1].

والخلاصة: أن أسلاف الإمام الماتريدي الأبعدين هم أهل الرأي من الصحابة والتابعين والذين يتفق معهم الماتريدي فى المنهج الفكرى، والذى تجلى أبرز ما تجلى فى مدرسة الأحناف، فورث الإمام الماتريدي عن أبي حنيفة الأصول والفروع والأخلاق. أما علاقته بابن كلاب ومدرسته فلم تثبت، وعلاقته بالأشعري أبعد ما تكون.

فسلف الماتريدي عن شيوخه هو الإمام الأعظم الذى استقرت عنده مذاهب أهل العراق كما يقول العلامة ابن خلدون[2].

ولا علاقة للإمام بالكلابي ولا الأشعرى ولا الجهمية ولا المعتزلة ولا غيرهم، وما أحسن ما لخص أبو المعين ذلك كله حين قال: «والشيخ الإمام أبو منصور الماتريدى رحمه الله كان **من أشد الناس اتباعًا لأبي حنيفة** رضي الله عنه فى الأصول والفروع جميعا»[3].

والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) الصافات (٩٦-٤/٢٣٧).

(٢) المقدمة، ص٤٩٦ ط التوفيقية.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفى، ت: د. جيب الله أحمد، ص١٥٦، ١٥٧ دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٦م.

مصادر البحث[1]

أولًا: المصدر الأساس:

تفسير الإمام أبو منصور الماتريدي بطبعاته الثلاث:

(١) (تأويلات أهل السنة) الطبعة التي نشرتها الرسالة، المطبوعة سنة ٢٠٠٤، بتحقيق فاطمة يوسف الخيمي، وتقع في خمس مجلدات كبار كتبت بخط صغير!

(٢) (تأويلات أهل السنة) طبعة دار الكتب العلمية، المطبوعة سنة ٢٠٠٥م، بتحقيق مجدي باسلوم، وتقع في عشر مجلدات كبار.

(٣) (تأويلات القرآن) طبعة دار الميزان بتركيا المطبوعة سنة ٢٠١٢م، بتحقيق عدد من المحققين وإشراف بكر طوبال أغلو، وتقع في تسعة عشر مجلدًا، بالفهارس.

ثانيا: المراجع والمصادر المساعدة (الكتب)

(حرف الألف)

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، دار صادر - بيروت.

---

(١) تبعت في إيراد المصادر والمراجع المنهج الآتي:

١ - لم أفرق بين المصادر القديمة والحديثة بل أوردت الكل في إهاب واحد بحسب الترتيب الألفبائي، وأوردت تاريخ وفاة المؤلف ما استطعت.

٢ - قدمت اسم الكتاب على اسم المؤلف؛ مسترشدا بما قاله الدكتور فريد الأنصاري (أبجديات البحث العلمي، ص١٣٠): «ولابد من تقديم اسم الكتاب على اسم مؤلفه، على عكس بعض الدارسين المقلدين للغرب إذ إننا نتعامل مع المرجع أساسا وهو المقصود بالمعرفة، وإنما اسم المؤلف وصف من أوصافه، أضف إلى ذلك أنها الطريقة الوحيدة لبيان الأسماء الكاملة للكتب المختصرة عناوينها في الهامش» أ.هـ.

٣ - أهملت ألقاب المؤلفين من قبيل الإمام أو الشيخ أو الدكتور اختصارا، والمقامات محفوظة.

٤ - ما أهملت بعض بياناته فهو غير موجود على غلاف الكتاب أو داخله غالبا.

٥ - قسمت المصادر إلى أساسية ومساعدة، وقسمت المساعدة إلى: كتب ومقالات ورسائل جامعية.

(٥) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى (ت: ١٢٠٥هـ)، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ١٩٩٤م.

(٦) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.

(٧) أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أحمد أبو زهرة (ت: ١٩٧٤م)، دار الفكر العربي- القاهرة.

(٨) أبو منصور الماتريدي وآراؤه العقدية، بلقاسم الغالي، دار التركي للنشر- تونس، ١٩٨٩م.

(٩) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (ت: ٣٨٠ تقريبا)، مكتبة مدبولي القاهرة، ط٣، ١٤١١/ ١٩٩١.

(١٠) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

(١١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه، القاضي أبو عبد الله حسين بن على الصَّيمري (ت٤٣٦هـ)، ط عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(١٢) إشارات المرام، أحمد بن حسين بن سنان البياضي (ت: ١٠٩٨هـ)، ت: الشيخ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

(١٣) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٦م.

(١٤) أصول الدين، أبو اليسر البزدوى (ت: ٤٩٣هـ)، ت: هانز بيتر لنس، ضبطه وعلق عليه: أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣م.

(١٥) أصول الفقه، أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الماتريدي، ت: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥م.

(١٦) الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة، أحمد بن حسين بن سنان البياضي (ت: ١٠٩٨هـ)، ت: محمد عبد الرحمن الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

(١٧) أطلس التاريخ العربي الإسلامى، شوقى أبوخليل، دار الفكر دمشق، ط٥، ٢٠٠٢م.

(١٨) أعلام وعلماء.. مقالات للشيخ أبي زهرة، جمعها: مجد مكي، دار الفتح للدراسات، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

(١٩) إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، ط١، سنة ١٩٨٥م.

(٢٠) الأنساب، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، ت: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، ط١، سنة ١٩٨٨م.

(حرف الباء)

(٢١) البداية والنهاية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، بعناية: عبد الرحمن اللادقي، دار المعرفة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٨م.

(٢٢) بلاد ما وراء النهر، محمود شيت خطاب، ص٥، دار قتيبة، ط٤، ١٩٩٠م.

(٢٣) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية، د. محمد أبو موسي، ط دار الفكر العربي.

(حرف التاء)

(٢٤) تاج التراجم فى طبقات الحنفية، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، ت: جوستاف فلوجل، ليبزيج ١٨٦٢م.

(٢٥) تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٢٦) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة.

(٢٧) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تعريب عبد الحليم النجار، ط٥، دار المعارف، القاهرة.

(٢٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الدكتور: حسن إبراهيم حسن، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط ١٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٢٩) تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٣٠) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، تعريب محمود فهمي حجازى، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٩٩١م.

(٣١) تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م.

(٣٣) تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، ط٧، سنة ٢٠٠٩م.

(٣٤) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، ط دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٣٥) الخلافة العباسية، محمد الهاشمي، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٦م.

(٣٦) تاريخ طبرستان، بهاء الدين محمد بن حسن اسفنديار، ترجمة وتقديم أحمد محمد نادي، ط المجلس الأعلى للثقافة، ط١، سنة ٢٠٠٢م.

(٣٧) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم على ابن الحسن ابن عساكر، ت: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، دون رقم طبعة، ١٩٩٥م.

(٣٨) تبصرة الأدلة، أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معبد النسفى (ت: ٥٠٨هـ)، تحقيق حسين آتاى، نشر رئاسة الشؤون الدينية، تركيا، ١٩٩٣م.

(٣٩) تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري، القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله، أبو محمد، ابن عساكر (ت: ٦٠٠ هـ)، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط مكتبة الكليات الأزهرية.

(٤٠) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤١) التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٤٢) تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، دون تاريخ.

(٤٣) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولى، فاسيلي بارتولد، تعريب: صلاح الدين هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، سنة ١٩٨١م.

(٤٤) التغني بالقرآن.. بحث فقهي تاريخي، بقلم لبيب السعيد، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

(٤٥) التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، ط مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف.

(٤٦) التفسير والمفسرون، الشيخ محمد حسين الذهبي، ط مكتبة وهبه-القاهرة.

(٤٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، د. مصطفي عبد الرازق، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

(٤٨) التمهيد لقواعد التوحيد، أبو المعين النسفى (ت: ٥٠٨هـ)، ت: د. جيب الله أحمد، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٨٦م.

(٤٩) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي (ت: ٣٧٧هـ)، ت: الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

(٥٠) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، باعتناء: إبراهيم الزيبق وآخر، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

(٥١) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ط دائرة المعارف النظامية.

(٥٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

(٥٣) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ت: بكر طوبال أوغلو، ومحمد آرويشي، دار صادر عام ٢٠٠٤م.

(٥٤) التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ت: فتح الله خليف، ١٩٧٠م.

(٥٥) تيارات ثقافية بين العرب والفرس، الدكتور أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٣، دون تاريخ.

(حرف الثاء)

(٥٦) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، طبع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣.

(حرف الجيم)

(٥٧) الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، إعادة لطبعة دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٥٨) الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ت: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦م.

(٥٩) الجغرافيا الحضارية فى المشرق الإسلامي، عبد العزيز عبد الرحمن آل سعد،، الدار العربية للعلوم، ط١، سنة ٢٠١١م.

(٦٠) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، محيى الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن أبي الوفاء القرشى الحنفى (ت ٧٧٥هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، سنة ١٩٩٣م.

(حرف الحاء)

(٦١) حاشية الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل، للعلامة أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت: ١٣٠٤هـ)، ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٦٢) الحاكم الجشمي ومنهجه فى التفسير، د.عدنان محمد زرزور، ط مؤسسة الرسالة.

(٦٣) حركة الفتح الإسلامي فى القرن الأول، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٧٤م.

(٦٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري (عصر النهضة فى الإسلام)، آدم متز، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب اللبناني، ط٥، دون تاريخ.

(٦٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

(٦٦) الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٦٧) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

(حرف الخاء)

(٦٨) خمس رسائل إسماعيلية، ت: عارف تامر، منشورات دار الإنصاف سوريا، ١٩٥٦م.

(حرف الدال)

(٦٩) الدولة العباسية، محمد الخضرى بك، المكتبة العصرية- بيروت، ٢٠٠٩م.

(حرف الراء)

(٧٠) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، دار القلم - دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

(٧١) رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (ت: بعد٣١٠هـ)، دار السويدي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٣م.

(حرف السين)

(٧٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٢م.

(٧٣) سنن الترمذى، ط دار إحياء التراث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت.

(٧٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (ت: ٧٤٨هـ)، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

(٧٥) سيرة حياتي، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

(حرف الشين)

(٧٦) شرح الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوي، المسمى النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية، محمد منير الدمشقي الأزهري، دار لمعرفة بيروت.

(٧٧) شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت: ٧٩٣ه)، ت: د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

(حرف الضاد)

(٧٨) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢ه)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(حرف الطاء)

(٧٩) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٨٠) طبقات الأصوليين، عبدالله مصطفى المراغي، نشره محمد على عثمان، سنة ١٩٧٤م.

(٨١) طبقات الأمم، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد (ت٤٦٢هـ)، بعناية الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

(٨٢) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، ت: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي - عيسى الحلبي، القاهرة.

(٨٣) طبقات الفقهاء، أبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت٤٧٦هـ)، دار الرائد العربي، بيروت.

(٨٤) طبقات المعتزلة، أحمد بن يحي المرتضى (ت: ٨٤٠هـ)، ت: سوسته ديفلد فلزر، ط٢، ١٩٨٧، بيروت لبنان.

(٨٥) طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ت: علي محمد عمر، ط١، ١٣٩٦ه، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٨٦) طبقات المفسرين، أحمد الأدنه وي، ت: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٩٩٧م.

(٨٧) طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن على الداوودى (ت: ٩٤٥هـ)، ت: على محمد عمر، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٧٢م.

(حرف الظاء)

(٨٨) ظهر الإسلام، أحمد أمين، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٦م. بيروت.

(٨٩) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٥، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(حرف العين)

(٩٠) العالم الإسلامي فى العصر العباسي، د.حسن أحمد محمود، ود.أحمد إبراهيم شريف، دار الفكر العربي، ط٥، دون تاريخ.

(٩١) العرب والإسلام فى أوزباكستان، بوريبوي أحمدوف، وزاهد الله منوروف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢، ١٩٩٩، بيروت.

(٩٢) العصر العباسي الثاني، د.شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف.

(٩٣) العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي(ت:٢٤٣هـ)، ت: حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر، ط٣، ١٩٨٢م.

(٩٤) عندما أصبحت مصر عربية إسلامية، د.محمد عمارة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٧م.

(٩٥) العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ)، ت: عمار الطالبي، دار الثقافة، الدوحة، ط ١، سنة ١٩٩٢م.

(حرف الغين)

(٩٦) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد مكي، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (ت: ١٠٩٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(حرف الفاء)

(٩٧) الفتاوى الهندية، جماعة من علماء الهند، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

(٩٨) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

(٩٩) الفتح المبين فى طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، قام بنشره محمد على عثمان، سنة ١٩٤٧م.

(١٠٠) الفخري فى الآداب السلطانية، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (المعروف بابن الطقطقي)، (ت: ٧٠٩هـ)، المطبعة الرحمانية، دون تاريخ.

(١٠١) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي الاسفراييني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.

(١٠٢) فقه أهل العراق وحديثهم، العلامة محمد زاهد الكوثري، ت: د. محمد سالم أبوعاصي، ط دار البصائر.

(١٠٣) الفكر السامي في تاريخ التشريع الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي (ت: ١٣٧٦هـ)، مطبعة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ.

(١٠٤) الفهرست، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم المعروف بالوراق (ت: ٤٣٨هـ)، ت: رضا تجدد، طهران.

(١٠٥) فى أصول الفقه!، أبو الثناء اللامسي الماتريدي، ت: عبد المجيد التركي، دار الغرب الاسلامي، ط١، ١٩٩٥م.

(حرف القاف)

(١٠٦) القند فى ذكر علماء سمرقند، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت٥٣٧)، بعناية: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط١، سنة ١٩٩١م.

(١٠٧) القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي، تحقيق يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، إيران، ط١، ١٩٩٩م.

(حرف الكاف)

(١٠٨) الكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ت: محمد عوامة، وآخر، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن- جدة، ط١، ١٩٩٢م.

(١٠٩) الكافي شرح البزدوي، حسام الدين حسين بن على بن حجاج السغناقى (ت٧١٤هـ)، ت: فخر الدين سيد محمد قانت، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

(١١٠) الكامل فى التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، ط بولاق.

(١١١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد، علاء الدين البخاري (المتوفى: ٧٣٠هـ)، ت: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١١٢) الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، ت: د.عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.

(١١٣) كنز الوصول إلى معرفة الأصول لعلى بن محمد البزدوي (ت: ٤٨٢هـ) مع كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري (ت: ٧٣٠هـ)، ت: عبد الله محمود عمر، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

(حرف اللام)

(١١٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري) ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١.

(١١٥) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، ت: دائرة المعارف النظامية- الهند، مؤسسة الأعلمي- بيروت ط٣، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.

(١١٦) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

(حرف الميم)

(١١٧) الماتريدية: دراسة وتقويما، أحمد بن عوض الحربي، جامعة محمد بن سعود، كلية أصول الدين، ماجستير، ١٤١١هـ.

(١١٨) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

(١١٩) المذهب الحنفي مراحله وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته، أحمد بن محمد النقيب، مكتبة الرشد، الرياض، د.ت.

(١٢٠) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ)، شهاب الدين أحمد بن يحي، ت: كامل الجبوري، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠.

(١٢١) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ت: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء - المنصورة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١٢٢) المصباح المنير، أحمد بن علي الفيومي المقري، ت: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية.

(١٢٣) معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، ت: محمد علي النجار ويوسف نجاتي، عالم الكتب، ط٣، ١٩٨٣م.

(١٢٤) معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ت: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

(١٢٥) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، ط دار صادر، ١٩٧٧م.

(١٢٦) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط٣، ١٩٨٨م.

(١٢٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة.

(١٢٨) معجم تفاسير القرآن، مجموعة مؤلفين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم (إيسيسكو)، ١٩٩٧م.

(١٢٩) معيد النعم، تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ) ت: محمد على النجار وآخرون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

(١٣٠) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كوبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(١٣١) الملل والنحل، عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، ت: البير نصيرى، دار المشرق - بيروت.

(١٣٢) من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، عبد الرحمن بدوي، سينا للنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

(١٣٣) مناقب أبي حنيفة، الموفق المكي (٥٦٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠١هـ.

(١٣٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

(١٣٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(١٣٦) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أحمد بن على المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، ت: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

(١٣٧) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي المالكي (ت: ٧٩٠هـ)، ت: مشهور حسن سليمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١٣٨) موسوعة الأعلام، عدد من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- مصر.

(حرف النون)

(١٣٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي بكر كمال الدين بن محمد بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ت: د.إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار-الأردن، ١٩٨٥م.

(١٤٠) نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن، د. السيد أحمد خليل، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط١، سنة ١٩٥٢م.

(١٤١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د.على سامي النشار، دار السلام القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

(١٤٢) النشر في القراءات العشر، الإمام محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، راجعه محمد على الصباغ، دار الكتب العلمية- لبنان.

(١٤٣) نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.

(١٤٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن أبي بكر المقري التلمساني (ت: ٧٥٨هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.

(حرف الهاء)

(١٤٥) هدية العارفين فى أسماء المؤلفين، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة، استانبول سنة ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

(حرف الواو)

(١٤٦) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي (ت٩٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

(١٤٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد لابن خلكان (٦٨١هـ)، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

ثالثا: المقالات والبحوث المنشورة في الدوريات، وغيرها.

(١٤٨) نظرية المقاصد عند الشاطبي ومدى ارتباطها بالأصول الكلامية، الإمام الأكبر الشيخ: أحمد الطيب، منشور على الانترنت.

رابعا: الرسائل العلمية:

(١٤٩) أبو حنيفة النعمان وآراؤه الكلامية، شمس الدين محمد عبد اللطيف، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، عام ١٩٩٩م.

(١٥٠) العقيدة الماتريدية، أبو الخير محمد أيوب علي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، دكتوراه، ١٩٥٥م.

(١٥١) ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي، ت: عبد الملك عبد الرحمن السعدي بإشراف الدكتور أحمد فهمى أبو سنة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، سنة ١٩٨٤م.

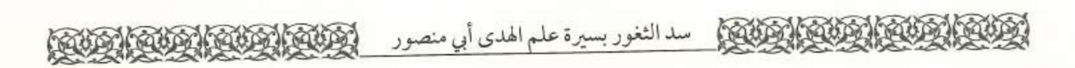
***

فهرس الأعلام

***

فهرس الفرق

* * *



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

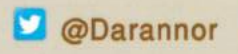
سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور الماتريدي




عمان - الأردن - تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com - website: www.darannor.com

www.facebook.com/darannorpage


@Darannor